كتاب اثبات النبوآت

للفيلسوف الاسماعيلي

أبو يعقوب إسحق السجستاني



دار المشرق
بيروت

أبو يعقوب إسحق السجستاني — كتاب اثبات النبوآت

منشورات :
دار المشرق - ص.ب : ٩٤٦
بيروت - لبنان

التوزيع :
المكتبة الشرقية - ساحة النجمة
ص.ب : ١٩٨٦ - بيروت - لبنان



الفيلسوف الاسماعيلي

أبو يعقوب اسحق السجستاني

كتاب اثبات النبوءات

حققه وقدم له

عارف تامر

الطبعة الثانية



دار المشرق

ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان

ISBN 2-7214-7978-2

P.O.B. 946, Beirut, Lebanon

التوزيع : المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة ، ص. ب. ١٩٨٦ ، بيروت ، لبنان

المقدمة

في التاريخ الاسلامي تبرز بوضوح معالم النهضة الفكرية التي ازدهرت وفاح اريجها في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي تلك الفترة صلحت الحياة العقلية صلاحاً لم يعرف له مثيل من قبل ولا من بعد ، على العكس من الحالة السياسية التي كانت متقلبة ومضطربة اشد الاضطراب . واننا لنلمح ان المجتمع الاسلامي في ذلك الحين لم يكن في حقيقة امره وواقع حاله وحدة سياسية تامة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وانما كان مؤلفاً من شعوب وقبائل مختلفة اشد الاختلاف ومتباينة اشد التباين جمعها الاسلام تحت لواءه وحاول ان يمزج بينها ويلغي فوارقها وطبقاتها فوفق الى تكوين حضارة اسلامية شاملة فقط ، ولكنه عجز عن إقامة مجتمع موحد على اساس من الثقافة او السياسة او الهدف الواحد .

والحياة السياسية ما كانت لتستقر في يوم من الايام الا بتحقيق روح العدل ونشر الامن والطمأنينة بين الناس ، لان الظلم والحروب والارهاب كثيراً ما يحمل عظماء الرجال وذوي العقول السليمة على الفرار من العمل السياسي المرهق الذي يعرض الارواح للازهاق والنفوس للقلق والاضطراب ، واللجوء الى العمل الفكري الذي كثيراً ما يحيطهم بجو من الهدوء والثقة والمكانة الاجتماعية ويوفر لهم الامن والطمأنينة .

وفي ذلك العصر بالذات نلمح ان تباشير نهضة فكرية قد ذرّت قرنها عندما اخذ اكثر علماء المسلمين يتبنون ما نقله المترجمون من علوم اليونان والفرس والهند فتعمقوا في قراءتها وقاموا بشرح نصوصها وعلقوا عليها وتأثروا ببعضها وربطوا النظريات ونسقوها ثم دمجوا معارفهم واقتباساتهم بالتعاليم المنبثقة من صميم الاسلام وأخذوا يدافعون عنها بطريق العقل لا بطريق النقل وبأسلوب الواقع لا بأسلوب الخيال .

ومن الواضح انه بعد الفتوحات الاسلامية لجهات كثيرة من العالم المعمور ،

نجد ان كثيراً من النصارى في مصر والشام والمغرب والاندلس ساهموا مساهمة فعّالة في تأسيس هذه النهضة الفكرية ؛ والنصرانية عند الفتح الاسلامي كانت منقسمة الى جملة طوائف اشهرها ثلاث : اليعاقبة — وكانوا منتشرين في مصر وبلاد النوبة والحبشة ، والنساطرة — نسبةً الى نسطور الحكيم الذي كان بطريقاً للقسطنطينية — وكانوا منتشرين في العراق والموصل وفارس ، والملكانية — وكانوا منتشرين في بلاد الغرب وصقلية والاندلس والشام . فكان بين هذه المذاهب الثلاثة جدال عنيف في العقائد بلغ احياناً حد الاضطهاد — مثلما حدث لنصارى مصر على يد امبراطور روما —

وكان السريان وهم من النصارى ايضاً يأخذون الخمر والحرير وغيرهما الى بلاد المغرب ويحملون في عودتهم كتب الثقافة اليونانية من الاسكندرية وانطاكية وصقلية وينشرونها في الشرق . ولم يقفوا عند هذا الحد بل عمدوا الى تأسيس عدة مدارس كانت مراكز لهذه الثقافة وامكنة للدعاية والنشر وأهمها : الرها ، ونصيبين ، وحرّان ، وجنديسابور .

واستعان النصارى فيما وقع بينهم من خلافات دينية بالفلسفة اليونانية والمنطق وقام السريان بترجمة هذه الكتب الى لغتهم وأخصها كتب أرسطو المنطقية وشروحها كإيساغوجي وكتب الالهيات والاخلاق والتصوف والطب والفلسفة الطبيعية ، فطبعوا هذه الكتب بالطابع المسيحي ، وتبنوا بعض النظريات التي وردت فيها ، ووجهوا عنايتهم اكثر وأكثر الى التأثر بالآراء الفيثاغورية والافلاطونية التي تنزع الى التصوف .

ويبدو واضحاً انه في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كما قلنا ، توجه علماء المسلمين نحو الفلسفة لانهم وجدوا ان مجاوريهم من الطوائف الاخرى وأصحاب الاديان قد تثقفوا بثقافات عقلية حديثة واسعة وأخذوا يجادلونهم بالمنطق ويدعمون حججهم بالفلسفة والحكمة ، فاضطروا ، ازاء كل هذا ، الى النزول الى ميدان الاجتهاد والانطلاق فدرسوا الديانات المختلفة كي يتعرفوا الى مواطن القوة والضعف فيها ، كما لجأوا الى الفلسفة يتخذون منها عوناً ضد خصومهم ، وتعلموا المنطق ليقرعوا الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، كما انهم قلدوا مجاوريهم فأقاموا المدارس ليوزعوا منها افكارهم وينشروا تعاليمهم .

فهذه الأسباب مجتمعة كوّنت اول جماعة مفكرة في الاسلام ، وكان الاسماعيليون

في طليعة هذا الركب . واعتقد ان ظهور هذه الجماعة كانت نتيجة لأزمة داخلية ، او ثمرة ناضجة لطائفة من العلل والاسباب اشتركت وتضافرت على ظهورها وتكوين عقليتها وتحديد اهدافها .

ولم يبرز الاسماعيليون وحدهم في حلبة المجال بل تبعهم المتصوفون والمعتزلون والمتكلمون وغيرهم من اصحاب المدارس العلمية والمذاهب الدينية . لان الفكرة الاسماعيلية اتخذت ايضاً من مباحث العلم والجدل والمناظرات والتعميم وإظهار المسائل التي تلائم افكار الناس على اختلاف الاديان والمذاهب اساساً لها وقاعدة انطلقت منها ؛ ومن هنا استطاعت ان تنتشر في انحاء العالم بعد ان وضعت تأويل القرآن لبنةً في اساس بناء عقيدتها كما انها استخدمت بعض النظم الفكرية اليونانية وما ذخر به التوراة والانجيل من تعاليم وما ورد في مذاهب اهل الهند والفرس واليونان ، ولهذا جاء نظامها الفكري متفقاً والآراء الدينية الاخرى ، وكان جسراً عبروا منه الى هدفهم السياسي ، ولكي يجدوا تقبلاً لأفكارهم في العالم الاسلامي وضعوا قانوناً قسموا بموجبه المعرفة الى ظاهر وباطن ، فالظاهر هو الاسلام والباطن هو الإيمان ، ولهذا نرى ان هاتين الفكرتين تشكلان ارتباطاً وثيقاً الواحدة بالأخرى ، بحيث لا يمكن ان تقوم المعرفة باحدى الفكرتين دون الاخرى . ومن هذه الجهة كان الاسماعيليون في كل أدوارهم يتمسكون بالشريعة وموجباتها ولا يتركون اي مجال للهوادة فيها ، ويعتبرون الباطن عبادة علمية مقتصرة على فئة خاصة متعلمة استحقت الوصول الى هذه المرتبة بعد تفوقها وتقدمها في العلوم الظاهرة .

وتثبيتاً لهذه النظرية نرى الفيلسوف — أبو يعقوب السجستاني ، الذي نحن بصدد التحدث عنه ، يقول في الاقليد الثالث والستين من كتابه — المقاليد — ما نصه :

[ان الوقوف على الحقائق في الشرائع لا يُسقط الاعمال ، اذ ان الاعمال الشرعية من الدين ، وتاركها تارك للدين ، والدين عند الله الاسلام] .

واننا لا نرى داعياً من دعاة الاسماعيليين يشذ عن هذه القاعدة ، وقاعدة المناداة بالتوحيد اي نفي جميع ما يليق بمبدعات الباري عنه ، وتنزيهه عن جميع ما يوصف به خلقه من النعوت والصفات . وهـا هو المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة يقول :

[نُوَحِّدُ اللهَ وَلا نُشَبِّهُ : قد انْتَفَتْ في ذاكَ عنَّا الشَّبهُ]

وقال ابراهيم الحامدي في الصحيفة – ١٥٩ – من كتابه – كنز الولد – ما نصّه :

[أول الديانة لله تعالى معرفته ، وكمال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه] .

وقال علي بن الوليد في رسالة – جلاء العقول – :

[وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة اليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والاخبار عنه تحديد] .

كل هذا الى جانب اعترافهم بالانبياء والرسل ، وفي طليعتهم النطقاء اصحاب الادوار والشرائع ؛ فهؤلاء معصومون في كل قول وعمل لان الله اجتباهم وطهرهم حتى يصح للبشر الاقتداء بهم ، وهم في هذه الحالة لا يغالون فيهم بل يثبتون ان الله خصهم بهذه المرتبة للهداية الى الصراط المستقيم . فكل ما جاؤوا به هو الحق والصدق ، وكل كتبهم السماوية منزلة من الله . اذن فلا شك ان هذا ايضاً من ضمن اعتقاداتهم الدينية او قل من قواعد نظامهم الفكري القائم على التوحيد والابداع والخلق والكون والبشر والنبوءة والامامة والقيامة والبعث ، ومجموعه عندهم يسمّى علم الحقائق او علم الابتداء والانتهاء ، او علم المبدأ والمعاد . امّا التنزيل فيقوم على التفسير وقصص الانبياء وأركان الشريعة . وامّا التأويل فهو معرفة اساس العقيدة والقرآن وباطنه ، وانه ليس لاحد من المعتنقين للعقيدة او المنضوين تحت ظل النظام الفكري الاسماعيلي ان يستغني عن احد الاثنين كما سبق وقلنا .

أبو يعقوب اسحق – السجستاني :

عندما نحاول ان نكتب تاريخ حياة أبي يعقوب اسحق السجستاني ، وما أدّاه من اعمال في مجال الفكر ، ومركزه بالنسبة الى الدعوة التي اعتقدها نقف واجمين ، لاننا في الحقيقة نرى ان كل ما جاء عن هذا الداعي الكبير في كتب التاريخ ومصادر البحث لا يشكل شيئاً بالنسبة الى حياة هذا الفيلسوف الذي خطّ في صفحات الفلسفة أروع البيانات والأفكار . على انه لا بد من القول ان اسمه اقترن باسم داعي اسماعيلي آخر هو : أبو عبد الله محمد بن احمد النسفي البرذعي النخشبي [سنة ٣٣١ هـ] الذي يعتبر بحق استاذه والمنعم عليه ؛ والنسفي كان داعياً اسماعيلياً

في منطقة بخارى وقد اشتهر بانه اثّر في نصر بن أحمد الساماني وأدخله في عقيدته ، وفي مرداويج الديلمي امير طبرستان ، وفي يوسف بن ابي الساج أمير اذربيجان ، وجعل من مقاطعاتهم مناطق تدين بالاسماعيلية وتخضع لها ، كما ان اسمه اقترن ايضاً باسماء الدعاة الاسماعيليين الكبار الذين عاشوا في فارس امثال : أبو حاتم عبد الرحمن الرازي داعي الديلم ، واحمد حميد الدين الكرماني حجة العراقين ، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة ، وأحمد بن ابراهيم النيسابوري ؛ وناصر خسرو ، ونصير الدين الطوسي . إلا اننا ، عندما نعود الى قراءة كتب التاريخ التي وضعت في فارس ، نرى ان اكثرها اغفلت ذكر الدعاة الاسماعيليين حتى انها لم تشر الى اسمائهم لا بقليل ولا بكثير ، وهذا ما جعل ايڤانوف وكوربان وغيرهما من المستشرقين الذين اهتموا بتأريخ الاسماعيليين في فارس يقفون واجمين مثلنا ، لا يستطيعون النفاذ الى واقع حياة هؤلاء الفلاسفة ، وما قدموه من خدمات وتضحيات في سبيل عقيدتهم ونظامهم الفكري .

يعتبر أبو يعقوب اسحق السجستاني من الفلاسفة الذين ساهموا في إحياء النهضة العلمية في شرقي الممالك الاسلامية ، ومن الذين عملوا في محيط الثقافة الاسلامية عامة ، ومن التلامذة الذين درسوا على النسفي وتأثروا به وساروا على غراره في حياته وفي موته حتى انه قتل في طبرستان كما قتل استاذه النسفي في بلاد ما وراء النهر . ومن الواضح انه دافع بكتابه النصرة عن نظريات النسفي الفلسفية التي وردت في كتاب – المحصول[1] – عندما قام داع آخر هو : أبو حاتم عبد الرحمن الرازي يفند بكتابه – الإصلاح – بعض اراء وردت في المحصول ، وهذا ما دفع الكرماني اخيراً الى وضع كتابه – الرياض[2] – لتبسيط اراء الدعاة الثلاثة واصلاح ما يراه جديراً بالاصلاح ، وكل هذا يدل على التحرر الذي كان سائداً في المجتمع الفكري الاسماعيلي ، وعلى الحرية التي منحها الائمة للدعاة بغية الإفلات من القيود الصارمة التي تلزمهم بالانكماش وتحد من انطلاقهم

(١) من الغريب ان كتاب «الإيضاح» ينفي ان يكون الداعي النسفي هو واضع كتاب المحصول . فهو يقول في اكثر من صفحة انه من تأليف – الحكيم الصادق – وهذا اللقب اصطلاح اسماعيلي يعطى عادة للامام ، ومعنى هذا ان كتاب المحصول من وضع احد ائمة دور الستر .

(٢) كتاب الرياض ، حققه عارف تامر – من منشورات دار الثقافة بيروت – لبنان ١٩٦٠

وتوقف اعمالهم واجتهاداتهم ، وذلك مع مراعاة عدم التأثير في جوهر العقيدة . وهم بذلك يحكمون العقل الذي هو عندهم ركن المعتقدات الاول ، فما أوجبه كان واجباً وما احاله كان مُحالاً وما اجازه كان جائزاً . امّا القرآن فلا تنقضي عجائبه ولا تنفذ غرائبه . فلكل امرىء ان يتدبره بعقله وبفهمه على الوجه الذي يستقر في اعتقاده بشرط ان لا يكون مخلاً بشيء من مقاصد الدين .

اجل ... ان المدرسة الاسماعيلية الفكرية الإيرانية كانت مرتبطة تمام الارتباط بمدرسة الأئمة المستورين القائمة في سلمية — سوريا ، وبعد ذلك بمدرسة الفاطميين في شمالي افريقيا ، وبعدئذ بمدرسة القاهرة الفاطمية . فمن هذه المدارس كانت تستقي العلوم والافكار والمعارف واليها كان مرجع كل من يتخرّج من هذه المدرسة من طلاب واساتذة ومستجيبين . وها هي مؤلفات الكرماني المعتدلة والسجستاني والرازي كلها جاءت شاهدة على عراقة هؤلاء الدعاة في الاصول الاسماعيلية . على اننا لا نستطيع الجزم بان هذا الارتباط وهذا الاعتدال ظلاّ قائمين بعد انقراض الدولة الفاطمية من مصر . فهل ظلّت هذه المدارس على تمسكها ومراعاتها للاصول والفروع الفاطمية ، ام طرأ عليها بعض التحول والانحراف ؟ هذا ما سوف نجيب عنه في كتابنا — الاسماعيلية الحديثة — .

مؤلفاته :

خلّف أبو يعقوب اسحق السجستاني طائفة من المؤلفات الفلسفية بعضها نُشر ، وقسم ضئيل منها فُقد ، والبقية لا تزال محفوظة وقائمة في زوايا النسيان . وجميع هذه المؤلفات يتناول فيها العقائد الاسماعيلية ويبسط المشكلات الفلسفية ويحاول ان يمزجها بالعلوم الشرعية لتأتي مطابقة لنصوص القرآن وتعاليم الشريعة روحاً ومادة . وهذه المؤلفات تدل على ما كان يمتاز به من معرفة واسعة بانواع العلوم العقلية المختلفة ، وعلى رسوخ قدمه في المعارف التي تتصل من قريب ومن بعيد بالعقيدة الاسماعيلية ؛ هذا فضلاً عن مهارته الفائقة وقدرته العجيبة على التأليف بين العناصر المستقاة من مصادر متباينة في موضوعاتها وطبيعتها ومنهجها تأليفاً يرتبط فيه بعضها ببعض ويتسق فيه بعضها مع بعض على وجه يجعل من العناصر المختلفة والاشتات المتباينة وحدة مؤتلفة ونسقاً واحداً . وليس بخافٍ ان السجستاني كان يتقن اكثر

اللغات السائدة في عصره ، الى جانب اليونانية التي ساعدته على تفهم النصوص الفلسفية التي لها ارتباط وثيق بالموضوعات التي عالجها .

ومهما يكن من امر فان ابا يعقوب يعتبر شيخ فلاسفة الاسماعيليين او العلم الأول في نهضتهم ، بل هو في الواقع المجاهد الأول في سبيل عقيدة آمن بها واستشهد اخيراً في سبيلها . وقد ظهر اثره الفكري في تلميذه — احمد حميد الكرماني — حجة العراقين — الذي سار على نهجه بالبحث ودعا الى تعاليمه والانتهال من فيض ينابيعه . ونحن نعلم ان الفيلسوف الكرماني درس الفلسفة في مدرسة السجستاني الفكرية أي تأثر بأسلوبه ومشى على غراره . ولهذا نضع السجستاني في المرتبة الاولى بين مفكري عصره وفلاسفة العالم المشهورين بالرغم من معرفتنا ان الدعاة الاسماعيليين في عصره ، وفيما بعد ذلك ، كانوا مختلفين في قضايا كثيرة اذا ما اردنا ان نسميها فنقول عنها انها فروع بالنسبة الى الأصل ، او قل انها مسائل اجتهادية ؛ ويستدل من ذلك ان الاختلاف كان في التأويل ، والتأويل شخصي يختلف باختلاف آراء المجتهدين والمؤلفين .

عاصر السجستاني الدعوة الاسماعيلية في عصر الظهور اي في ابّان ازدهار الدولة الفاطمية وعندما ظهرت كدولة اسلامية ذات كيان حضاري وعلمي واجتماعي وسياسي ؛ فكان سيفاً من سيوفها ، وداعياً من دعاتها في اقليم بعيد يذود عنها بلسانه وقلمه .

يُنسب الى سجستان وهي مقاطعة جنوب خرسان . كانت مسقط رأس لإسرة — رستم — الفارسية ولهذا يقال ان السجستاني ينحدر من اسرة بطل الفرس — رستم . وهناك من يقول انه من العراق جاء جده من الكوفة واستوطن سجستان . ويزعم بعض المؤرخين انه مات سنة ٣٣١هـ ، ولكن هذا الرأي لا يتفق وما أورده السجستاني نفسه في كتاب — الافتخار — فهو يذكر انه وضعه سنة ٣٦٠هـ . وقد ورد ذكر كتاب الافتخار في كتاب الرياض للكرماني ، والمعروف انه كان داعياً للاسماعيليين في مقاطعة بُخارى على عهد الإمام الفاطمي — المعز لدين الله . وليس غريباً بعد هذا ان يكون قد عاصر الداعي الكبير ، جعفر بن منصور اليمن ، والفقيه النعمان ابن حيّون المغربي ، وغيرهما من كبار المؤلفين وعلماء الدعوة في ذلك العصر العلمي الزاهر ؛ كما انه ليس ادل على تفوقه في مجال الفلسفة من الكتب التي تركها بعده

وأكثرها وُضع باللغة العربية ، والقليل باللغة الفارسية . وقد ذكرها اسماعيل بــن عبد الرسول بن مطاخان الأبيني [المجدوع] المتوفى سنة ١١٨٣هـ في المجموعة وفهرست الكتاب ، وهي التي أشار اليها البيروني في كتبه ايضاً ، كما ذكرها البغدادي في كتاب — الفرق بين الفرق — ؛ اماّ ناصر خسرو فقد أتى على ذكرها ايضاً في كتابه « زاد المسافرين » ، وهذه هي :

اسس الدعوة ، تأويل الشرائع ، سوسن النعم ، او سوسن البقاء ، الرسالة الباهرة ، الافتخار ، الموازين ، سلم النجاة ، النصرة ، المقاليد ، مسليات الاحزان ، اسرار المعاد ، المواعظ في الاخلاق ، الغريب في معنى الاكسير ، موئنس القلوب ، تأليف الأرواح ، الأمن من الحيرة ، خزائن الأدلة ، البرهان . على ان اشهر كتبه هم : كشف المحجوب (١) ، تحفة المستجيبين (٢) ، الينابيع (٣) ، وإثبات النبوءات.

كتاب إثبات النبوءات :

يبدأ أبو يعقوب ، كعادته في كل كتبه الفلسفية ، بتسبيح الباري الخالق المُبدِع الذي نزّهه من كل الصفات وجرده من كل الحواس وأبعده عن كل صورة ، وعرّاه من كل اسم ، ونهى عن الخوض في ذكره او محاولة تخيله ، لانه ليس للعقل ان ينفي وجوده او يثبته او يبرهن عن عدمه . ثم ينتقل بعد ذلك الى موضوعه وهو بحث صفة الموجود الاول او العقل او السابق ، ثم النفس ، ثم الحدود العلوية الاخرى بالتسلسل ؛ وبعد ذلك ينتقل الى عقل الطبيعة وهي النبوة المرسلة في فترات متعاقبة من قبل الباري للخليقة للتبليغ والارشاد وإنقاذ البشرية ، ومن الواضح انه ، في كل كتبه التي بين ايدينا ، نراه يجمع الأصلين الأولين العقل والنفس مع نظام العقول العشرة الافلاطونية التي عرضها المعلم الثاني الفارابي وأبان المقابلة والمطابقة

(١) حققه هنري كوربان — Henri-Corbin — من منشورات المعهد الافرنسي الايراني طهران — ايران ١٩٤٩

(٢) حققه عارف تامر — Aref-Tamer — وضمه الى كتاب — خمس رسائل اسماعيلية — دار الانصاف — بيروت — لبنان ١٩٥٦

(٣) حققه هنري كوربان — Henri-Corbin — وضمه الى كتاب — ثلاث رسائل اسماعيلية — من منشورات المعهد الافرنسي الايراني — طهران — ايران ١٩٦١

بين عالم الابداع او عالم العقول او العالم الروحاني اللطيف والعالم الجرماني وهو عالم الأفلاك والكواكب ، وبين العالم الجسماني وهو ما دون فلك القمر من موجودات وعالم الدين وهو معرفة مراتب حدود الدين لان العوالم كلها مرتبة تحت سياسة قانون القسطاط او الميزان .

امّا إثبات النبوءات فقد جعله السجستاني على شكل مقالات فقسمه الى سبع مقابلة للسيارات السبع التي لها تأثير في المواليد الجسمانية من معدنية ونباتية وحيوانية ، ويقابلها اصحاب الادوار السبعة النطقاء الذين يؤثرون بالمقابل في المواليد النفسانية من نفوس وعقول تأثير السيارات السبع فيما تحتها من المواليد الجسمانية ؛ ثم انه جعل لكل مقالة اثني عشر فصلاً مقابلة للافلاك الكبار والصغار المحركة لما دونها من الاجسام والتي لها هي الاخرى ما يقابلها من ادوار حدود الدين الذين هم الاتماء والائمــة المحركون الانفس الى العبادة والتصور .

ففي المقالة الاولى يبدأ بتحليل وشرح هلية التفاوت في المخلوقين فيحدثنا عن الحركات الموجودة في الاجرام الطبيعية ويقسمها الى حركتين مستوية ومستديرة ، فالمستديرة لا ضد لها والمستوية لها اضداد ؛ وهكذا فان التي لا ضد لها افضل من التي لها ضد . ثم ينتقل ليبرهن ان الحركة المستديرة افضل من المستوية كما ان الجرم الذي يحمل الاولى افضل من الجرم الذي يحمل الثانية . وعندما يقسم الحركة المستوية الى علو وسفل يفضل العلو على السفل . وكل هذه البيانات يوردها ليدلل لنا على ان جميع الموجودات ، من نبات وحيوان ومعدن ، متفاوتة تفاوت الاجرام لان الأجرام لها تأثيرها في المخلوقات الطبيعية في عالم الكون والفساد ، كما ان هذه المخلوقات متفاوتة بالدرجة والمكانة ، وهذا هو بيت القصيد والغاية من كل ما قدمه . وكأني بالسجستاني أراد ان يقول ان الانسان افضل المخلوقات ، والانبياء هم افضل بني الانسان ، وأعلى رتبة ينالها الانسان من جهة نفسه واشرف درجة يبلغها بصفاء جوهره هو قبول الوحي الذي به يعلو الانسان على سائر ابناء جنسه وبه يغلبهم بما يدرك من المعارف الحقيقية بالقوة الناطقة ؛ على ان كل هذا يعتبر مقدمة للبحث ينتقل بعدها السجستاني ليؤكد ان الانبياء ايضاً بينهم تفاوت وان بعض المتفاوتين قد يدرك مرتبة غيره وان عالم العقول العليا لا يقع تحت تأثير التفاوت بوجه من الوجوه . اذن فغرض أبو يعقوب من المقالة الاولى الإثبات بأنه من اجل التفاوت استقامت امور العالمين ، وان النبوءة

هي اشرف شيء أرسل الى البشر ، وكل ذلك ببراهين معقولة وأدلة دامغة . وقبل ان ينتقل الى المقالة الثانية يتطرق الى بحث نظرية النبوءة التي اعتقدها وجعلها اساس عقيدته فيقول انها صعبة في نفوس المرتادين على اختلاف هممهم وتباين مزاجاتهم لان المشاركة بين الناس وأصحاب النواميس ظاهرة محسوسة من جهة الخلق والطبع والعادات ، والمباينة بينهم معقولة غير محسوسة ؛ ولهذا السبب أنكر اكثرهم النبوءة لأنهم قاسوا النبوءة بالمحسوس وأغفلوا المعقول . وينتقل السجستاني ليرد على الفرقة الثانية التي توهمت ان النبوءة لا تصح الا بان يكون النبي قادراً على اظهار الممتنعات فتحسب ان الممتنع ليس من اجل ذاته صار ممتنعاً بل من اجل عجزه عن اظهاره. ويرد على الفرقة الثالثة التي حسبت ان النبوءة تُدرك بالتعليم والاجتهاد ويبطل اعتقادها.

ولا يكتفي السجستاني بكل هذا ، بل نراه يأخـــذ بمناقشة المقرين بالنبوءات فيقسمهم الى فرق ثلاث : الاولى : الحشوية التي تمسكت بالاخبار والروايات من غير وقوف على الحقيقة ؛ والثانية : صاحبة التقليد التي اخترعت من عقولها استنباطات أوهمت الضعفاء انها حجج بالغة من غير وقوف على الحقيقة ؛ والثالثة : صاحبة الحقائق التي قبلت الدين من عترة النبي والوصي ، ووضعت الحق في موضعه ، فشهدت لها الآفاق والانفس والتراكيب والالفاظ المنطقية على صدق ما ادعته من قبولها النبوءة على يقين وبصيرة .

وعندما ينتقل الى المقالة الثانية يتحدث عن العقل الاول كأول موجود أرسل من الصانع الى المصنوعين . ثم يأخذ في بيان العلة التي لاجلها يختار الله بعض عباده للقيام بالرسالة . وينتقل بعد ذلك الى الرسل ويناقش كيفية إرسالهم ويفرق بين الانبياء والنطقاء ، لان النطق ، كما يفسره ، قسمان احدهما يتميز به الانسان عن البهائم وهو النطق عمّا في الدنيا والآخرة ، والثاني النطق عمّا في الدار الآخرة المتميز به اهل التأييد الذين يتكلمون عمّا وراء الحجاب وهو الذي لا يستطيع الاتيان به الانسان العادي بل يأتي من الانبياء . ويتضح من كتب الاسماعيليين التي بين ايدينا انهم اولوا قصص الانبياء لإثبات المقابلة بين عصر كل ناطق وعصر الناطق محمد .

والنطقاء عند الاسماعيليين هم اطباء النفوس ومنجموها . فكما ان الجسد محتاج الى من يحفظ عليه صحته او يعيدها اليه اذا فقدها ، فهكذا النفوس محتاجة الى من

يداويها ويهذبها ؛ والنطقاء هم الذين يفعلون ذلك . ولكن يجب ان نعرف من هم هؤلاء النطقاء .

فعند رجوعنا الى ما اورده دعاة الاسماعيليين نجد ان الصفات والخصال التي يجب ان يتصف بها النطقاء هي الوحي اولاً ، ثم اعلان الدعوة في الامة ، ثم تدوين الكتاب المنزل ، ثم ايضاح معانيه ، ثم وضع السنن ومداواة النفوس وتهذيبها ، ثم معرفة سياسة النفوس الشريرة ، ثم اجراء السنّة — الاحكام — في امور الدنيا جميعاً، ثم التزهيد في الدنيا ، ثم تفصيل احكام الخاص والعام .

ولمّا كان العقل اداة باطنة في الانسان به يبصر ما بطن ، كما ان العين اداة فيه ظاهرة يبصر بها ما ظهر ، وعمل هاتين الاداتين العقل والعين مقيد بشرط هو انه كما لا سبيل للعين على الابصار الا بنور خارج من الشمس والقمر والنور والنار ، فكذلك لا سبيل للعقل على تبصره الا برسول او وصي او إمام ، وهؤلاء هم للعقول وللبصر بمنزلة الشمس والقمر والنجوم .

وقد اثبت السجستاني في المقالة الثانية ان النطقاء كثيراً ما حظروا على اممهم ما رخصوه لأنفسهم وحظروا على انفسهم ما رخصوه لاممهم ؛ ويخلص الى القول انه في بعض الفترات يروج بعض الدعاة اكاذيب تصيبها الشهرة والدعوة كما تصيب دعوة الانبياء ولكن هذا الى حين .

وفي المقالة الثالثة ، ينقلب السجستاني الى فيلسوف اكثر عمقاً في فلسفة الاديان فيثبت النبوءة بالدلائل الدامغة من جهة الاجناس الطبيعية والانواع والفصول والخواص والاعراض والحركات والازمنة والامكنة والكون والفساد والقضاء والاختلاف والاضافة والافعال ، وكل هذا باسلوب فلسفي فيه العمق والمنطق والبيان الرائع .

وفي المقالة الرابعة يعود لاثبات النبوءة من جديد عن طريق العقل فيقول ان اول رسالة يؤديها العقل هي معرفة المبدع وبعده من جهة العقل ثم من جهة النفس ، ثم من جهة الاعداء ثم من جهة الفكر والحفظ والذكر والمحبة والغلبة والسعادة والشرف.

وفي المقالة الخامسة يثبت لنا السجستاني ان الانبياء هم من معدن واحد بالرغم من اختلاف أوضاعهم ؛ ثم يعود فيبرهن لنا ان النبوءة ليست متسلسلة من نسل الى آخر وسبب ذلك اختلاف الاوضاع ؛ ويعود بعد ذلك فيثبت لنا ان الرسول يُفضل

على الذين تقدموه بدرجة او درجات وذلك لانه نهاية كل النطقاء حتى القائم المنتظر ؛ واخيراً يحلل الفرق بين النبوءة والمملكة ويثبت ان المملكة لا تقوم الاّ بالنبوءة.

وفي المقالة السادسة يحدثنا عن الادوار والاكوار قبل عهد آدم وما هي مدتها ومعناها ؛ ثم ينتقل الى تعريف ادوار النطقاء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ودور القائم — المنتظر — وكيف يجب ان يظهر وسبب ظهوره وعلته ؛ ثم يعرف بان الدور لا يتم الاّ باثنين صامت وناطق ؛ ثم ينتهي بالحديث عن الفترة التي تقع بين الادوار وأدوار النطقاء وتعتبر هذه المقالة من اهم المقالات في الكتاب.

والمقالة السابعة التي فقدت من نسخ الكتاب كافة تعتبر من ادق المواضيع في الاعتقادات الاسماعيلية وأكثرها سرية واهمها بالنسبة الى — التقية — وهي مطابقة الحروف والكلمات والآيات والسور وعللها وأسبابها ومعانيها والحكمة من وجودها وخاصة في اوائل السور القرآنية والعلة التي وجدت من الشهادة والصلاة والحج والزكاة والمحكم والمتشابه في القرآن.

اذن ، بعد هذا العرض الموجز لما حفل بـه كتاب اثبات النبوءات من آراء وبيانات ونظريات ، يمكننا القول ان السجستاني توخّى من وضع كتابه « اثبات النبوءات» التأكيد ان النبوءة صدق وحق وانها هي الرئاسة الروحية للانسان ، وانها اعلى درجات البشر وكأني به أراد ان يجعل من كتابه جسراً يعبر عنه الى هدفه الذي يقوم على اعتقاده — بالأئمة — الذين هم خلفاء النطقاء بعد ذهابهم من هذا العالم وورثتهم والمتسلمين مراكزهم ومراتبهم ، وهذا هو جوهر العقيدة الاسماعيلية والعود الذي يعزف عليه السجستاني انشودته والهدف الذي يرمي اليه. وهكذا ففي كتاب إثبات النبوءات كل بيان رائع عن العقائد الاسماعيلية الصحيحة في ادوارها الاولى ، وإبان تأسيسها ، وهو يعتبر صورة صحيحة تمثل وجه النهضة العلمية الاسماعيلية في القرنين الثالث والرابع الهجريين التي تكلمنا عنها. وقد كان لا بد ، إزاء ما وفق اليه هؤلاء العلماء ، من قيام العلماء السنيين والمعتزلين والشيعيين للوقوف بوجه هذه النهضة وتجنيد القوى في سبيل ايقاف ذلك التيار الفكري الجارف والثورة العقلية التي غزت المجتمعات وأشهرهم : القزويني المتوفى سنة ٢٦٠هـ والفضل بن شاذان المتوفى سنة ٣١٧ هـ ، والكوفي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ، والكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وابن رزام ، والقيرواني النحوي ، والباقلاني ، وعبد القادر البغدادي ، والغزالي ،

وابن ابي الفضل اليماني ، والاصطخري ، والبستي وغيرهم . ولكن كل ذلك لم يوقف النهضة الاسماعيلية الفكرية عن نشاطها وتبليغ رسالتها وانتشارها ، ولم تثن دعاتهم عن الانتشار بين الناس للتبشير بعقيدتهم ، ومكاسرة العلماء والفقهاء اصحاب المذاهب الاخرى ، والرد على مخالفيهم وإفحامهم ؛ وقد ظهر صدى هذه الثورة العقلية في ابن سينا الاسماعيلي ، والمتنبئ القرمطي ، وأبي العلاء المعري الفاطمي ، والإمام الغزالي الذي انتهى اخيراً متأثراً بالاسماعيلية كما يظهر بكتابه « مشكات الانوار» .

والخلاصة :

فان كتابة اسطر قليلة او صفحات عديدة عن كتاب اثبات النبوءات نراها لا تفي بالموضوع ولهذا قررنا كتابة دراسة مطولة عنه سنجعلها ملحقاً له في المستقبل.

نسخ المخطوطة :

اعتمدنا نسخة — م — اصلاً للتحقيق ، وهي النسخة المصورة على « الميكروفيلم » التي سمح لنا بتصويرها من مكتبته الخاصة المرحوم الدكتور حسين همداني في القاهرة سنة ١٩٥٦ . امّا النسخة الثانية التي اشرنا اليها بحرف — س — فقد عثرنا عليها في مكتبة الصديق السيد الحكيم لقمان من مدينة — كمبالا — في اوغندا — افريقيا الشرقية سنة ١٩٥٦ ، وقد جاءت ، مع كل اسف ، رديئة الخط مليئة بالاغلاط. وممّا يجب ان نشير اليه ان المقالة السابعة لا وجود لها في النسختين ويظهر انها فقدت ايضاً من جميع النسخ الموجودة في الهند كما اخبرنا المستشرق — و . ايفانوف والعلاّمة فيضي ، وغيرهما من الباحثين . ومن الغريب ان النسخة — م — جاءت ايضاً خالية من الفصلين الحادي عشر والثاني عشر من المقالة السادسة بعكس نسخة — س — وهنا لا بد من ابداء الرأي حول الموضوع وهو انه لا يستبعد ان يكون الناسخ قد اضافها من عنده ، لان النسخ الاخرى الموجودة في الهند جاءت جميعها خالية من هذين الفصلين ، وقد اشرنا الى ذلك في مقالاتنا [1] التي كتبناها عن ابي يعقوب السجستاني وفلسفته واثره .

(١) ثلاث دعاة اسماعيليون — مجلة ثقافة الهند — الهند — عدد ديسمبر ١٩٥٥
— المغمورون في التاريخ — مجلة العرفان — صيداء — لبنان — عدد تشرين اول ١٩٥٩
— مخطوطة الرياض — مجلة آفاق — بيروت — لبنان — عدد تشرين ثاني ١٩٥٩

والآن :

فالى كتاب إثبات النبوءات نعب من معينه ... والى الفلسفة الكونية الخالدة نتفيأ ظلالها ... والى المزيد من هذه الكنوز الثمينة .

عارف تامر

في طي نوع التركيب فصار منتقى شامن جهة نظم ومرتبته
غير ذي صوت ثم ابتدى الناطق بالوقوف على النقش و
التركيب من ابتداء دوره الى انتهائه ثم امر بالابلاغ فكان
ابلاغه بلسان القوم ذا صوت ونظم واشارة وبما يفهم
لاساسه غير ذي صوت بل احاط بما فتح الناطق على
نقش الشرائع ونظم التنزيل وبما ادخر للقائم سلام الله
على ذكره يرجع الحال من الآخرية الى الاولية من الحال و
هو استغناءه عن الصوت ونقش التركيب ولنذكر لها صفة
دائرة مشتملة على ما يتصرف من الاحوال بكلام الله تعالى
من الابتداء والانتهاء وهي هذه



فالناطق سلام الله على ذكره صار واسطة بين الحدين

نسخة — ٢ —

نسخة — س —

الفصل السادس في ان من اجل التفاوت استقامت امور العالمين

ان العبارات المختلفة تدل على المعاني المتفقة وخاصة اذا
كانت العبارة من حكيم وللموجد الحكيم الدين صاحب
الفرقان عبر عن امر المبدع بحرفين احدهما متحرك والآخر
ساكن وهو النون وبين الحركة والسكون من التفاوت
من جميع الجهات ما لا يخفى على احد وجب ان يكون الامر الذي
هو علة الاشياء المبدعة انما ظهر من المبدع ليكون منه
الاشياء المختلفة المتفاوتة بحسب العبارة عنها المعنى عن العلة
الاولى التي هي امر المبدع سبحانه وكان اول معلول ظهر من
امر المبدع العقل الاول صورة انه مفيد الصور كهيئتها و
تمامية حال انبعاث المستفيد منه بما يفيده واستقام امر
الاصلين بالافادة والاستفادة من التفاوت ما به صلاح العالمين
ولما امتنع حدوث العالم في نقطة واحدة لامتناع ظهور
الحكمة في تلك النقطة كان واجبا ان يكون العالم مخترعا لا
في تلك النقطة لان الممتنع الكون لا يلائم الواجب الكون فاذا
ظهور الحكمة في نفس العالم من اجل كونه في طبائع مختلفة
وامكنة متضادة لتجري الامور على مجاريها الى غاياتها ونهاياتها
هو الذي اوجب ان يكون العالم في نفسه مختلفا متفاوتا

نسخة — م —

نسخة — س —

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

فسبحان المتعالي عن درك الصفات ، وإحاطة تصاريف اهل اللغات، لا تلحقه احكام التبديل ، ولا اختلاف التحويل ، ولا تعتوره هم الاعلام ، ولا حضور رويّات الافهام ، ولا جولان خواطر الأوهام ، لا ينال بحس ، ولا ينعت بجنس، ولا يخطر في الظنون ، ولا تراه العيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، ولا يشبّه بالناس .

المنزّه عن ضد مناف ، او ند مكاف، او شبه شيء ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، المتعالي عن شبه المحدودين ، المبائن عن ذوات الموجودين ، تحيّرت الأوهام في نعت جبروته ، وقصرت الافهام عن صفة ملكوته ، والألباب عن استشعارها معرفة ديموميته ، وكلّت الابصار عن ادراك كيفية عظمته ، الدال بتدبير التراكيب ، وتقدير التراتيب ، في السقف المرفوع ، والمهد الموضوع ، على ان ذلك محدث ، مبدع ، مخالف لمبدعه ، الذي ليس له مثل ، ولا شبه ، اذاً لذهب كل اله بما خلق[1] ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون . غير ذي ند ، لان الند انّما يناده مكاف ، ولا ذي ضد ، لان الضد انما يضاده مناف[2] ، دلّ على هويته بخلقه ، وآثاره ، وعلى اسمائه بانبيائه ، واخياره ، فليس للعقل في نيل سمائه مجال ، اذ ان تشبيه المبدع بمبدعاته محال . جلّ ان يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير ، او ان يكون

(١) في نسخة س جاءت بما وجد .
(٢) في نسخة س جاءت منافي .

له كفوءاً او نظير ، ونشهد شهادةً ، هي فاتحة الاحسان ، ومرضات الرحمن ، ان لا اله إلاّ الذي لا يبلغ مدحه قائل ، ولا ينقص خزائنه نائل ، والحمد لله الذي جاء بتأييس الأيسيات ، لا من ايس ، ومنّ باظهار الخباء والخفيّات ، لا من قوة ، الذي بجوده ابرز في اول ايس صور الأشياء كلها ، دفعة واحدة من غير تقديم ولا تأخير ، [اتحد الجود ، بالمجود عليه ، واتحد المجود بالجودية] كبروز اللطائف ، والكثائف ، لم ينجس خطه ذرة واحدة مع صغرها ، وقلتها ، ولا خط المحرك لهذه الدوائر الفلكية مع شرفها ، وسعتها ، عن الأيس الأول ، بل الاشياء متفاوتة ، متضادة ، متساوية في حيز(١) الأيس الأول من جهته ، مختلفة من قبلها ، عاجزة ، كلّت افكار الأيسيات عن ادراك المؤيس ، وعجزت الخواطر عن الإحاطة بمبدأ الأيسيات ، ومنتهى الخفيّات ، فضلاً عمن جاد بها ، فلا اله معه في هذه القدرة ، ولا نظير له في هذا الجود ، ولا مثال عنده في هذا التدبير ، ولا مادة لديه في هذا الابداع ، ولا حاجة له الى هذا الاختراع ، ولا ضرورة به في هذا الانشاء ، فهو في هذه القدرة ، والجود ، والتدبير ، والاختراع ، والانشاء مقدس ، منزّه عن ان يدركه احد ، او يحيط بجلالة قدرته أيس .

الذي غرس في أول أيس صورة كل جلي وخفي ، وجعله سابقاً عند كل آخر وبدء ، فهو الذي سبحه ، وقدسه عن كل لفظ وضمير ، ونزّهه عن كل اشارة عنده وتقدير . سبحانه من اله قام بأمره الواحد هذان العالمان مع ما فيهما من عجائب الحكمة ، وبدائع التدبير ، الذي لو قاس العاقل اللبيب ، كيفية كون ادنى المخلوقين ، مع اشرفهم في دفعة واحدة ، لحار عقله وتاه ، ولو تفكّر فيهما الفطن الأديب(٢) ، لرجعت فكرته حاسرة كليلة ، فكيف يقدر احد على ان يدرك المبدع الحق الذي بأمره قام العالمان ، مع ما فيهما من التفاوت ؟ ، لا ولا احد يقدر ان يدرك تسبيحه ، وتقديسه حق سبحانيته وقدسانيته . الذي افاض على الأيس الاول من الانوار ، والضياء ، ما لا يعرف احد وراءه شيئاً ، وانّى يعرف شيئاً ، وراء ما افاضه عليه المؤيس ، وليس لما افاض عليه غاية ، ولا نهاية ، عند الأيس ، وإن كان متناهياً عند المؤيس ، فهو الجواد الحق ، بالامر المبدع

(١) في نسخة س جاءت خير .
(٢) في نسخة م جاءت الاريب .

للعالمين ، دفعة واحدة ، لكن الذي من سعة جوده ، وقدرته ، ترك تدبير العالمين ، بما فيهما من اللطيف والكثيف ، مع السابق الأول ، فجعله رب الارباب ، والمرجع اليه في مرور الاحقاب ، واستغنى بجلالة كلمته عن تدبير جديد في اختلاف الحركات ، والادوار ، لانه بأمر واحد اخترع الأيسيات دفعةً واحدةً ، كما شاء وأراد ، لا حاجة له بعد ذلك الى تحويل وتغيير ، الذي جعل السابق ينبوع كل نور روحاني ، وجسماني ، وبرز في أوليته انبعاث صورته القابلة منه ، فأشرق من نور كلمته عند نظره في معرفة ذاته ، فقام المنبعث من بين حركة له كما يخرج به من القوة الى الفعل ، وبين سكون له لما قد استفاد منه ، فجرى من حركاته التراكيب من السموات والانجم ، وجرى من سكونه التأييد ، الذي يقذف في قلوب المصطفين من عباده ، فقام الزوج الاول بالعبودية الخالصة ، بنفي ما يوجد في اول حالة المخلوق من الزوجية ، وما يلزم الزوج والأزواج من التشبيهات ، وترك تعطيل الفردية ، عند الذي لم يشركه مخلوق لطيف ، وكثيف في الفردية بالحقيقة .

وأشهدُ ان لا اله الاّ الله وحده لا شريك له ، المتعالي عن الاشباه ، والاضداد ، المتكبر عن الاكفاء والانداد ، المتجبر عن الولادة والأولاد ، المتقدس عن المقدار والاعداد ، الذي علا بجوده عن صفات كل مخلوق ، وعن سمات كل مربوب ، لا يقدر العقل مع جلالة مرتبته ، وسمو رفعته ، وأصناف قواه ، على ان يدرك شيئاً من جلالته ، او ان يحيط بأدنى قدرة من قدرته ، التي بها ابدعه ، اقراراً باينيته ، ثم يبقى بعد الاقرار متحيراً ، كليلاً في نفي ما يتصوّر عنده من اثباته اثباتاً بعد نفي ، ونفياً بعد اثبات ، ولا يبلغ مرتبته الاّ بما تحيط قوته من اثبات محض الإقرار ، بالعجز والخضوع لمن ابدعه وأعجزه وأظهره ، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون ، علوّاً كبيراً .

وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، الذي به لمع نور التأييد ، القائم في العالم للتسبيح والتجريد ، والناشر بين عباده محض البركات ، ومخرجهم الى النور من الظلمات ، والساعي في احياء الانفس الميتة بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والسائس امته بأجمل السياسات ، وأبلغ الرسل في الوضع والقياسات ، لم يدع فما رسم حجة ، الاّ اقامها ، ولا بيّنة الاّ اظهرها ، حتى انقادت له الاحبار والرهبان(١) ، وخضع

(١) في س وردت الرهبانية .

لكلامه جميع اهل الاديان ، لم تنفر عن رسومه النفوس الزكيّة ، ولا حادت عن بيانه الاذهان الرضيّة ، تشهد العقول بغرائزها ، والتراكيب بمراكزها ، لصدق ما اتى به من نور الله ، ولبرهان ما اورده من حق الله ، خاتم الانبياء والمرسلين ، وسيد الخلائق اجمعين ، صلّى الله عليه عند اتحاد امر الله بالسابق ، وعند اتصال خط التالي اليه من السابق ، وعندما يطرق الجد بحظ الناطق اليه من الأصلين ، صلاة تدنيه الى مرتبته التي اعدها له الله ، وأزلفه بها لديه . صلاة تملأ ارضه من بركات حكمته ، وتشفع له بذلك في امته . صلاة بها تبقى الامامة والخلافة في نسله ، وعقبه الى يوم القيامة ، وعلى من اختاره الله لإنشاء التأويل ، وجعله باب صاحب الشريعة والتنزيل ، المجدوع في صلبه نسل الامامة الراشدين ، والخلفاء المهذبين ، وساقي المؤمنين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، من حوض خاتم النبيين[1] ، الذي به وبقيامه اكمل الله الدين . وأعز صلاة ، وأسناها ، على خلفاء النطقاء ابواب صاحب القيامة ، الذين هم أئمة ادوارنا ، اوفر صلاة ، وأوفاها ، وعلى خلفاء صاحب القيامة ، بتكملة السبع المثاني ، الذين بهم تشرق الارض بنور ربها ، امجد صلاة ، وأزكاها ، وعلى المقتبسين من بركات علومهم السلام ورحمة الله.

امّا بعد فبالأنجم الزاهرة لدينا من تلقاء اولياء الله المنصوبين في بقاع الارض، لنشر العلوم الملكوتية نبتدئ ، وبالبركات الممنوحة من قبلهم على عبيدهم المخلصين، لهم في العسر واليسر ، والسر والجهر ، نقول : في اثبات النبوءة ، وما يلحقها من جهة المقرين بها ، والمنكرين لها .

ان تقرير اثبات النبوءة في نفوس المرتادين ، مع اختلاف هممهم ، وتباين مزاجاتهم ، من الامور الصعبة ، التي لا بد فيها من غوامض البحث ولطائفه ، اذ المشاركة بين الناس وبين اصحاب النواميس ظاهرة محسوسة[2] ، وبين جهة الخلق، والطبع ، والعادات المباينة بينهم ، معقولة غير محسوسة ، ولهذا السبب وقع الانكار من اكثرهم للنبوءة ،اذ قاسوا النبوءة بالمحسوس ، وغفلوا عن المعقول ، كما قال الله جلّ جلاله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ، وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ يعني ان

(١) وردت في نسخة س الانبياء .
(٢) سقطت في نسخة س .

سبب منعهم عن الايمان بالنبي صلّى الله عليه وآله ، انّما كان من اجل قياسهم بما وجدوا ، والمشاركة بينهم وبين الرسول من جهة البشرية المحسوسة ، وإغفالهم عن الفضل الذي للرسول عليهم من جهة اللطافة المعقولة ، كما اخبر العزيز العليم استفظاعهم جرى الرسول على عادتهم ، او طباعهم من جهة التركيب ، فقال جلّ جلاله : ﴿ وقالوا مَالِ هَذَا الرسُولِ يأكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا انزلَ إليه مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نذيرًا ﴾ . ﴿ أَوْ يُلْقَى اليه كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يأكُلُ منها ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا ﴾ ، اي كما نأكل ، ونمشي ، فحسبوا بجهلهم ، وسوء تمييزهم ان اكل الطعام ، والمشي في الاسواق ، مانعان النبي عن درك النبوءة ، وبما وجدوا انفسهم غير مدركة للنبوءة ، مع اكلهم الطعام ، وشربهم الشراب ، وجريهم على عادات القوم ، رحمة من الله تعالى ذكره عليهم ، ليتهيأ لهم القبول منهم ، بأداتهم الجسدانية ، عند الاداء ، ولا بد للأداة الجسدانية من الطعام والشراب ، والتصرف في المعاش ، فهذه اول فرقة من المنكرين للنبوءة ، والفرقة الثانية من المنكرين للنبوءة قالوا[1] انها لا تصح الا بان يكون النبي قادرًا على اظهار الممتنعات، وحسبوا ان الممتنع ليس من اجل ذاته صار ممتنعاً ، بل من اجل عجزه عند اظهاره ، كما حكى الله تعالى ذكره عنهم قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الارضِ يَنْبُوعاً ﴾ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ الى قوله : ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ اوْ ترقى في السَّماء ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولا ﴾ . فأمر الله ان يجيبهم عمّا سألوه بجواب شاف موجز قوله: ﴿ قُلْ سبحانَ رَبِّي هَلْ كنتُ إلاَّ بشرًا رسولا ﴾ . يعني انا وأياكم في باب اظهار الممتنعات سواء ، وان كنتُ رسولاً اليكم بالفضل الموهوب لي دونكم . والفرقة الثالثة[2] من المنكرين للنبوءة هم قوم حسبوا ان النبوءة تدرك بالاجتهاد والتعليم ، ووجدوا انفسهم قد بلغوا من العلم

(١) سقطت في نسخة م .
(٢) في نسخة س وردت الثانية .

المبلغ الأقصى ، حتى لم يقنعهم شيء من علوم الطبيعيات ، والرياضيات ، وأدركوا الجواهر التي هي خارجة من الطبيعة ولم يجدوا للنبوة في انفسهم موضعاً ، ولا وقعوا على كيفيتها ، فأنكروها ، ونسبوها الى الدولة ، والمملكة . ولم ينظروا في امر الدول ، والممالك ، وما بينهما ، وبين النبوة من البعد والبون الشديد من الوجوه التي نذكرها في بعض فصول هذا الكتاب ، ولو علموا ان درك النبوة بالتعلم ، كما ان درك التعلم بالحس ، دون النطق ، لما وقعوا في هذا الجهل العظيم ، واماّ المقرون بالنبوة فهم ايضاً على ثلاثـــة اصناف : صنف منهم الحشوية ، قلدوا امر النبوة الى الآباء والاسلاف ، وتمسكوا بالاخبار والروايات ، من غير وقوف منهم على حقيقة النبوة ، وأعظم حججهم في اثبات النبوة السفاهة على المنكرين لها ، والصنف الثاني ايضاً منهم هم : اصحاب التقليد ، غير انهم اخترعوا من تلقاء انفسهم استنباطات اوهموا الضعفاء انها حجج بالغة ، من غير وقوف منهم على حقيقة النبوة ، وما فيها من الوجوه التي يصح اثبات النبوة بها ، والصنف الثالث هم : اهل الحقائق الذين قبلوا الدين من عترة النبي والوصي ، ووضعوا الحق في موضعه ، الذي جعله الله فيه ، ووصلوا ما امر الله به ان يوصل ، فشهدت الآفاق ، والانفس ، والتراكيب ، والالفاظ المنطقية لهم على صدق ما ادعوه من قبولهم النبوة [١] على بصيرة ويقين ، وهم الذين وصفهم الله في كتابه ، قوله عز وجل : ﴿وَاكْتُبْ لَنَا في هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفي الآخرةِ ، إنَّا هُدْنَا إليكَ : قَالَ عَذَابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أشاءُ﴾﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والذينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ : وهو التأييد الجاري من السابق الى التالي ، والنطقاء في السر والكتمان ، يسع لسياسته دور واحد ، وإقامة شريعة واحدة ، والعبارة لكتاب منزل ، فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، يعني فسأثبتها لمن اطاع الناطق ، ثم الاساس ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، يعني بالائمة في كل دور ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ﴾ ، يعني الذين يعرفون رسالة الرسول من جهة رسوم العلوم الحقيقية ، ﴿وَالَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ في التَّوْرَاةِ وَالانْجِيلِ﴾ يعني منقوشاً في انفسهم ، وتراكيبهم ، مصادقاً لاثبات نبوته ، ﴿يَأْمُرُهُمْ

(١) سقطت في نسخة س .

بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ ، وَنَصَرُوهُ ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني ان الذي يأمرهم به متعارف في عقولهم [١] ، وغرائزهم عند البحث ، والذي ينهاهم عنه ، هو الذي تنكره العقول ، وتنفر عنه النفوس ، عند الفحص ، ويحل لهم الطيبات ، وهي الحكم والعلوم ، التي يفتح لهم من بركات علومه ، ويحرم عليهم الخبائث ، يعني ويحرم عليهم ولاية الاضداد ، الذين آمنوا به ، يعني بظاهر رسالته ، وعززوه ، ونصروه في اقامة الظاهر ، واتبعوا النور الذي انزل معه ، وهو الحقائق ، والعلوم المستورة ، في تنزيله وشريعته ، اولئك هم المفلحون ، يعني هم الذين افلحوا ، وفازوا ، وتخلصوا من الشكوك ، والشبهات ، جعلنا الله منهم بمنه ، وكرمه .

وإذا اردنا ان نبتدئ باثبات ما اردنا اثباته من امر النبوة والرسالة ، قسمنـــا كتابنا هذا الى مقالات . والمقالات الى فصول . ليكون ذلك اقرب مأخذاً للتعلم ، وأسهل وجوداً للناظر ، وليكون كل فصل من الفصول يشتمل على إبانة شيء يُستغنى بظهوره عن غيره في اثبات هذا المعنى ، الذي قصدناه ، وقد صيّرنا كتابنا هذا سبع مقالات : كل مقالة اثني عشر فصلاً :

المقالة الاولى	: في الإبانة عن التفاوت الموجود في المخلوقين .
المقالة الثانية	: في انه لمّا ثبت ان لهذا العالم صانعاً حكيماً ، وجب ان يكون منه رسولاً الى المصنوعين.
المقالة الثالثة	: في اثبات النبوة من جهة الاشياء الطبيعية .
المقالة الرابعة	: في اثبات النبوة من جهة الاشياء الروحانية .
المقالة الخامسة	: في ان الانبياء كانوا متفقين في الحقائق ، وان كانوا مختلفين في الظواهر .
المقالة السادسة	: في كمية ادوار النطقاء ، وما بين كل دور ، والدور الآخر .
المقالة السابعة	: في العجائب الموجودة في القرآن والشريعة ، والدالة على اثبات نبوة محمد صلّى عليه وآله.

(١) سقطت في نسخة س .

– فصول المقالة الاولى –

الفصل الاول : في هلية التفاوت .
الفصل الثاني : في مائيته .
الفصل الثالث : في كيفيته .
الفصل الرابع : في لميته .
الفصل الخامس : في ان المتفاوتين بينهم اتفاق في بعض الوجوه .
الفصل السادس : في ان من اجل التفاوت استقامت امور العالمين .
الفصل السابع : في ان التفاوت لا يرتفع جملة .
الفصل الثامن : في ان افضل المتفاوتين في هذا العلم هم البشر .
الفصل التاسع : في ان افضل البشر هم الرسل .
الفصل العاشر : في ان بين الانبياء ، وان كانوا في غاية الفضل تفاوت .
الفصل الحادي عشر : في ان بعض المتفاوتين ، قد يدرك مرتبة غيره .
الفصل الثاني عشر : في ان ليس في عالم العقل تفاوت بوجه من الوجوه .

– فصول المقالة الثانية –

الفصل الاول : في ان اول رسول من الصانع الى المصنوعين انما هو العقل.
الفصل الثاني : في العلة التي من اجلها يختار الله عز وجل بعض عباده للرسالة.
الفصل الثالث : في كيفية ارسال الرسل .
الفصل الرابع : في ان يكون بين الرسل وبين المرسل واسطة ام لا .
الفصل الخامس : في ان عبادة الله بغير واسطة الرسل في العالم الجسماني باطلة.
الفصل السادس : في ان الامر والنهي من الآمر فضل على المأمور به .
الفصل السابع : في العلة التي من اجلها يجب قتل الجاحدين للرسل .
الفصل الثامن : في العلة التي من اجلها لم تكن النبوءة متصلة من جهة الشريعة.
الفصل التاسع : في العلة التي من اجلها رخصوا لانفسهم ما حظروا على اممهم ، وحظروا على انفسهم ما رخصوا لاممهم .
الفصل العاشر : في العلة التي من اجلها يجب نسخ الشريعة .
الفصل الحادي عشر : في العلة التي من اجلها يقع بين الشريعتين مشاركة من جهة التحليل والتحريم .

الفصل الثاني عشر : في العلة التي من اجلها يروج لبعض المخترعين الكذابين ما يروج للرسل من السوق والدعوة .

– فصول المقالة الثالثة –

الفصل الاول : في اثبات النبوءة من جهة الاجناس الطبيعية .
الفصل الثاني : في اثباتها من جهة الانواع الطبيعية .
الفصل الثالث : في اثباتها من جهة الفصول الطبيعية .
الفصل الرابع : في اثباتها من جهة الخواص الطبيعية .
الفصل الخامس : في اثباتها من جهة الاعراض الطبيعية .
الفصل السادس : في اثباتها من جهة الحركات الطبيعية .
الفصل السابع : في اثباتها من جهة الازمنة .
الفصل الثامن : في اثباتها من جهة الامكنة .
الفصل التاسع : في اثباتها من جهة الكون والفساد .
الفصل العاشر : في اثباتها من جهة القضاء والاختلاف .
الفصل الحادي عشر : في اثباتها من جهة الإضافة .
الفصل الثاني عشر : في اثباتها من جهة الافعال .

– فصول المقالة الرابعة –

الفصل الاول : في ان في نفس الحكمة وجوب الرسالة .
الفصل الثاني : في ان اول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع سبحانه وتعالى .
الفصل الثالث : في اثبات النبوءة من جهة العقل .
الفصل الرابع : في اثباتها من جهة النفس .
الفصل الخامس : في اثباتها من جهة الاعداد .
الفصل السادس : في اثباتها من جهة الفكر .
الفصل السابع : في اثباتها من جهة الحفظ .
الفصل الثامن : في اثباتها من جهة الذكر .
الفصل التاسع : في اثباتها من جهة المحبة .

الفصل العاشر : في اثباتها من جهة الغلبة .
الفصل الحادي عشر : في اثباتها من جهة السعادات .
الفصل الثاني عشر : في اثباتها من جهة الكرم والشرف .

— فصول المقالة الخامسة —

الفصل الاول : في ان قبول الانبياء من معدن واحد وان اختلفت أوضاعهم.
الفصل الثاني : في كيفية قبول الرسالة من المرسل .
الفصل الثالث : في كيفية كلام الله تعالى ذكره في العلة التي من اجلها يتقدم قبل ظهور النطقاء في عالم الفساد.
الفصل الرابع : في العلة التي من اجلها تقدم قبل ظهور النطقاء في عالم الفساد.
الفصل الخامس : في ان النبوءة لم تنتقل من نسل الى نسل آخر والعلة فيها .
الفصل السادس : في ان من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد.
الفصل السابع : في ان كل رسول يفضل على الذي تقدمه بدرجة او درجات.
الفصل الثامن : في ان نهاية الكل من الرسل الى القائم سلام الله عليه .
الفصل التاسع : في ان بالرسل تم صلاح العالمين .
الفصل العاشر : في الفرق بين النبوءة والمملكة ، وفي ان المملكة لا تقوم الآ بالنبوءة .
الفصل الحادي عشر : في علة وجوب الشريعة .
الفصل الثاني عشر : في كيفية رفع الشرائع ولماذا ؟

— فصول المقالة السادسة —

الفصل الاول : في معنى اسم الدور .
الفصل الثاني : في الأدوار التي كانت قبل آدم .
الفصل الثالث : في دور آدم وتوبته .
الفصل الرابع : في دور نوح واخباره وسفينته .
الفصل الخامس : في دور ابراهيم وآثاره ودرجته .

الفصل السادس : في دور موسى وآياته ومنقبته .
الفصل السابع : في دور عيسى وأشياعه وغيبته .
الفصل الثامن : في دور محمد وأنصاره وهجرته .
الفصل التاسع : في دور القائم ورسومه وصورته .
الفصل العاشر : في ان الدور لا يكون الآ من اثنين صامت وناطق .
الفصل الحادي عشر : في الفترة التي تقع في الادوار .
الفصل الثاني عشر : في ادوار النطقاء .

— فصول المقالة السابعة —

الفصل الاول : في الحروف والكلمات والآيات والسور .
الفصل الثاني : في أوائل السور وأواخرها .
الفصل الثالث : في اوائل السور المعجمة .
الفصل الرابع : في الاسرار المكتومة في الشهادة .
الفصل الخامس : في الاسرار المكتومة في الصلاة .
الفصل السادس : في الاسرار المكتومة في الزكوة .
الفصل السابع : في الاسرار المكتومة في الصيام .
الفصل الثامن : في الاسرار المكتومة في الحج .
الفصل التاسع : في مكارم الاخلاق الموجودة في القرآن .
الفصل العاشر : في اتفاق القرآن مع التراكيب .
الفصل الحادي عشر : في كيفية الجواهر .
الفصل الثاني عشر : في كيفية المحكم والمتشابه .

المقالة الاولى

في الإبانة عن التفاوت الموجود في المخلوقين

الفصل الاول من المقالة الاولى :

« في هلية التفاوت »

لمّا كانت الحركات الموجودة في الاجرام الطبيعية على[1] نوعين : حركة مستوية، وحركة مستديرة ، وكانت الحركة المستديرة لا ضد لها ، اذ ليس لها ، او لشكل الجرم الحامل لها ، ضد ، كانت الاضداد اذاً موجودة في الحركة المستوية ، وان ما لا ضد له ، افضل ممّا له ضد ، فإذاً الحركة المستديرة افضل من الحركة المستوية، وإذاً الجرم الحامل للحركة المستديرة ، افضل واكرم من الاجرام الحاملة للحركات المستوية المتضادة . ثم وجدت الحركة المستوية المتضادة ، منقسمة الى العلو والسفل، وكان ما يتحرك من الاجرام بتلك الحركة علواً هو الخفيف ، والذي يتحرك سفلاً هو الثقيل ، وكان الافق والعلو اقرب الى الجرم المستدير ، والسفل والوسط ابعد من الجرم المستدير ، وكانت الحركة[2] التي الى العلو ، افضل من الحركة التي الى السفل ، لان الجرم الذي يتحرك الى العلو ، افضل وألطف من الجرم الـــذي يتحرك الى السفل . فإذاً التفاوت موجود في الاجرام الطبيعية من جهة حركتها ، ومن جهة ثقلها ، وخفتها في الجرم المستدير ، التي توجد الديمومة في كليته ، وفي جميع اجزائه، ويكون غير قابل للكون والفساد، والاجرام التي دونه مستحيلة ، بعضها الى بعض ، لا من جهة كلياتها ، بل من جهة جزئياتها ، وكان ما هو ثابت على حاله ، افضل واشرف ممّا هو مستحيل . فإذاً التفاوت موجود في العالم ، من جهة ثبات بعض اجزائه ، واستحالة بعضها .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

ثم ان جميع المواليد من النبات ، والحيوان ، والمعادن ، متفاوتة كلها من جهة ما تؤديه كل حاسة الى الحاس ، وذلك ان جميع ما تؤديه حاسة البصر ، الى الحاس من ادراك الالوان . متفاوت ، ولبعضه الفضل والشرف على البعض الآخر ، وان لون الياقوت وصفاءه ، افضل وأشرف من لون الكبريت ، وهكذا حاسة السمع لإدراك الاصوات ، والنغم ، وحاسة الشم لإدراك الأرائح [1] ، وحاسة الذوق لإدراك الطعوم ، وحاسة اللمس لإدراك السطوح ، من اللين ، والخشونـة ، والحرارة ، والبرودة. وكذلك النبات فان له من جهة تنشفه لقبول النماء ، الفضل والشرف على المعادن العاجزة عن قبول النمأ ، ما بتلك القوة اعطي التسليط على المعادن ، ولعدم المعادن اياها صارت مسخرة تحته ، وهي اعني النبات في الوانه متفاوت ، مختلف ، كالتفاوت الذي بين السكر والباش اللذين احدهما ، وهو الباش قتال [2] مهلك ، والآخر السكر الذي يلطف الأغذية في المجاري التي بها حياة الابدان ، وكالتفاوت الذي بين الاترج والحنظل مع طيب احدهما ، ونتن الآخر . بل كل شجرة في نفسها متفاوتة ، وذلك ان ثمار الاشجار ، افضل من اوراقها ، ولب الثمر افضل من تفله .

وهكذا الحيوان . فان له من جهة حركاته لقبول الحس ، الفضل والشرف على النبات العاجز عن قبول الحس ، ما بتلك القوة اعطي التسليط على النبات ، ولعدم النبات اياها صار مسخراً تحته ، وهو اعني الحيوان الذي في انواعه تفاوت مختلف ، كالتفاوت الذي بين الفار والفرس من جهة صورة كل واحد منهما ، ومن جهة تعلم احدهما وهو الفرس اداب الانسان ، وعجز الآخر وهو الفار . وكالتفاوت الذي بين الحملان والحيّات . واحدهما مهلك ، والآخر مغذي ، وكالتفاوت الذي بين الخنفساء وفارة المسك . واحدهما منتن ، والآخر طيب الريح [3] .

وهكذا الانسان ، فان له من جهة قبوله النطق ، والتمييز ، والفكرة ، والخاطر ، الفضل والشرف على الحيوان العاجز عن قبولها ما بتلك القوة اعطي التسليط على الحيوان وبعدم الحيوان اياها صار مسخراً تحته وهو اعني الانسان الذي في

(١) وردت في نسخة س الروائح .
(٢) وردت في نسخة س قاتل .
(٣) وردت في نسخة س الرياح .

اشخاصه متفاوت ، كالتفاوت بين الصالح والطالح ، والعالم والجاهل ، والحليم والسفيه ، والعادل والجائر . وكل شخص من اشخاص الحيوان ايضاً متفاوت من جهة اجزائه . فان حاسة البصر افضل من حاسة الذوق ، والشم ، وكذلك الدماغ ، افضل من الكبد ، والطحال ، ولا ترى جزء اكبر واصغر ، الآ وفيه ما هو افضل ، وفيه ما هو ادنى ، ليكون وجود التفاوت في الاجزاء ، كوجوده في الكليات ، ولو اخذنا في وصفه لطال به الكتاب .

وهكذا الانبياء صلوات الله عليهم ، فانّ لهم من الفضل والشرف على الانسان ، بالقوة الموهوبة لهم من القدس ، والتأييد المنزل عليهم ما بتلك القوة ، اعطوا الترأس والتسليط [1] على الانسان ، ولعدم الانسان اياها ، وعجزه عن قبولها ، صار مقهوراً مسخراً ، تحت احكامهم ، وسياساتهم .

وفي الجملة فليس دليل على وجود التفاوت في الاشياء ، باظهر من وجود الاختيار في الانسان . فانه ابداً يختار الافضل ، ويترك الارذل ، ولولا ذلك لكان الاختيار باطلاً ، ولو لم تكن الاشياء في ذواتها متفاوتة ، مختلفة ، لما امكن للحواس ادراك المحسوس البتة ، فان حاسة البصر انمّا وجدت لإدراك المبصرات ، لما فيها من الاختلاف والتفاوت ، وإن ادركت شيئين متساويين في الجوهرية ، والصورة ، والصيغة ، فأدّت الى الحواس بانهما اثنان ، فانما تؤديه بواسطة الهواء ، والتفاوت بين الهواء ، وبين المواليد الطبيعيّة موجود ، فإذاً جملة العالم من الحركات ، ومن جهة الدوام ، والاستحالة ، ومن تفاوت مواليده في الحواس ، ومن جهة وجود الاختيار في الانسان ، ومن جهة تعذر ادراك المحسوسات بالحواس ، الآ من جهة تفاوتها ، متفاوتة ، مختلفة كلها ، ولا شك في وجوده .

الفصل الثاني من المقالة الاولى :

« في مائية التفاوت »

لمّا كانت المائية انما هي جواب عن جنس معقول على كثيرين مختلفين بالانواع . او عن نوع مقول على كثيرين مختلفين بالاشخاص ، ولم يوجد غير المتفاوت يقال عليه ، وعلى المتفاوت ، من جهة جنس حاوٍ عليهما ، الآ العلة

(١) سقطت في نسخة س .

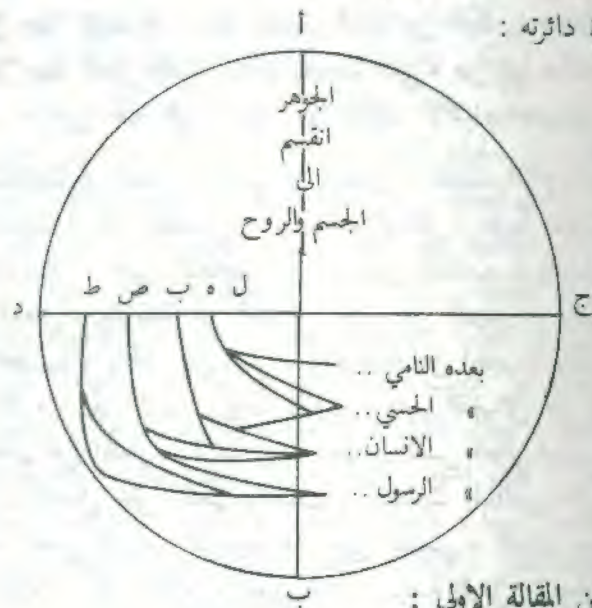
الاولى التي بها ابدع السابق غير المتفاوت ، والاشياء المتفاوتة المبروزة فيه ، اعني في السابق . فإذاً مائية التفاوت ابداع البـــاري ، جنساً للايسيات كلها ، سواء المتفاوت ، وغير المتفاوت ، ووقوع القرب ، والبعد ، فضلاً يفضل الافضل من الادنى ، الى ان يبلغ عالم الطبيعة ، فتكون مائية التفاوت وجود الطبيعيات في الجوهر المطلق(١) ، بمعنى واحد في باب الجوهرية ، وتخلف المواليد بعد تقسم الجوهر المطلق في ذاته ، الى الجسم والروح عن القسم الأفضل منه ، وهو الروح ، ونيل الفضيلة ، ودنو المواليد من القسم الافضل من الجوهر ، وهو الروح ، وانما قلنا : ان قسماً منه افضل ، وقسماً منه ادنى ، لان القسم الذي للجسم ابداً يقبل ، والقسم الذي للروح ابداً يفعل ، وللفاعل ابداً فضل على القابل ، فكل من دنا من المواليد من القسم الفاعل ، والافضل بدرجة ، كان افضل من الذي لم يدن منه بدرجة ، كما ان النبات لمّا دنا اليه بقبول النماء ، استفضل على الذي لم يدن منه بتلك الدرجة ، مثل المعادن ، والذي دنا منه بدرجتين ، استفضل على الذي دنا منه بدرجة ، كالحيوان لمّا دنا منه بالنما والحس ، استفضل على الذي دنا منه بالنما وحده ، والذي دنا منه بثلاث درجات ، استفضل على الذي دنا منه بدرجتين ، كالانسان لمّا كان دنوه اليه بالنما والحس(٢) والنطق ، استفضل على الحيوان الذي دنا بالحس والنما فقط ، والذي دنا منه بأربع درجات ، استفضل على الذي دنا منه بثلاث درجات ، كالرسل صلوات الله عليهم ، لمّا دنوا منه بالنما والحس والنطق والقدس ، استفضلوا على الانسان الذي دنا منه بالنما والحس والنطق ، فكملت المراتب الأربع ، واستقرت عليها .

ولنصور دائرة لدنو المواليد من القسم الافضل من الجوهر . ولنجعلها دائرة [أ. ب. ج. د.] ، ونخرج القطر من وسط الدائرة من [أ] الى [ب] ونقسم الجوهر على خط القطر بقسمين : قسم منهما للجسم ، وقسم منهما للروح ، ونخط تحت الروح خطاً ، نسميه خط [ل. س.] ونخط في اسفله اربع خطوط في الطول متصلة ونسميها خطوط [ه ب ص ط] ونجعل خط(٣) [ه] للنما ، وخط [ب] للحس ،

(١) في نسخة س وردت المنطلق .
(٢) سقطت من نسخة س .
(٣) وردت في نسخة م خطه .

وخط [ص] للنطق ، وخط [ط] للقدس ، ثم نصل النامي بخط [ه] ونصل الحسي بخـط [ه] و [ب] ونصل الانسان بخطوط [ه] و [ب] و [ص] ونصل الرسول بخطوط [ه] و [ب] و [ص] و [ط] ، فلمّا اتصل الرسول بالخط الرابع من الخطوط المتصلة بخط [ل] و [س] فهو خط الروح ، احاط بجميع المواليد ، ووقعت المواليد تحته ، وجرت احكامه عليهم .

وهذه صورة دائرته :



الفصل الثالث من المقالة الاولى :

« في كيفية التفاوت »

ان كيفية التفاوت تنقسم الى قسمين : كيفية التفاوت في الجسم ، وكيفية التفاوت في النفس ، وامّا كيفية التفاوت في الجسم فتنقسم الى قسمين : كيفية التفاوت في الحس — وكيفية التفاوت في الذات ، وان المتفاوت في الحس ينقسم الى خمسة اقسام : متفاوت في حس البصر كالالوان والاشكال . ومتفاوت في حس السمع كالاصوات والنغم(١) . ومتفاوت في حس الشم كالأرائح . ومتفاوت في حس الذوق كالطعوم . ومتفاوت في حس اللمس كالملموسة . والمتفاوت في الذات ينقسم الى خمسة اقسام ايضاً : متفاوت في الكم . ومتفاوت في المكان . ومتفاوت في الزمان .

(١) في نسخة س وردت النغمات .

ومتفاوت في الإضافة . ومتفاوت في الفعل والقوة . وامّا المتفاوت من جهة الكم ، فكما يتفاوت الصغير عن الكبير ، والقليل عن الكثير . وامّا المتفاوت من جهة المكان فكما يتفاوت نوع عن نوع مثله ، من جهة المكان ، كتفاوت الثمر عن الثمر ، والزبيب عن الزبيب . وامّا المتفاوت من جهة الزمان ، فكما تتفاوت الاشجار في الربيع من جهة زهورها[1] ، وثمارها في الخريف من جهة يبسها وجفافها . وامّا المتفاوت من جهة الإضافة ، فكما يتفاوت السيد عن العبد ، والمالك عن المملوك ، والمتفاوت من جهة الفعل والقوة . فكما يتفاوت الشيء عن شيء آخر مجانس له من جهة فعله ، او من جهة قوته . هذا هو تفاوت الاشياء الجسمانية بالايجاز .

وامّا المتفاوت في النفس فينقسم الى قسمين : تفاوت انواع الفضيلة عن انواع الرذيلة ، وتفاوت ارباب الفضائل عن ارباب الرذائل . فإمّا تفاوت انواع الفضيلة عن انواع الرذيلة ، فهو كتفاوت الصدق عن الكذب ، والعدل عن الجور ، والحق عن الباطل ، والامانة عن الخيانة ، والبر عن الفجور ، والعلم عن الجهل ، والحلم عن الغضب ، والخير عن الشر ، والشجاعة عن الجبن ، والكرم عن البخل ، والعفة عن الشره ، وما اشبهها . وامّا تفاوت ارباب الفضائل عن ارباب الرذائل ، فكتفاوت العالم عن المتعلم ، اذ ان وجود العلم في نفس العالم اسبق منه ، في نفس المتعلم ، فنال الفضل على المتعلم بالسبق ، وكتفاوت السائس عن المسوس ، فان للسائس ابداً فضل السياسة الموجودة فيه على المسوس ، الذي بسياسة السائس[2] له تستقيم احواله ، كما استقامت امور البشر بسياسة الرسل ، صلوات الله عليهم ، وحسن سيرتهم . وهكذا وقع للسابق الفضل على التالي من جهتين : احداهما من جهة انه سابق على التالي لقبول اثر الوحدة لا بزمان ولا زمان . والجهة الثانية انه مفيد للتالي ، والتالي مستفيد منه ، وللمفيد ابداً فضل الافادة على المستفيد . وهذا اجماع القول في كيفية التفاوت .

(١) في نسخة م وردت زهرتها .
(٢) سقطت في نسخة س .

الفصل الرابع من المقالة الاولى :

« في لمية التفاوت »

ليس البحث عن اللمية ، غير البحث عن العلة ، فمتى ما وقف الانسان على علة الشيء . فقد وقف على لميته ، وان علة تفاوت المخلوقين ، اولا كمال القدرة في ذات الجود ، لظهور الموجود من الجواد التامة ، فظهر من الجود التام الخلق الاول تاماً محيطاً بجميع الاشياء المتفاوتة ، ولو غرب عنه شيء عن علم اللميـــاء المتفاوتة والإحاطة بها لم يكن تامّاً ، وان كان ادراكه الاشياء لا من جهة التفاوت ، لم يكن يستحق ان يسمى عقلاً ، واذا رفع استحقاق هذا الاسم عنه ، كان ظهوره خلاف الجود التام من الجواد التام ، وهو الذي أوجب ان يسمي ظهور الخلـــق الاول ، المستحق لاسم العقلية ، من جهة احاطته بالاشياء المتفاوتة المختلفة ، فصار السابق علة الاشياء المتفاوتة بعد العلة الاولى ، وصار القابل منه اعني التالي علة ثالثة لوجود الاشياء المتفاوتة ، لان التمييز لا يحيط بالاشياء المميزة ، الآ من جهة اختلافها وتفاوتها . في ذواتها . وكذلك المنطق لا يعبر عن الاشياء باسامي مختلفة ، وصفات غير متفقة لو كانت الاشياء غير متفاوتة من الجهات التي وصفتها في باب كيفية التفاوت ، ومثال ذلك ان لم تتفاوت الالوان بعضها من بعض في ذواتها ، فيكون لون ابيض ، ولون اسود ، ولون احمر ، ولون اصفر ، لبطلت عبارة المنطق عنها ، وتمييز النفس بينها ، وكذلك الطعوم والأرائح[1] والاصوات . فاذاً تمييز النفس لقبول فوائد العقل ، لادراك الاشياء المميزة ، وعبارة المنطق عنها ، من جهة اختلافها وتفاوتها علة وجود التفاوت في الاشياء المخلوقة .

وحكاية الطبيعة عن اثار عالم علتها في المواليد علة رابعة لوجود التفاوت والاختلاف . وانه في المثل ان لم تتفاوت الدوائر من المركز ، اذا وقع المركز ساكناً ، والدوائر ساكنة ، اذا وقع المركز متحركاً ، والدوائر متحركة ، فكيف يمكن حدوث المواليد من ساكنين او من متحركين ؟ لكن الطبيعة اعطت كل واحد من المركز والدوائر ما به امكنه ان يحكي في المواليد عمّا رآه في عالم النفس ، فتكون تلك الحكاية سبباً لبلوغ النفس الى مرتبتها من حد السابق ، وكانت تمام حكاية الطبيعة في الحي الناطق الميت[2] الذي هو الانسان . وكمل امر الانسان بالناطق المؤيد من النفس الكلية ،

(١) في نسخة س وردت الروائح .
(٢) سقطت من نسخة س .

فصار من اجل ما ذكرناه كون الانبياء في العالم الجسماني علة خامسة لاثبات لمية التفاوت ، اذ بوجوب التفاوت في الاشياء المخلوقة وجب ان يكون رسولاً مبلغاً يبلغ الى من لم يدرك ذلك الفضل الممنون على الرسل .

وفي الجملة فان السوآل عن لمية تفاوت المخلوقين وهليته ، انمّا وجدت متفاوتة ، ولم يتقدم العالم التفاوت ، ولا التفاوت العالم ، سوآل غير مستقيم ، الاّ ان يكون الجواب فيه من الوجوه الخمسة التي ذكرناها فإذاً لما بعد العالم من وجود ذاته لتامية الحكمة ، وبلوغ الغرض ، وهو كمال القدرة في ذات الجود الذي به ابدع الاشياء التي دونه ، والثانية ليستحق العقل اسم العقلية[١] في ادراك الاشياء المتفاوتة ، والثالثة ليكون تمييز النفس بحقه وصدقه لعبارة المنطق عن الاشياء المختلفة ، والرابعة حكاية الطبيعة بالحي الناطق عن عالم النفس ، والخامسة ليكون الرسول مبلغاً بالتأييد المخصوص ، الى من لم يدرك ذلك الفضل الممنون على الرسل . فهذه لمية التفاوت .

الفصل الخامس من المقالة الاولى :

« في ان المتفاوتين بينهم اتفاق في بعض الوجوه »

لمّا كان العالم الجسماني الطبيعي الذي اركانه متضادة مختلفة ، ومواليده بالكون والفساد جارية ، هو الذي تفاوت عن العالم النفساني اللطيف ، الذي صورته باقية ، وجواهره عن الكون والفساد بائنة ، قد اتفقا مع فضل احدهما ، ودناءة الآخر ، في انهما جميعاً كانا مبروزين في السابق الأول ، واتفقا جميعاً مع تفاوتهما باستحقاق الشيئية والجوهرية ، وفي ان كل واحد منهما بجملته ، وبكل جزء من اجزائه مقصود لمعنى ما ، ثم اختلف كل واحد منهما من العالمين عن صاحبه من الوجه الذي احدهما بسيط[٢] ، والآخر مركب ، وان كان كل واحد من البسيط والمركب ذا تفاوت كثيرة مع اتفاق المتفاوتين من كل واحد منهما في بعض الوجوه ، امّا من العالم البسيط ، فان الجوهر الساكن التام بفعله وقوته ، الذي لم يسبقه جوهر ليس يقل شرفاً في نيل الفضيلة ، كشرف الجوهر المتحرك التام بقوته ، الناقص بفعله الذي نال ما نال بتوسط الجوهر الساكن من نور كلمة المبدع ،

(١) وردت في نسخة س العاقلية .
(٢) وردت في نسخة س أبسط .

وقد يتفق مع الجوهر الساكن في ان انبعاثه من الوحدة ، كانبعاث الجوهر الاول ، والمثال في ذلك ان قوام الواحد ، بما فيه من الوحدة المحضة بلا تكثير ، وقوام الاثنينيّة بالوحدة ايضاً ، الا انه بتكثير ، اي بتضعيف الوحدة من واحدة ، لأنّا متى توهمنا من الاثنين واحداً محضاً ، دون صاحبه كان الآخر مثله واحداً ايضاً ، واذا توهمناهما جميعاً ، ثبت منهما الاثنان من غير وقوع عدداً اخراً غير الواحدين الفذين الذين جُمعا[١] ، الا ان الجمع بين الواحدين قد ينال احدهما عند العد اسم الواحدية بالحقيقة وبالفعل والقوة ، والآخر ينال اسم الواحدية بالقوة لا بالفعل.

وامّا في عالم التراكيب . فان السموات المتحركة بالحركة الشريفة الدائمة التي لا تبدل بجزء من اجزائها في جميع حركاتها المختلفة عن طبعه وكيانه ، قد تتفاوت من الاركان الاربعة المستحيلة اجزاءها ، التي تتبدل طبائعها وجوهريتها عند الحركات المتضادة ، وان كان بين هذه الاركان المستحيلة ، وبين هذه الدوائر المستقيمة اتفاق من جهة نهايات اقطارها ، وتناهي اجرام الامهات بعضها الى بعض ، وفي وقوع المساحة على كل واحد منها يكون[٢] بينها اتفاق ايضاً وكذلك بأدراك حاسة البصر جماعتها ، قد يقع الاتفاق بينها ، وهكذا الاركان الاربعة ، فانه وان كانا ركنان من اركان العالم يصعدان علواً ، وركنان يهبطان سفلاً ، فانها جميعاً متفقة من جميع استحالة بعضها الى بعض ، ومن جهة الشركة التي بينها ، في كون المواليد منها .

وكذلك المواليد في المعادن والنبات والحيوان والانسان ، والمؤيد من الناس بينهم اتفاق مع تفاوتهم ، امّا الاتفاق الذي بين جماعتهم ، فانهم جميعاً جواهر قائمة بذواتها ، وبينهم اتفاق في الجسمانية ايضاً الى ان انحدر من الاسم الجسم الى النما ، فعجزت المعادن عن قبوله ، وبقيَ الاتفاق بين النبات والحيوان والانسان والمؤيد في النما مع الجسمية والجوهرية ثم انحدر من النما الى الحيواة ، فعجز النبات عن قبولها ، وبقيَ الاتفاق بين الحيوان والانسان والمؤيد في الحيواة مع النما والجسمية والجوهرية ثم انحدر من الحيواة الى النطق فعجز الحيوان عن قبوله ، وبقيَ الاتفاق بين الانسان والمؤيد في النطق مع الحيواة والنما ومع الجسمية والجوهرية ، ثم انحدر من

(١) في نسخة م وردت جمعاً .
(٢) سقطت في النسختين .

النطق الى القدس فعجز الانسان عن قبوله ، وبقي الاتفاق بين المؤيدين في القدس ، مع النطق ، والحيواة والنما والجسمية والجوهرية . والتفاوت ايضاً بين المؤيدين باق على ما نشرحه في بعض فصول هذه المقالة ، وهكذا كل نوع من انواع النبات والحيوان متفاوت عن نوع غيره ، وان كان بينهما اتفاق ، وكذلك كل شخص من الاشخاص متفاوت عن شخص غيره مع الاتفاق الذي بينهما ، من الوجه الذي اتفقا عليه ، والمثال في ذلك ان نوع الكمثري يخالف نوع التفاح من جهة فعله ، وطبيعته ، وخاصيته ، وصورته ، وشكله ، وتوافقه من جهة نمائه ، ونباتيته ، واغتذائه ، ونشوئه ، وبلائه ، وكذلك ثمرة الكمثري تخالف ثمرة كمثري اخرى من جهة فعلها ، وطبعها ، وخاصيتها ، وطعمها ، ولونها ، وريحها[١] ، وتوافقها من جهة نوعها ، وشكلها ، وصورتها ، ونمائها ، ولولا الموافقة التي بين الاشياء للتفاوت من بعض الوجوه لبطل الكون والفساد اللذان بهما بقاء الاشخاص ، مثال ذلك انه لو لم تكن الاغذية من الاقوات مشاكلة للطبائع ، لم تكن تقوتها ، واذا لم تقوتها لم يكن لها بقاء في نشوء المواليد ، فلما قوتها الاقوات ، دل على انها مشاكلة لها ، وهكذا المواليد مشاكلة للامهات ، وان امتنع حدوثها منها ، وهكذا الناس ، والمؤيدون فيهم مشاكلة من جهة الانفس ، فن اجل ذلك امكنهم قبول العلم منهم ، وافادتهم اياهم ، وما يصنع بالاشياء الجسمانية ، من جهة اتفاق بعضها مع بعض .

وقد نظن ان بين السابقين ، وبين جميع المعقولات من الجسمانية والروحانية مشكلة ، وموافقة حتى قد يظن العقل معقولا ، والمعقول عقلاً ، ولولا ذلك لكان العقل غير تام ، والقول في ايضاح هذا المعنى مستغلق ليس للكلام فيه ههنا وجه ؛ اذ هو خارج عن عرض هذه المقالة ، ولعلنا نشرحه في بعض كتبنا انشاء الله تعالى .

ولما اردنا ان يقع حس البشر على ما شرحناه من اتفاق المتفاوتين بعضها مع بعض اردنا دائرة محيطة بست دوائر في وسطها ، وسميت الدائرة المحيطة دائرة الجوهر ، والتي تتلوها دائرة الجسم ، والتي تتلو الجسم دائرة النما ، والتي تتلو النما دائرة الحياة ، والتي تتلو الحياة دائرة النطق ، والتي تتلو الجسم دائرة النما ، والتي تتلو الحياة دائرة النطق ، والتي تتلو النطق دائرة القدس ، وجعلنا مركز الدوائر كلها مركزاً واحداً ، وسميناه العقل ، والنقط الست التي تبتدئ منها كل دائرة هي النفس ، وكتبنا ما بين كل

(١) في نسخة م وردت ريمها .

دائرتين الاشياء التي تتفق في ذلك الحيز ، الى ان تبلغ القدس ، وجعلنا الدائرة التي تلي العقل اصغر الدوائر ، وهي دائرة اصحاب القدس ، والدائرة التي عليها سمة الجوهر هي[١] اعظم الدوائر ، وهي ابعد من العقل . عنينا بذلك ان اصحاب القدس هم قليلون من جهة درك الحس ، وان كانوا افضل الخلائق كما قال الله عز وجل : ﴿وقليلٌ ماهم﴾ وقوله : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ . وان الافلاك اعظم الاجرام وأوسعها من جهة الحس ، وان كانت ابعد من العقل ، وذلك ما اردنا ان نبينه ، وهذه صورة الدائرة :



(١) سقطت في النسختين .

الفصل السادس من المقالة الاولى :

« في ان من اجل التفاوت استقامت امور العالمين »

ان العبادات المختلفة تدل على المعاني المتفقة ، وخاصة اذا كانت العبارة من حكيم ، ولمّا وجدنا حكيم الدين صاحب الفرقان عبّر عن امر المبدع بحرفين : احدهما متحرك وهو الكاف [١] ، والآخر ساكن ، وهو النون ، وبين الحركة والسكون من التفاوت من جميع الجهات ما لا يخفى على احد ، وجب ان يكون الامر الذي هو علة الاشياء المبدعة انما ظهر من المبدع لتكون منه الاشياء المختلفة المتفاوتة بحسب العبارة عنها . اعني عن العلة الاولى ، التي هي امر المبدع سبحانه ، وكان اول معلول ظهر من امر المبدع العقل الاول ، صورته انه مفيد الصور كهيئتها ، — وتمامية حال انبعاث المستفيد منه بما يفيده ، فاستقام امر الأصلين بالافادة والاستفادة من المتفاوت ، وما به تم اصلاح العالمين ، ولما امتنع حدوث العالم في نقطة واحدة ، لامتناع ظهور الحكمة في تلك النقطة ، كان واجباً ان يكون العالم مخترعاً في تلك النقطة ، لان الممتنع في الكون لا يلائم الواجب في الكون . فإذاً ظهور الحكمة في نفس العالم من اجل كونه في طبائع مختلفة ، وامكنة متضادة ، لتجري الامور على مجاريها الى غايتها ونهايتها ، وهو الذي أوجب ان يكون العالم في نفسه مختلفاً متفاوتاً ، وجوهريتها عند الحركات المتضادة ، وان كان بين هذه الاركان المستحيلة ، وبين هذه الدوائر المستقيمة اتفاق من جهة نهايات اقطارها ، وتناهي اجرام الامهات بعضها الى بعض ، وفي وقوع المساحة على كل واحد منها ؛ بينها اتفاق ايضاً ، وكذلك بإدراك حاسة البصر وان جماعتها قد يقع الاتفاق بينها ،وهكذا الاركان الاربعة ، فانه وان كانا ركنان من اركان العالم يصعدان علواً ، وركنان يهبطان سفلاً [٢] ، فانها جميعاً متفقة من جميع استحالة بعضها الى بعض ، ومن جهة الشركة التي بينها ، في كون المواليد منها .

وكذلك المواليد من المعادن والنبات والحيوان والانسان والمؤيد من الناس بينهم اتفاق مع تفاوتهم ، امّا الاتفاق الذي بين جماعتهم ، فانهم جميعاً جواهر قائمة بذواتها ، وبينهم اتفاق في الجسمانية ايضاً ، الى ان انحدر من الجسم الى النما ،

(١) سقطت في نسخة م
(٢) سقطت في نسخة س .

فعجزت المعادن عن قبوله ، وبقي الاتفاق بين النبات والحيوان والانسان والمؤيد في النما مع الجسمية والجوهرية ، ثم انحدر من النما الى الحياة ، فعجز النبات عن قبولها ، وبقي الاتفاق بين الحيوان والانسان والمؤيد في الحياة مع النما والجسمية والجوهرية ، ثم انحدر من الحياة الى النطق ، وجبلة العالم في استقامة احواله ، من اجل تفاوته ، كاستقامة كل شخص من اشخاص العالم من اجل تفاوته .

ومثال ذلك ان تفاوت اركان العالم اللطيف والكثيف ، لحفظ المواليد في نيلها الصور المقدسة لها ، فان طبع النار والهواء ممّا يلطفانه ، وطبع الماء والارض ممّا يكثفانه ، فلو كان العالم كله للتلطيف لم يثبت صورة شيء في سخنها ، وان كان كله للتكثيف لم يبلغ شيء الى سخنه ، ولكن الطبيعة قد قسمت الفعل في الاركان بين التكاثف والتلاطف ، ليمسك الكثيف ما بلغ نسخه عن التجاوز عنه ، وليبلغ اللطيف الاشياء كلها . فإذاً التكاثف والتلاطف مع وجود التفاوت ممّا استقام امر العالم الجسماني به ، وهكذا شخص الانسان ، انّما قام من اجل لطافة بعض اجزائه ، وكثافة بعضها ، فانه ان كان شخص الانسان كله في لطافة عينه ، او في لطافة دماغه ، ام يمكنه البطش ، والسعي ، والعمل ، والصياغة ، التي بها صلاحه . وان كان كله في كثافة شعره ، وجلده ، وعصبه ، لتعذر عليه ادراك المحسوسات من الالوان ، والاصوات ، والطعوم ، والأرائح [١] .

لكن الطبيعة قد وضعت كل شيء موضعه من التفاوت ليتم به صلاحه ، وكانت الموهومات اصل المحسوسات ، فلا يمكن كون المحسوسات ، الاّ على ما تقتضيه الموهومات ، فاذا توهمنا الناس على الاطلاق مرتفعاً لم يمكنّا توهم الحيوان والانسان ، وإذا توهمنا الحي على الاطلاق مرتفعاً ، لم يمكننا ان نتوهم الانسان ، كذلك الانسان والحيوان لا يثبتان محسوسين الاّ بوجود النبات المحسوس الذي به قوامها ، والانسان المحسوس كذلك لا يثبت الاّ بوجود الحيوان المحسوس الذي به قوامه ، وقد يتوهم النامي موجوداً بعدم الحيوان ، والانسان والحيوان كذلك موجوداً بعدم الانسان ، فإذا احسّ النامي مطلقاً من غير حيوان،او من انسان محسوس، كان من تلك عبث الطبيعة ، اذ لم تبلغ به المقصود ، وقد بلغت الطبيعة كل شيء الى مقصود ، فإذاً وجود النبات يوجب وجود الحيوان الذي وجد لينتفع به ، وكذلك

(١) في نسخة س وردت الروائح .

اذا وجد الحيوان غير الناطق مطلقاً من غير انسان ناطق ، كان من ذلك ايضاً لعب الطبيعة ، اذ لم تبلغ به مقصوده ، وقد بلغت الطبيعة كل شيء مقصوده . فإذًا وجود الحيوان يوجب وجود الانسان الذي ينتفع به ، وكذلك اذا وجد الانسان الناطق مطلقاً من غير سائس . مؤيد بالقدس ، كان من ذلك اعظم العبث من الطبيعة ، اذ لم تهيء من صورة الانسانية الهيكل المعتدل الذي يقبل اثاره ، ليكون عكس المؤيد بالقدس من جهة الافادة لمن صحبوه في صورة الانسانية ، وتخلفوا عن قبول ما قبله وما به تستقيم احوال العالمين الجسماني والروحاني . ولو نظر كل امرئ في استقامة احواله من اجل تفاوت آلاته ، علم ان استقامة العالمين من اجل تفاوتهما ، وذلك ان في جميع مصالح منزلته يعمل الى اشياء مختلفة الجوهر والطبيعة من الذهب والفضة ، والحديد ، والرصاص ، والشبة ، والنبات[١] ، والخزف ، والصوف ، وغير ذلك مما يطول وصفه ليمكنه العيش بها ، فلو انه سوى من هذه الآلات من جهة الجوهرية شيئاً واحداً ، فجعله كله ذهباً مع شرفه ، لم يمكنه ان يطلب من جوهر الذهب ما يطلب من النبات . من الترفق ، وهكذا فانه ان جمع الصيغ في داره لمصلحة عيشه بعد جواهر الصغر في صيغة واحدة ، وجعل تلك الصيغة المهراس[٢] لم يمكنه ان يطبخ فيه ، او ان يغرف منه ، او ان يصفي فيه ، بل يجب ان يكون لكل شيء مما يوافقه ، ويصلح لذلك ليتم به صلاح عيشه . وكذلك الصناع فان آلاتهم مختلفة ايضاً ، فلو ان كل واحد من الصناع جعل آلاته نوعاً واحداً لم يمكنه ان يظهر حكمته بتلك الآلة ، وان كثرت اشخاصها ، بل يجب ان تكون أنواعها ايضاً مختلفة ، ليتهيأ له اقامة صنعته .

فقد بان بما قلناه،وأوضحناه في هذا الفصل ان من اجل التفاوت ، استقامت امور العالمين . فان قال قائل ان الله تعالى ذكره قال في كتابه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ وانت تقول: من اجل التفاوت استقامت امور العالمين قلنا له: ان المراد من قوله تعالى﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ هو ان نفس الخلقة لم تتفاوت عن المعنى الذي خلقت له ، والمعنى الثاني اراد به

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

الموافقة التي بين النطقاء من جهة الحقائق . الا ترى الى اول الآية حيث يقول : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ يعني اقام النطقاء السبعة الذين بينهم مطابقة فلم تتفاوت اوضاعهم من التأييد الجاري لهم من الاصليين ، ولا من التأويل الذي يجري من قبل الاسس بعدهم . والمعنى الثالث هو ادقها ، اراد به الخلق الاول الذي هو السابق ، لا تفاوت فيه ، ولا في عالمه ، على ما نشرحه في بعض فصول هذه المقالة ، يعني انك لما بلغت حد الناطقية ، ودنوت من مرتبة السابق[١] ، فأظهرت حدك ومرتبتك ، فمن قبله لا ترى فيه ، ولا في حده تفاوتاً ، ولو وجدت فيه التفاوت ، لأمكنك الترقي من حده الى حد آخر ، فلما لم يجد فيه ، ولا في حده تفاوتاً انقلب بصرك خاسئاً حسيراً اليك في طلب ما وراءه ، وثبت عندك عظمة المبدع الحق الذي ابدع بوحدته مثل هذا الخلق الشريف الذي لا تفاوت فيه ولا في حده ، فتبارك الله احسن الخالقين .

الفصل السابع من المقالة الاولى :

« في ان التفاوت لا يرتفع جملة »

لما كان امر الله جل جلاله هو الواحد المحض الذي ليس فيه شيء من الاثنينية،وأوجب امره ظهور الاشياء المتفاوتة وغير المتفاوتة،وليس في الواحد تضاد بوجه من الوجوه . لما هو واحد. فإذًا ليس امره الذي هو الواحد المحض ما به يجب رفع التفاوت جملة ، اذ امره الواحد هو الذي أوجب ظهور الاشياء المتفاوتة ، ولو وجب ذلك لم يكن امره تعالى عن ذلك واحداً محضاً بل زوجاً ، واحتاج حينئذ الى امر متقدم ، اذ الزوج البسيط يتقدمه الفرد المحض ، والفرق بين امر الله تعالى ذكره ، وبين امر الخلق،هو ان امر الخلق لا يمسك المأمور على جوهره وحالته وقد وجب من امره ظهور الاشياء المتفاوتة وغير المتفاوتة، فإذًا امره يمسك الاشياء على التفاوت وغير التفاوت ، وإذا كان ممسك المتفاوت وغير المتفاوت من المخلوقين هو امره تعالى وتقدس ، كان رفع التفاوت محالا ممتنعاً لما قد بيناه ، ولما كانت الصورة الطبيعية انما صارت محفوظة في الاشخاص من اجل تفاوت الاشخاص في الوضع والمزاجات ، وكان في دفع التفاوت ضياع الصور وفي ضياع الصور ضياع الحكمة وفي

(١) في نسخة س وردت السبق .

ضياع الحكمة نقص الابداع وليس في الابداع نقص البتة . فإذاً ليس للحكمة ضياع ، وإذا لم تكن للحكمة ضياع ، ولم يكن للصور ضياع ، لم يكن لرفع التفاوت عن الاشخاص الحافظة للصور وجه ، والقول في اوضاع علة تفاوت الاشخاص في الوضع والمزاجات من جهة نظم الطبيعة لظهور الحكمة خارج عن غرض هذا الفصل . ولعلنا نشرح في كتابنا الموسوم – بالكامل[1] – ان يسّر الله لنا ذلك .

وايضاً فقد وجد العالم مستعيناً بعضه الى بعض ، وباستعانة بعض اركانه ببعض استقامة احوال المواليد التي هي اقصى غاية تقدير المقدر ، ومع ذلك فلم توجد الاركان التي هي الاسباب ولا المواليد التي هي الغايات الاّ متفاوتة كلها من جهة افعال العالم وقوته الموضوعة فيه ، فمن اية قوة من قوى العالم يتوهم رفع التفاوت بها ، وقد وجدت قواه موجبات كلها لإظهار الاشياء المتفاوتة ، وان قيل ان بتلك القوة التي بها يمكن رفع التفاوت ليست من العالم ، فهي اذن خارجة عنه ، وان صار وجود قوة خارجة عن العالمين بانسها ، كان وجود الباري جلّ ثناؤه الذي هو الامر والابداع ناقصاً ، اذ انه ترك قوة خارجة عمّا جاد به وليس في وجوده نقص ، فليست اذاً قوة خارجة عن العالمين بل جميع القوى الظاهرة اظهرها الجود التام في الموجود له ، وما اظهره الجود في الموجود له من القوى موجب كله للتفاوت ليس في واحدة منها قوة يرتفع بها التفاوت ، ومن أوجب رفع التفاوت عن العالمين فقد وجب رفع الأيسية عنه ووقوعه في الليسية . اذ ان خروج العالم من ليس الى ايس ، لابداع المبدع اوجب تفاوته موئيساً ، وغير ممكن ان يصير العالم ليساً . بعد ان كان أيساً بالابداع . اذاً ليس ابداع آخر يجعل الأيس ليساً ، كما يجعل ابداع المبدع الليس ايساً فتفهّم ذلك .

ولمّا كانت التراكيب هي التي اوجبت تكثير الاعداد ، ولم يستقم امرها الاّ من اجل تفاوتها في اوضاعها وأفعالها ، امّا الذي من افعالها فانما استقامت امور العالم بالفعل من الاجرام العلوية ، وبالقبول من الاجرام السفلية ، فلو توهم رفع التفاوت عنه وجعل كله فاعلاً او قابلاً ، فليس يولد هذه المواليد العجيبة من فاعلين او من قابلين . وامّا الذي من اجل اوضاعها فنظم الافلاك والكواكب

(١) لم يعثر على هذا الكتاب حتى الآن بين مؤلفات السجستاني .

والبروج في دوائر وأوتاد وقسي مختلفة كلها ، فلو تساوت اوتادها وقسيها ودوائرها حدث منها نوع واحد ، وبطلت الانواع الاخرى التي بها تمت الحكمة والفضيلة[1] ، ولا يشك احداً ممن يقر بالانفس انها ابعد من التفاوت ، واقرب الى التساوي من جميع المطبوعين ، وهي التي حكت بمنطقها عن كل دقيق وجليل ، ولا تقدر النفس ان تحكي عن صور الاشياء ، الاّ بامكنة متفاوتة في الموضع ، ومجاري مختلفة في المزاج . فلو رفعت النفس المتفاوت عن امكنة خروج الصوت ، وجعلتها كلها مكاناً واحداً لتعذر عليها العبادة عنها . ثم عند التأليف لو لم يرتفع التفاوت عن امكنة خروج الصوت ، بل لو ترك كل حرف يخرج عن مكانه المقدر له ، الا انها رفعت التفاوت عن التأليف ، فجعلته تأليفاً واحداً ، ونظماً واحداً لم يمكن احداً فهم ذلك عنها ، فقد صحّ ان رفع التفاوت عن العالم غير ممكن [بوجه من الوجوه][2] . وقد فرّق الله تبارك وتعالى عن مكان الابرار ، ومكان الفجّار في دار المعاد بما يزول الشك به عن القلوب ، اذ ان رفع التفاوت غير ممكن فقال : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ، ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ، ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ و﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ ما عِلِّيُّونَ﴾ وبين العلّيّين والسجين من التفاوت في دار البقاء ، مثل ما بين البر والفاجر في دار الفناء – وكذلك وصف الجنة وما فيها من النعيم ، والراحة ، والسرور ، والاشجار المتدلية بصنوف الثمر والحور الحسان ، والغلمان ، وأنواع الثياب ، والقصور ، والفواكه ، ووصف النار وما فيها من البأس والشدة والالم والاشجار المثمرة التي طلعها كأنها رؤوس الشياطين ، واطعمة الفسلين والضريع ، وغير ذلك من اهوالها وشدائدها بما اذا تفكر فيه متفكر يتقن ان التفاوت لا يرتفع جملة . رزقنا الله ما وعد اولياءه من نعيم الجنة وأعاذنا ممّا وعد اعداءه من أليم النار .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت الجملة كلها في نسخة س .

الفصل الثامن من المقالة الاولى :

« في ان افضل المتفاوتين في هذا العالم هو البشر »

قال الله تعالى ذكره : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ : فالواجب علينا ان ننظر في الفضل الذي ناله البشر دون سائر مواليد العالم فنقول : ان الفضل الذي خصّ به البشر سبعة اقسام : لكل قسم سبع من الشعب . فالقسم الاول من الفضائل التي خصّ بها البشر معرفة المبدع بنفي الصفات وترك الإضافات وتنشعب من هذه المعرفة سبع من الفضائل : فالفضيلة الاولى معرفة العلل والمعلولات ، فان لم يعرف العلل من المعلولات ، والمعلولات من العلل لم يمكنه معرفة المبدع مجرداً بانه لا هو علة ولا معلول . والثانية معرفة العدد والمعدود ، فان لم يعرف صور الاعداد وتناهيها الى الواحد المحض الذي هو علة الاعداد لم يمكنه معرفة المبدع مجرداً ، بانه لا هو عدد ولا هو معدود . والثالثة : معرفة البسيط والمركب ، فان لم يعرف العضو الذي بين البسيط والمركب ، من ان البسيط غير مركب محدود ، والمركب موصوف ، والبسيط غير موصوف لم يمكنه معرفة المبدع مجرداً عن سمات البسيط وصفات المركب . والرابعة : معرفة المتقابلات . فان لم يعرف المتقابل[1] الذي في الطبع من جهة الوجود والعدم ، ومن جهة الاضداد . ومن جهة الاضافة والمتقابل الذي بين اللفظ من جهة النفي والاثبات لم يمكنه معرفة المبدع مجرداً عن نعوت المتقابلات . والخامسة : معرفة نفسه ، وما فيه من اللطيف والكثيف . وما الذي فيه يشبه البسيط ، فان لم يعرف نفسه وما فيه من اللطيف والكثيف ، لم يمكنه الترقي الى معرفة العالمين ، وتجريد المبدع عن نعوتها وصفاتها . فلهذا المعنى قيل من عرف نفسه فقد عرف خالقه . والسادسة : معرفة مرموزات النفس مما عبره اصحاب النواميس بالالفاظ المختلفة من جهة الاوضاع ، فان لم يقف على كيفية رمز النفس في ذكر الصانع مما يليق بتجريد التوحيد ، لم يمكنه معرفة المبدع منزهاً عن تلك الالفاظ المتشابهات . والسابعة : براءته من التعطيل ، فان امكنه معرفة العلل ، والمعلولات ، والعدد ، والمعدودات ، والبسيط ، والمركب ، والمتقابلات ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة رموزات النفس ، في ذكر الصانع ،

(١) في نسخة س وردت القابل .

لم يكابر عقله في تعطيل من ابدع هذه الاشياء المذكورة . جل ربنا عن كل تشبيه وتعطيل .

والقسم الثاني من الفضائل الذي خصّ بها البشر دون سواه ، هو العقل الذي وهبه الله له ليميز به الحق عن الباطل ، والخير عن الشر ، ويتشعب من هذه الهبة سبع من الفضائل : فالفضيلة الاولى : اعتبار العقلاء مرة بالمشاكلة ، ومرة بالمضادة . امّا اعتبارهم بالمشاكلة فتى[1] وجدوا من شيء فعلاً ، علموا ان شكله ونظيره يفعل مثل ذلك الفعل . وامّا اعتبارهم بالمضادة ، فمتى ما وجدوا من شيء فعلاً ، علموا ان ضده لا يفعل مثل ذلك الفعل ، وقد امرهم الله به في قوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ . والثانية : استشهاد العقلاء بالاشياء التي لا يستشهد بظاهرها ، فهم يحلونها ، ويقسمونها ، حتى يظهر منها شيء يستشهد به . والثالثة : ترك العقلاء ما لا بأس به في الحال ، خوفاً من تمكنه في النفس ، وتمرين النفس عليه ، فتستعمله في وقت البأس . والرابعة : استعمال العقلاء[2] ما به بأس في الحال وانتظار الدفع ما به اعظم البأس ، والخامسة : انكار العقل على الحس فيما يحس به من المحسوسات الملذة ، واعلامه الطرفين طرف الابتداء وطرف الانتهاء الذين لا لذة فيهما . والسادسة : بشارته للنفس بثواب كدها وسعيها في طلب العلم والحكمة واعلامها الطرفين الابتداء والانتهاء الذين لا ألم فيهما . والسابعة : اقباله على افادة النفس في كل وقت وفي كل حال .

والقسم الثالث من الفضائل التي خصّ بها البشر دون سواه هو المنطق الموهوب له من النفس الناطقة . وفضائل النفس في الحي الناطق سبع : الفضيلة الاولى : وهي العلم والحكمة اللذان بهما بلوغ النفس حد الفعل من حد القوة وثمرتها الاحاطة[3] بالمعلولات وضدها الجهل والسفه . والثانية : العدل في جميع حركاتها

(١) في نسخة م وردت فهما .
(٢) سقطت في نسخة س .
(٣) في نسخة س وردت الاحتياط .

الفكرية والسياسية ، وثمرته الامانة ، وضده الجور . والثالثة : العفة عن كل ما يشينها ويذهب بزينتها وبهائها، وثمرتها القناعة ، وضدها الحرص . والرابعة: الجود التي هي قضية من قضايا العقل يحكم به في العمليات والحسيات ، امّا حكمه في الجود بالعمليات ، فلأن العلم لا ينفعه الاتفاق ، بل يزكو عليه ، وامّا حكمه في الجود بالحسيّات لا يمنعه عن حظه منها ، ولا الامساك بها يزيد في حظه ، وثمرته الافضال وضده البخل . والخامسة : الشجاعة التي بها صلاح دينه ودنياه ، اما صلاح دينه فانه بقوة الشجاعة يذم الشهوات المؤدية له ، وامّا صلاح دنياه بها ، فانه كثيراً ما يحتاج اليها في ايلام بدنه ، لانتظار خير يتوقع منه مثل الكي وربط الجراحات وثمرتها العقوبة ، وضدها الجبن . والسادسة : الرحمة على المأسورين، وقبول عذرهم ، وتحسين امورهم طلباً لما هو أصلح ، وثمرتها العفو ، وضدها القسوة . والسابعة : الصدق الذي هو لب العقل ، وغريزته ، والحائد عنه مجانب لعقله ، اذا تفكر فيه ، وثمرته الوفاء ، وضده الكذب .

والقسم الرابع : من الفضائل التي خصّ بها البشر دون سواه حسن وضعه ، وتقويم مزاجه ، واعتدال تركيبه ، ممّا هو في مواليد سواه معدوم ، وينقسم ذلك الى سبعة اعضاء : فالأول منها في الدماغ وخاصيته في ابدان الناس ، والتمييز بين المحسوسات بقوته الحاسة ، ولا يوجد في شيء من مواليد العالم ممن له دماغ ، وممن لا دماغ له ، وهذه القوة المميزة التي اعطيت للبشر . والعضو الثاني القلب ، وخاصيته في ابدان الناس ، والسياسة في جميع مصالح بدنه ، وفي استقامة اموره ، وأسبابه،وانتشار حركته في العروق النابضة في اطراف البشر ، ممّا هو معدوم في جميع مواليد العالم سواه . والعضو الثالث الكبد ، وخاصيته في ابدان الناس باختلاف الشهوات من المأكولات ، والمشروبات فأنك لا ترى شيئاً من الحيوان دونه تختلف شهوته ، بل كل نوع قد اقتصر على اشياء معدودة من المأكولات والمشروبات ، ولا يغتذي بشيء سواها ، والبشر لم يدع شيئاً من انواع النبات والحيوان الأ واستعمل منه شيئاً يمكنه تناوله بقوة شهوته المنبعثة من كبده . والعضو الرابع الرئة وخاصيتها في ابدان الناس التنفس بمشاركة الصوت المنطقي ، وليس في الحيوان من يكون لتنفسه شركة في صوت منطقي سواه . والعضو الخامس الطحال وخاصيته في ابدان الناس الضحك الذي هو معدوم فيما سواه من الحيوان ، حتى قام كالحد الصحيح للانسان في باب الانقلاب ، فيقال كل انسان ضحّاك ، وكل ضحّاك

انسان ، كما يقال في حده كل انسان حي ناطق ميت . وكل حي ، ناطق ، ميت ، انسان . والعضو السادس المرارة وخاصيتها في ابدان الناس صفوة الكون ، وانك لا تجد لشيء من انواع الحيوان ممن له مرارة لوناً صافياً مثل ما وقع للانسان بقوة مرارته حتى تشبهوا بالخمر ، ومرة بالورد ، ومرة بالياقوت ، ومرة باللؤلؤ . والعضو السابع الكليتان وخاصيتهما في ابدان الناس الاحتلام ، فانك لا تجد نوعاً من انواع الحيوان ممن يكون له قوة مصورة يستعملها في وقت نومه ، حتى يحدث منها احتلام شبيه بحال اليقظة كما وقع للانسان .

والقسم الخامس من الفضائل التي خصّ بها البشر دون من سواه حسن تدبيره فيما يأتي ويذر ، ويتشعب منه سبع من الفضائل : فالفضيلة الاولى : حسن تدبيره في الابنية مثل تمصير الامصار ،وبناء المدن،والحصون، ليأمن بها من مضرة الاعداء ومثل بناء الدور والقصور والبيوت ، وايجاد الابواب ، فجعل لكل فصل من فصول السنة بيتاً يصلح له ، ويلتذ به . ومثل حفر الأودية ، والأنهار ، والسواقي ، والجداول ، التي بها استقامت احوال الزراعة . والفضيلة الثانية : حسن تدبيره في الصناعات العجيبة البديعة من النجارة والبناية والصياغة ، والحدادة ، وفي استخراج الجواهر المذابة مثل الذهب ، والفضة ، والأنك، والرصاص ، والنحاس ، والحديد، والزيبق ، وغير المذابة مثل الياقوت ، والزمرد ، والبجاذي ، والعقيق ، والفيروزج، وكأستخراجه اللآلئ من لجج البحار ، وما في كل واحد من المنافع التي يطول وصفها ههنا . والفضيلة الثالثة : حسن تدبيره في الملابس ، ان جعل لكل عضو لباساً يليق به ، وتقطيعه مثل القميص على تقطيع اسفله ، ومثل العمامة والقلنسوة على تقطيع رأسه ، ومثل الخف والنعل على تقطيع رجله ، ثم جعل لكل فصل من اللباس ، وما يليق به فجعل الخز والوبر[1] للشتاء لما فيهما من الدفء ، وجعل المصمت والوشي للربيع ، لما فيهما من الاعتدال ، وجعل الكتان وأنواعه للصيف ، لما فيه من التبريد، وجعل الملاحم والمرويات للخريف لما فيهما من اللين ، وكذلك جعل فرش منزله لكل وقت نوعاً يليق به . والفضيلة الرابعة : حسن تدبيره في الحروب ، من تعبئة الميمنة والميسرة والقلب والجناحين ، واتخاذ المراكب السنيّة والاسلحة مثل التروس[2]

(١) وردت الاوبار في نسخة س .
(٢) وردت التراس في نسخة س .

والرماح ، والسيوف ، والجواشن ، والتجافيف ، والمجانيق ، لهدم الابنية وما فيه من المكائد والخدع من جهة الجواسيس والطلائع ، والكمائن ، والكبس ، وغيرهما مما يطول وصفه . والفضيلة الخامسة: حسن تدبيره في النبات ، اذا وقف على زمان غرسها ، كالاشجار وبذر الزرع ، والانتفاع بكل نوع منها حسب ما فيه من القوى الطبيعية ، حتى من شدة عنايته بالنبات ربما يفوق تربيته بعض النبات في الحس على تربية الطبيعة ، مثل سياسة الآس والرياحين بانواع الكردانجات ، والتماثيل ، والصور ، ولو اخذنا في شرح ما استخرجه البشر من كل نوع من انواع النبات فضلاً عن جميع الانواع لطال به الكتاب . والفضيلة السادسة : حسن تدبيره للحيوان ، والانتفاع به حسب الامكان ، مثل احتياله للنحل اتخاذ العسل ، ومثل احتياله لديدان القز في اتخاذ الأبريشم ، ومثل احتياله للثيران في استعمال الحرث والجمال في حمل الحمولات ، وللفيلة في استعمال الحروب ، ومثل انتفاعه بالانعام وبألبانها وأصوافها وأوبارها وشعرها . والفضيلة السابعة: في استخراج العلوم بدقة فطنته ، وصفاء ذهنه ، مثل الحساب والاعداد والمناسبات ، ومثل استخراج الهندسات في الاشكال ، ومثل استخراج الطب لمصالح الابدان ، والجمع بين العقاقير المختلفة في عجن الأدوية لجر المنفعة ، ورفع المضرة مثل الترياق ، لدفع السموم ، ومثل استخراج علم النجوم في معرفة احوالها ، والوقوف على الكائنات الكليات من جهة حركاتها في الأزمنة المستقبلة(١) ، ومثل استخراج علوم الطبيعيات ، وما بعد الطبيعة .

والقسم السادس : من الفضائل التي خصّ بها البشر دون سواه ، هو ارسال الرسل اليه من بين جميع مواليد العالم ، وفي ذلك سبع من الفضائل: اولها وقوع الرغبة في طلب ما رغبهم فيه اصحاب النواميس . والثانية : في وقوع الامان له عن جميع من صحبه في قبول ذلك الناموس . والثالثة: وجوب المجاملة والاحسان الى كل من يعتقد اعتقاده ، ويدين بدينه ، وانتظار المجاملة منه اليه ايضاً عند وقت الحاجة . والرابعة : وجوب القصاص من بعضهم مع بعض اذا خالفوا الامر ليكون به دوام حيرتهم ، وحفظ املاكهم كما قال جلّ جلاله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ والخامسة : لزوم ذكر المبدع عند قضاء

(١) سقطت في نسخة س .

الشرائع . والسادسة: حجر الافعال عليهم في بعض الاوقات ليكونوا متباينين عن البهائم الذين لا يمسكون عن امضاء الافعال . والسابعة: رسوخ محبة اصحاب النواميس(١) في قلوبهم التي هي بذر المبعث الذي قال الله فيه: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ .

والقسم السابع: من الفضائل التي خصّ بها البشر دون من سواه هو البقاء الذي لم ينله احد سواه ، ولم ينقسم عنه لاهل الثواب سبع من الفضائل بإزائها لاهل العقاب ، سبع من الرذائل أولها : البعث فان النفس الناطقة تنبعث من النفس الحسيّة بإفادة المفيدين على نوعين : نوع بإفادة الحق ، ونوع بإفادة الباطل . والثانية: الصراط وهو الطريق للانفس المنبعثة من النفس الحسيّة بإفادة المفيدين، وهو ايضاً نوعين : صراط مستقيم لاهل الحق ، وصراط معوج لاهل الباطل . والثالثة: الميزان وهو على عقول اهل الحق وأهل الباطل ، فامّا عقول اهل الحق فانها تنتقل بالعلم والحكمة ، وامّا عقول اهل الباطل ، فانها تخف باهل الغيرة(٢) والضلالة . والرابعة: للحساب وهو التحصيل لطبقة عمّا اكتسب امّا لاهل الحق كما قال الله جلّ جلاله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ وامّا لأهل الباطل فكما قال تعالى ذكره : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فيقول يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴾، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ والخامسة : الجزاء لاهل الحق بالثواب، ولاهل الباطل بالعقاب . والسادسة: التحليل وهو لاهل الحق في جوار السابق الذي هي جنة المأوى ، ولاهل الباطل في جوار الطبيعة التي هي الدرك الاسفل . والسابعة: فضل الجزاء وشرفه ، وهو إحاطة اهل الثواب ، بما فيه اهل العقاب ، وثمرته الحمد كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَنَادَى

(١) في نسخة س وردت الناموس .
(٢) في نسخة س وردت المغيرة .

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وكذلك لأهل العقاب، والوقوف على ما فيه اهل الثواب من النعيم وثمرته الندم كما قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ، قَالُوا: إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ولمّا فرغنا من شرح هذه الاقسام وأردنا ان نتخذ جدولاً يحيط بهذه الاقسام، ونشعبها على سبيل الاختصار، جعلنا سبعة اسطر في الطول: فالسطر الاول كتبنا في اول مربعه القسم الاول في معرفة المبدع، والثاني في المرتبة الثانية انه يتشعب الى سبع، وفي الدرجة الثالثة الى آخر البيوت في الشعب السبع على التوالي، وكذلك فعلنا لكل سطر الى آخر السطور.

وفي الصفحة المقابلة صور الاسطر:

القسم الأول	القسم الثاني	القسم الثالث	القسم الرابع	القسم الخامس	القسم السادس	القسم السابع
معرفة المبدع	العقل	المنطق	حسن التركيب	حسن التدبير	ارسال الرسل	البقاء
ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة	ينقسم الى سبعة
اولها معرفة العلة والمعلول	أولها الاعتبار	اولها العلم والحكمة وثمرتها الاحاطة وضدها الجهل	اولها الدماغ وخاصيته التمييز	أولها حسن تدبيره في الأبنية	اولها وقوع الرغبة	اولها البعث
الثانية معرفة العدد والمعدود	الثانية الاستشهاد	الثانية العدل وثمرتها الامانة وضدها الجور	الثانية القلب وخاصيته السياسة	الثانية حسن تدبيره في الصناعة	الثانية وقوع الامان	الثانية الصراط
الثالثة معرفة البسيط والمركب	الثالثة ترك ما لا بأس به	الثالثة العفة وثمرتها القناعة وضدها الحرص	الثالثة الكبد وخاصيته اختلاف الشهوة	الثالثة حسن تدبيره في الملابس	الثالثة وجوب المجاملة	الثالثة الميزان
الرابعة معرفة الثقات	الرابعة استعمال ما به س	الرابعة الجود وثمرته الافضال وضده البخل	الرابعة الرئة وخاصيتها النفس بالنطق	الرابعة حسن تدبيره في الحروب	الرابعة لزوم القصاص	الرابعة الحساب
الخامسة معرفة نفسه	الخامسة اتكاره على الحس	الخامسة الشجاعة وثمرتها العقوبة وضدها الجبن	الخامسة الطحال وخاصيته الضحك	الخامسة حسن تدبيره في النبات	الخامسة ذكر المبدع	الخامسة الجزاء
السادسة معرفة رموزات النفس	السادسة بشارته للنفس	السادسة الرحمة وثمرتها العفو وضدها القسوة	السادسة المرارة وخاصيتها اللون	السادسة حسن تدبيره في الحيوان	السادسة حجر الافعال	السادسة التحليل
السابعة براءته من التعطيل	السابعة افادته للنفس	السابعة الصدق وثمرته الوفاء وضدة الكذب	السابعة الكليتان وخاصيتها الاحتلام	السابعة حسن تدبيره في العلوم	السابعة رسوخ المحبة	السابعة شرف الجزاء

الفصل التاسع من المقالة الاولى :

« في ان افضل البشر هم الرسل »

التسخير تسخيران : تسخير طبيعي ، وتسخير ارادي ، امّا الطبيعي فكتسخير بعض الانواع لبعض ، ولا يكون ذلك الاّ بوجود الفضل في المسخر ، وعدم ذلك الفضل في المسخر له ، كتسخير انواع النبات لانواع المعادن لوجود النما فيه ، وكتسخير انواع الحيوان ، لأنواع النبات ، لوجود الحس فيـــه ، وكتسخير نوع الانسان ،لأنواع الحيوان ، وأنواع النبات لوجود النطق فيه . وهذه جميعاً تسخيرات طبيعيّة ، وامّا التسخير الارادي ، فكتسخير شخص واحد من نوع واحد جميع اشخاص ذلك النوع ، كتسخير الرسول عدداً كثيراً من اشخاص الانسانيـــة لوجود القدس فيه ، وانما قلنا ان هذا التسخير ارادي ، وذلك طبيعي ، لان التسخيرات انما ثبتت بثبات المسخر ، وبطلت[1] ببطلان المسخر ، والتسخير لا يبطل بغيبة المسخر ، بل يزيد بثباته بعد غيبته ، فعلم انه ارادي ، لا طبيعي ، والذي له التسخير الارادي هو افضل من الذي له التسخير الطبيعي ، وايضاً فأن فضل السائس انما هو على مقدار افضل المسوس ، فكلما كان المسوس افضل ، كان السائس له افضل .

وقد أوضحنا في الفصل الذي قبل هذا الفصل . فضل البشر على سائـــر مواليد العالم ، ولم نجد احداً دبر سياسة البشر سياسة عامة[2] غير الرسل ، فعلم انهم افضل الخلائق في هذا العالم الجسماني ، وان شككت في هذا فانظر الى فضل سياساتهم على سياسة الملوك . فان سياساتهم لا تشبه سياسة الملوك لان سياسة الملوك ليست على حالة واحدة ، ونظم واحد . بل لهم في كل طبقة من الناس سياسة ورسم لا تشبه سياسة الطبقـــة الاخرى ، وامّا سياسة الرسل فانها سياسة واحدة ، ورسم واحد لجميع الناس سواء الوضيع والشريف فيها . فان قال قائل : وما في هذا من الشرف على سياسة الملوك ، بل سياسة الملوك اشرف من سياسة الرسل، لاختلاف سياسة الملوك لطبقات الناس على سائر مراتبهم ، وعمومية سياسة الرسل لجميع الناس عموماً واحداً قلنا له : انما اختلفت سياسة الملوك لنقصان تدابيرهم،

(١) في نسخة م وردت وتبطل .
(٢) في نسخة م وردت عامية .

واتفقت سياسة الرسل لكمالهم ، وتمامية قوتهم المتصلة بهم من العالم الروحاني ، وانما مثل سياسة الرسل ، كمثل الجلاّب ، المتخذ بالسكر الطبرزي ، وماء الورد والفائق يصلح لجميع المرضى ، ويدفع ضرر امراضهم لاعتداله . ومثل سياسة الملوك كمثل بعض الأدوية التي تصلح لبعض الامراض دون بعض ، فاذا حدث مرض آخر مضاد لهذا المرض احتاج الى غيره من الدواء ، فقد بان ان الذي يسوس الناس سياسة واحدة هو افضل من الذي يسوسهم سياسات مختلفة ، ولا خلاف ان الفاضل من كل نوع انما يظهر في زمان طويل ، والذي دون الفاضل لا يخلو منه زمان ، والمثل في ذلك انه قد يوجد في كل وقت في الاصداف اللؤلؤ الصغار ، والوسط منها ، ولا توجد اللؤلؤة الصافية المدحرجة الاّ في زمان طويل ، وكذلك الياقوت الصافي ، وجميع انواع المعادن ، وأنواع النبات ، وأنواع الحيوان ، حتى قد يضرب المثل ببعضها فيقال: كأنه دابة فلان الملك ، او كأنه فلان الحكيم .

فإذاً يجب من هذه المقدمة ان يكون الرسل هم افضل البشر ، اذ وجودهم ليس في كل وقت ، بل في كل الف سنة ، اقل او اكثر ، يظهر الواحد منهم، وان فضائل النفس في الحي الناطق سبع على ما قدمنا القول عليه . وهي : العلم والعدل والعفة والجود والشجاعة والرحمة والصدق . وان ظهور هـــذه الفضائل في الرسل خلاف ظهور ما في سائر البشر ، اذ ظهورها فيهم كالشيء الكلي بقياسها الى ما في البشر منها ، والمثل في ذلك علم الرسول صلّى الله عليه وآله صار كلاًّ لعلوم امته ، وعلوم امته صارت جزءًا لعلمه ، اذ من بعده الى يومنا هذا قد استحق اسم[1] العالمية ، ومن فضل علمه وآثاره استفاد كثير لا يحصى عددهم ، مع وجود الاقرار من جماعتهم ، لان علومهم لا قدر لها بحيث علمه الموهوب له من ربه ، وقد فرق الله تعالى بين علومه وبين علوم امته فقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو التالي ، وقال في علوم امته ، وما يعلمهم الاّ قليل ، ثم من بعده العدل ، انما يستحق الانسان ان يسمّى عادلاً ، اذا كان جارياً على ملة صاحب شريعته ، فصار من اجل هذا عدل الرسول كلاًّ لعدل امته ، وقد نزّه الله جلّ جلاله الرسل عن الجور فقال: ﴿ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ فمن كان عمله

(١) في نسخة م وردت الاسم .

بأمر الله لا يجور ، ولا يظلم ، بل يعدل ، ثم بعده العفة ، انما يستحق الانسان ان يسمّى عفيفاً ، اذ قدر على الدنيا فتركها بعد المعرفة بحقيقتها والرسل صلوات الله عليهم قدروا الدنيا فتركوها ، وزهدوا فيها ، وذموها[1] ، بعد معرفتهم بها ، وبتغيير احوالها فقال : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ثم بعده الجود وقد استعمله الرسل على غاية الامكان اذ جادوا بما اتصل بهم من نور الله تعالى ، وبذلوا ما اجتمع عندهم من حطام الدنيا ، لم يخافوا بعطبها ولا فناءها ، ثم بعد الشجاعة لم يستعملها احد كاستعمال الرسول صلّى الله عليه وآله ، اذ الواحد منهم بنفسه يكاشف اهل العالم في سلب ما نبت عليه لحومهم ، ولحوم ابائهم ، لا يخاف في امر الله تعالى لومة لائم ، ومن دونهم من البشر ، فإذا كاشف الواحد منهم مائة في سلب عرض من اعراض العاجلية يسمّى بطلاً شجاعاً[2] ، اليست شجاعة الرسل ، شجاعة كليّة روحانية لا تشبه هذه الشجاعة الطبيعيّة ثم بعده الرحمة قد اعطي الرسل منها الحظ الأوفر اذا قاسوا في اقامة الدعوة ما قاسوه من الشدائد والبلايا رحمة منهم على امتهم كما قال جلّ جلاله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم بعده الصدق الذي عليه دعوة الرسل ، لان الصدق انمّا هو اثبات شيء لشيء هو له ، وإبطال شيء عن شيء ممّا ليس فيه ، وقد اجتهدوا صلوات الله عليهم في ابطال الأباطيل ، ممّا لا يليق بالمبدع سبحانه من تشبيه المشبهة ممّا خفي على جميع المعتقدين بالتوحيد ، واجتهدوا

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة من .

ايضاً في اثبات البعث للانفس التي لها بعثٌ بالحقيقة ، ودعوتهم في دار المعاد ، فهم الصادقون بالحقيقة ، ودعوتهم الصدق كما قال جل جلاله ، ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ وهو الناطق الذي جاء بالقرآن المبين ، وما يصنع بصدق لهجته ، وقد نزّه الله خاطره عن الكذب . فقال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ فإذا كان لاحد من الصفوة واللطافة والعصمة ان لا يكذب فوآده في فيضان خواطره ، فكيف يتوهم على لهجته الكذب . فقد صحّ بهذه المقدمات العيانية ان الرسل صلوات الله عليهم هم افضل البشر .

الفصل العاشر من المقالة الاولى :

« في ان بين الانبياء صلوات الله عليهم وان كانوا في غاية الفضل تفاوتاً »

قال الله تعالى ذكره : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ واذا كانت الخلقة جرت في العالم الجسماني على التفاوت في كل نوع ، ثم وجدت الرسل مشاركين للاشياء الجسمانية في الخلقة ، كان وجود التفاوت فيهم واجباً ، ومثال ذلك ان انواع الاحجار المنعقدة قد انتهت في قبول الصفوة من تأثير الاجرام العلوية الى الياقوت الاحمر ، وفي الاجساد المذابة الى الذهب ، وفي النبات الحبوبي الى الحنطة ، وفي الاشجار المثمرة الى النخيل ، وفي الحيوان الى الانسان ، وفي الناس الى الرسل ، ثم لم يتفق اشخاص كل نوع انتهت اليه الصفوة[1] بل تفاوتت اشخاصه ، فان نوع الياقوت الاحمر مختلفة اشخاصه بعضها ، اصفى من بعض ، وكذلك نوع الذهب ايضاً مختلفة اشخاصها ، بعضها أجود من بعض ، وكذلك انواع الحنطة مختلفة ، وهكذا اشخاص النخيل ، وأشخاص الناس ، بعضها افضل من بعض .

وجب من هذه المقدمة ان تكون اشخاص الرسل بعضها فوق بعض بالدرجة والفضل ، وانما وقع القصاص بين الرسل من اجل التفاضل الذي يكون بين الامم من جهة ممر الأزمان فانه قد يقال ان الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم ، فإذاً يجب ان يكون كل زمان يقبل من اثار حركات الاجرام العلوية شيئاً من اللطافة

(١) في نسخة س وردت الصفاء .

والكثافة ، فيغيّر مزاج الناس واخلاقهم ، فإذاً يجب بسبب ذلك ان يكون الرسول المرسل اليهم على حسب ما قبلوه من لطافة الاجرام العلوية بواسطة الاجرام السفلية او كثافتها ، وفضل الرسول على الرسول ، كفضل الأئمة على الامة ، ولا خلاف ان بين الامم تفاضلاً من جهة الصفوة والكدورة . كما قال جلّ جلاله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فإذا كانت امة محمد صلّى الله عليه وآله خير الامم ، فالرسول الذي ارسل اليهم خير الرسل ، وايضاً فان من المتفق ان الاشياء المتساوية في القوة افعالها متساوية ، وان الاشياء المختلفة في القوة افعالها مختلفة ، وليس بشيء ظاهر من افعال الرسل الاّ الشرائع والأوضاع ، وقد وجدت كلها مختلفة وجب ان تكون قوى واضعيها ايضاً ، واذا نظرت في الاشياء الجسمانية وجدت التفاضل في الاشياء الفاضلة الشريفة [1] اظهر منها في الاشياء الدنيّة ، فان التفاوت الذي بين الياقوت والياقوت ، اظهر من التفاوت الذي بين الحجر والحجر ، وهكذا التفاوت الذي بين الفرس والفرس ، اظهر من التفاوت الذي بين الغنم والغنم في القيمة والجودة ، وكذلك التفاوت الذي بين العالم والعالم اظهر من التفاوت الذي بين الجاهل والجاهل .

وجب من هذه المقدمة ايضاً ان يكون التفاوت الذي بين الرسول والرسول في باب الفضل ، اظهر من التفاوت الذي بين الانسان والانسان فاعرفه ، فان قال قائل فان الله تبارك وتعالى مدح المؤمنين حيث يقول : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ وانت تقول: ان بين الرسل تفاضلاً وتفاوتاً ، قلنا له ان التفريق بين الرسل على ثلاثة وجوه : فالوجه الاول : اراد به عبور المراحل من اول الدور الى آخره ، فان من وقف على حد ابراهيم ، وآمن به وصدقه في دعواه ، ولم يعبره الى حد موسى فقد فرق بينه وبين موسى ، والذي اوصل الله وحده به وبمن وقف

(١) سقطت في نسخة س .

على حد موسى ، وآمن به وصدقه ، ولم يعبره الى حد عيسى ، فقد فرق بينه وبين عيسى ، والذي اوصل الله حده به ، ومن وقف على حد عيسى ، وآمن به وصدقه ولم يعبره الى محمد صلّى الله عليه وعلى آله ، فقد فرّق بينه وبين محمد ، والذي اوصل الله حده بحده ، ومن وقف على محمد صلّى الله عليه وآله ، وآمن به ، وصدقه ولم يعبره الى حد القائم [1] ، كما قال : بعثت انا والساعة كهاتين . فقد فرّق بينه وبين صاحب القيامة ، والذي اوصل الله حده بحده ، والوجه الثاني اراد به معرفة المؤمنين . ان حقائق الرسل التي ستروها تحت الشرائع ليست بمختلفة ، فقالوا لا نفرّق بين حقائق الرسل ، وان اختلفت أوضاعهم . والوجه الثالث: معناه مضمر في لفظة من غير تفسير ، اذا التفريق بين الاحد ممتنع من جهة المباثنة ، وقوله لا نفرّق بين احد الرسل وبين بابه المنصوب ، لبث الحكمة ، وليسوا كمن ذمهم الله تعالى في كتابه ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، فهذه مع وجود التفريق الذي نفاه الله تعالى عن المؤمنين ومدحهم .

الفصل الحادي عشر من المقالة الاولى :

« في ان بعض المتفاوتين قد يدرك مرتبة غيره »

ان ترتيب الاشياء الطبيعية لا يدفعه دافع ، اذ وجوده ظاهر في الحس ، والموجود في الحس لا يدفع ، الاّ ان الاشياء بين قوة وفعل ، فالذي هو بالقوة يصير بالفعل ، بواسطة الشيء الذي هو بالفعل ، كالماء الذي هو صار بالقوة ، يصير حارًا بالفعل ، بواسطة النار التي هي حارة بالفعل . ونبدأ الآن بالنبات الذي تأثر فيه من النفس القوة النامية فنقول : انه حسّاس بالقوة ، فيصير حسّاساً بالفعل اذا مازج الحيوان الذي هو حسّاس بالفعل وصار غذاءً له . وكذلك الحيوان ناطق بالقوة ، ويصير ناطقاً بالفعل اذا مازج الانسان الذي هو ناطق بالفعل وصار غذاءً له ، وبقي من المراتب الأربع النطق والقدس ، وجب ان يجري فيهما هذا الترتيب الذي جرى في النامية والحسيّة في بلوغ احدهما الى مرتبة الاخرى ، لان النطق تأييداً بالقوة ، ويصير تأييداً بالفعل ، اذا استفاد ممن هو مؤيد بالفعل ، وهكذا الترتيب بين اصحاب القدس موجود ، ويتهيأ لمن هو في المرتبة الدنيا ان يدرك

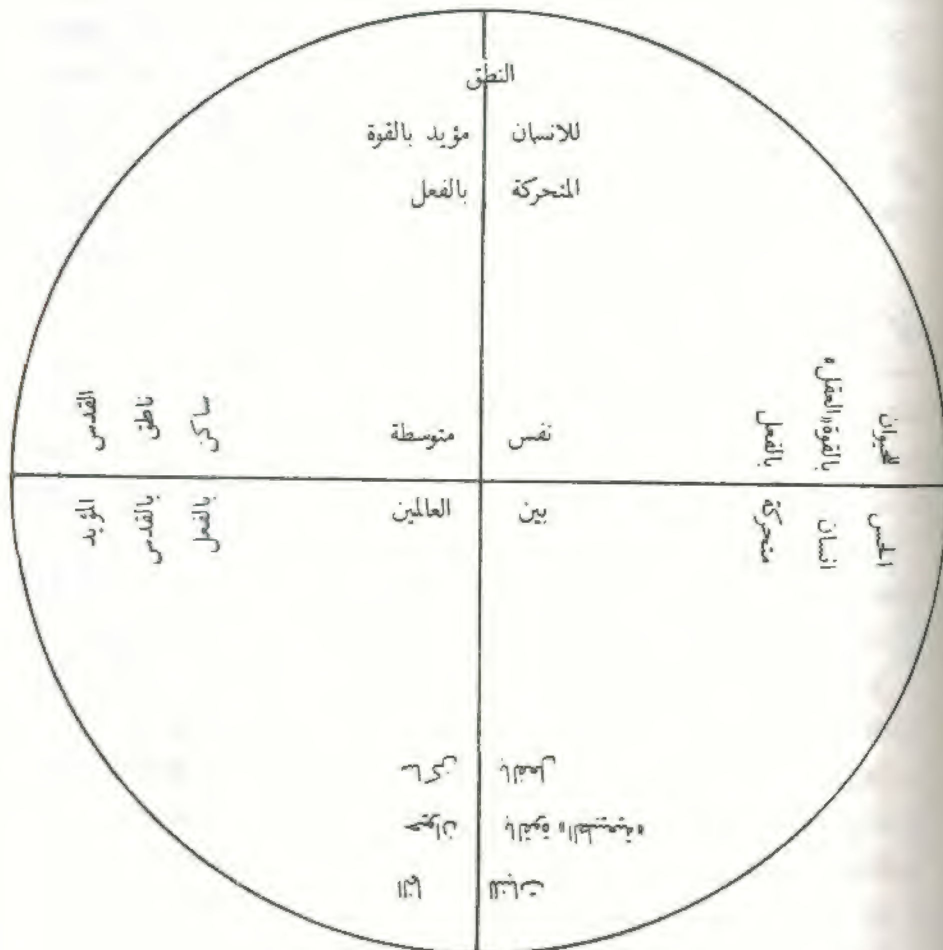
(١) في نسخة م وردت القيامة .

مرتبة من هو في المرتبة العليا، كاللواحق يدركون مرتبة الاتماء، والمتم يدرك الأساسية والناطقية كما اخبر العزيز العليم عن بلوغ محمد صلّى الله عليه وآله مرتبة الناطقية من حد الامامية قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ عنى به: ان التالي لمّا اراد ان يظهر سبحانية المبدع عن صفات المخلوقين بين عباده في العالم الجسماني، بإفادة السابق اياه، اسرى بمحمد صلّى الله عليه وآله من حد الامامة اسراءً الى حد الناطقية اعلاناً ليطلع على الاعيان الروحانية المدخرة له ولأمته خفياً، فيعبر بلسان قومه سبحانيته جهراً.

غير ان الفرق بين النما والحس، وبين النطق والقدس، هو ان النما والحس لا يدرك واحد منهما مرتبة غيره بالاستفادة بل بالاستحالة، لان النفس لها طرفان: طرف منهما عند الطبيعة، وطرف منهما عند العقل، والطرف الذي عند العقل[١] هو للاستفادة، والطرف الذي عند الطبيعة للافادة لتنبعث من الطبيعة الصور التي يمكنها قبول فوائد العقل، فالنما والحس عند قوتهما هما اللتان افادتهما الطبيعة، والنطق والقدس من قوتهما هما اللتان استفادتهما[٢] من العقل، فليس في السابق استحالة، الاّ الافادة فقط. وجب ان يكون بلوغ النطق والقدس الى مرتبة غيرهما بالاستفادة لا بالاستحالة، والعالم الطبيعي عالم الاستحالة، وجب ان يكون بلوغ النما والحس، الى مرتبة غيرهما من جهة الاستحالة، لا من جهة الإفادة؛ وكأن النفس لمّا انبعثت من العقل رأت ان بلوغها الى حد الأول بالقوتين اللتين ذكرناهما، وهما النطق والقدس، احداهما الحركة شوقها وهي النطق، والاخرى السكون نيلها الفوائد العقلية وهي القدس، وامتنع ظهورهما الاّ بالانبجاس الطبيعية منها، فانبجست الطبيعة منها بأثرين: احدهما الحركة وهي الهيولى، والاخرى السكون وهي الصورة. وعلمت النفس ان ظهور الصور القابلة للنطق والقدس لا يكون الاّ بقوتين مشبهتين وهما النما والحس. فالحس للحركة، والنما للسكون، فوهبتهما للطبيعة، فكان ابتداء الطبيعيات بالقوة الساكنة، وهي النما وانتهاءها الى القوة المتحركة، وهي الحس وابتداء الروحانيات بالقوة المتحركة، وهي النطق وانتهاءها

(١) سقطت في نسخة م
(٢) وردت في نسخة م استفادتها.

الى القوة الساكنة وهي القدس لتكمل افعال الطبيعة، ويظهر آثار العقل، ولنصوّر دائرة القوى المنبجسة من النفس الكلية لتامية الحكمة، ليقع تحت حس البصر وهذه هي:



الفصل الثاني عشر من المقالة الاولى :

« في ان ليس في عالم العقل تفاوت بوجه من الوجوه »

اولاً وبحق سمي العقل بالحقيقة لا بالمجاز ، اذا التفاوت فيه ، وفي عالمه ممتنع لان وجود التفاوت فيه يوجب رفع الأولية عنه ، اذ التفاوت انما يكون من اول وثاني بتفاوت اوله عن ثانيه ، وليس في العقل فيما هو اول بالحقيقة ثاني بوجه من الوجوه ، وليس انبعاث النفس عنه بموجب وجودها في أوليته ، اذ الأولية لم ينلها غير السابق بقوة ابداع المبدع ، بل بالانبعاث من شيء ، والابداع من لا شيء ، فكل ما انبعاثه من شيء فالأول سابق عليه ، فإذاً السابق من جهة اوليته[1] سابق على التالي من جهة انبعاثه ، فليس في السابق ، ولا في عالمه اذاً تفاوت بوجه من الوجوه ، اذ وجود التالي في أوليته ممتنع ، والتفاوت انما يكون في أول وثاني .

وايضاً فان ادراك الاشياء المتفاوتة يمكن ادراكها بالعقل ، فلو كان فيه اعني العقل ، او في عالمه تفاوت ، لامتنع ادراك المتفاوت بالمتفاوت ، كما ان ترتيب الاشياء المحسوسة المختلفة من جهة المشاعر الخمس انما تدرك من جهة اتفاق المختلفة منها في كل جنس كالألوان المختلفة من جهة تنويعها بالسواد وبالبياض والحمرة والصفرة والخضرة وغيرها المتفقة في حاسة البصر ، فلو تفاوتت حاسة البصر لادراك الاشياء المختلفة بالتنويع اللوني ولامتنع ادراكها جميعاً بتلك الحاسة ، وكذلك الطعوم[2] المختلفة بالتنويع اللوني لامتنع ادراكها جميعاً بتلك الحاسة ، وكذلك الطعوم المختلفة من جهة تنويعها بالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وغيرها من الطعوم المتفقة في حاسة الذوق ، فلو تفاوتت حاسة الذوق لإدراك الاشياء المختلفة بالتنويع الذوقي ، لامتنع ادراكها لها وكذلك الأرائح والأصوات واللمس ، وهكذا الحواس مختلفة متفاوتة وانما تنطبع في الحاس من جهة اتفاق المختلفة منها في القوة الحاسة كالكيفيات المختلفة من جهة تنويعها في اللون والطعم والريح والصوت واللمس المتفقة في القوة الحاسة ، وان كان كل نوع منها جنساً لما تحتها من انواعها ، فلو تفاوتت القوة الحاسة بادراك الاشياء المختلفة بالتنويع ذوات الكيفيات ، لامتنع ادراكها بهـا وهكذا القوة الحاسة ، والقوة المفكرة ، والقوة الحافظة ، والقوة المصورة ، والقوة المذكرة

(١) في نسخة س وردت اوله .

(٢) في نسخة س وردت الطعام .

مختلفة متفاوتة ، وانما تتجوهر في النفس من جهة اتفاقها فيها ، فلو تفاوتت جوهرية النفس لإدراك هذه القوى المذكورة لامتنع للنفس ادراكها ، وكذلك جوهرية[1] النفس منقسمة بين ما هو فيها بالفعل ، وبين ما هو فيها بالقوة ، متفقة جميعها في جوهرية العقل ، فلو تفاوتت جوهرية العقل عن حال الأولية لامتنع ادراك حالتي النفس وهما حالة القوة وحالة الفعل ، فلم يبق في العقل الاول الا واحدة حال بلا تكثير ، ومن كانت حالته واحدة بلا تكثير ، كان توهم التفاوت فيه محالاً ، فهو الخلق الاول الحقيقي الذي قال الله تعالى ذكره فيه : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ وكل خلق بعده ، فالتخليف فيه بالمجاز لا بالحقيقة ، اذا اضيف الى المبدع ، لان خلق المبدع بالحقيقة هو العقل الأول المبدع لا من شيء ليكون سبحانه بفعله غير مشارك لأحدٍ من المخلوقين ، كما ان المخلوقين بصفاتهم وسماتهم لا يشاركونه .

ولو كان ايضاً في العقل وفي عالمه تفاوت حتى يتوهم منه اول وثاني ثم انبعث منه من جوهريته شيئاً كان واجباً ان يكون ذلك اثنين بالحقيقة لا ثانياً وانما انبعث منه ثانية واستحق اسم الاثنينيّة بمزاوجته معه من جهة الإفادة والاستفادة لا على الانفراد ، فإذاً لا يمكن توهم تفاوت في العقل وفي عالمه لامتناع توهم حال ثاني في أوليته ولامتناع انبعاث اثنين منه على الانفراد . وبحق ايضاً شبه العقل بنقطة المركز من الدائرة اذ الخطوط التي تخرج من تلك النقطة الى الدائرة متساوية ، فلو كان في ابعاد تلك النقطة تفاوت لاختلفت الخطوط ولم تتساوى ، فلمّا وجدت كلها متساوية علم انها اخرجت من غير شيء مختلف في ابعاده ونهايته كذلك العقل مركز العالمين بما فيهما غير متفاوت في ذاته اذ المعقولات التي تخرج منه متساوية كلها من جهة العقلية . وبحق ايضاً شبه العقل بالقلم لان صور الحروف والاسماء والكلمات والعلم وهي في القلم شيء واحد ليس له مع بعض الحروف مشاكلة ومناسبة ولا من بعضها منافرة ومباعدة ولو شاكل القلم بعض الحروف او نافر عن البعض لظهر المشاكل له قبل المنافرة عنه ، وليس يوجد في القلم هذا الحال بل يتبين للناظر ان اختلاف اشكالها وتأليفاتها انما هي من اجل حركة الكاتب لا من اجل القلم

(١) في نسخة س وردت جواهر .

في ذاته ، كذلك جميع الاشياء المبروزة في السابق لم تتفاوت في جوهريته ، بل انما تتفاوت من جهتين : اماّ في البسيط فمن اجل نقصان النفس ، وفي المركب فمن اجل تضاد الطبيعيات[1] . وتضاد حركاتها . ويحق ايضاً شبه العقل بالهيولى والنفس بالصورة ، اذ هيولى كل نوع من ذوات الهيولانيات من ذلك النوع واحدة غير متفاوتة وصورها شتى مختلفة ، ويتبين لك من قبل الاسامي ، فـان الاسم اسمان : اسم هيولاني ، واسم صوري ، كإسم الخزف هيولاني « للحب » والكوز والأجانة اسامي صورية متفاوتة بعضها عن بعض ، وكذلك جوهرية العقل شيء واحد غير متفاوت في ذاته ، وجوهرية النفس متفاوتة قوتها بعضها فوق بعض . ويحق ايضاً شبه العقل بالشمس ، والنفس بالقمر ، لان الشمس ليست بمختلفة الحركة ، بل حركتها من وقت طلوعها الى وقت طلوعها الآخر متساوية كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ يعني في طريقة واحدة غير متفاوتة ، فهو السابق الذي تجري فوائده في تاليه الذي استقر عليه ، ثم قال : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وهو ان حركات القمر في الزيادة والنقصان في منازله المقدر له اراد به التالي ، فتفاوت افادته للقابلين منه ، وهم : النطقاء والزيادة ، والنقصان على مقدار صفوتهم ، وانما لم يقع التفاوت في السابق وفي عالمه لانه خلقٌ تام لا نقصٌ فيه بوجه من الوجوه ، ولو وجد التفاوت فيه كان بعضه اذاً انقص من بعض ، ورفع اسم التمامية عنه ، وكيف يتفاوت العقل ، وانما تتفق القضايا المختلفة على الانفراد من جهة اقترانها وينتج عن النتائج البرهانية[2] العقلية ، فلو كان العقل متفاوتاً لم يصح برهان عن مقياس علمي ، بل زاد في تفاوته واختلافه بعد البرهان عليه من جهة العقل ، فلماّ وجدت القضايا المختلفة بعد اقترانها عند النتائج المبرهنة من جهة العقل متفقة ، علمت انها قد بلغت الى عالم الاتفاق ، وهو عالم العقل حتى صيرتها قضية واحدة برهانية . فقد بان بما اوضحنا ان ليس في عالم العقل تفاوت بوجه من الوجوه ، وهذه خاتمة المقالة الاولى من هذا الكتاب . والشكر للملهم — والحمد للموفق .

(١) في نسخة س وردت الطبيعة .
(٢) سقطت في نسخة س .

المقـالة الثـانيـة

في أنه لمّا ثبت أنّ لهذا العالم صانعاً حكيماً ، وجب أن يكون منه رسولاً الى المصنوعين

الفصل الأول من المقالة الثانية :

« في ان اول رسول من الصانع الى المصنوعين انما هو العقل »

اذا كانت الأغذية سبباً قد هيأته الطبيعة لقوام الحيوان، وكانت تسوية الاعضاء الداخلية سبباً اولاً لقوام الحياة في الحيوان ايضاً ، فان الاغذية انما تعطي الحياة للحيوان من اجل قبول الاعضاء الداخلية عنها، وذلك ان الحياة في الاعضاء بالفعل، وفي الاغذية بالقوة، والاعضاء الداخلية . اذاً فهو اول رسول من الطبيعة الى الحيوان، والاغذية آخر رسول . لذلك نقول : لماّ كانت الرسل صلوات الله عليهم انما اتت الينا لتأمرنا بالمحمودات ، وتنهانا عن المذمومات التي هي سبب ظهور الحياة النفسانية، ووجدنا العقل ايضاً يأمرنا بالمحمود الحسن ، وينهانا عن المذموم القبيح[1]، وان الرسول انمّا يؤدي الينا ما تعرفه عقولنا ، فنقبل ذلك منه من اجل معرفة عقولنا ، لان العقل فينا بالفعل ، وفيما ادوه الينا بالقوة ، والذي هو بالفعل اقدم من الذي هو بالقوة، والعقل او العقول التي فينا . اذاً فهو اول رسول من الصانع الينا ليأمرنا وينهانا، والرسول الجسماني آخر رسول الينا . فشبهنا الرسل بالاغذية التي بها قوام الحياة في الاعضاء الداخلية، وشبهنا عقولنا بالاعضاء الداخلية التي تقبل الحياة من الاغذية . وقد صحّ ان اول رسول من الصانع الى المصنوعين[2] ، انما هو العقل .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) في نسخة س وردت الصانعين .

ويدلك على ذلك لزوم الامر والنهي على كل صحيح العقل ، وسقوطها عن المجانين الذين لا عقول لهم ، لأن كل من وجب عليه قبول اثر العقل باعتدال تركيبه ، واتفاق مزاجاته ، وجب عليه ان يقبل اثار رسول دوره الذي هو سائسه ومدبره ، فيكون عقله رسولاً روحانياً اليه ، والرسول المرسل اليه رسولاً جسمانياً ، فإذا قبل رسالة الرسولين الروحاني والجسماني ، فقد ادّى ما عليه ، الأ انه يجب عليه استعمال الشريعة الجسمانية بإزاء الرسول الجسماني اليه ، ومعرفة الحقائق الروحانية ، بإزاء العقل الغريزي فيه ، والروحاني قبل الجسماني . فقد بان ان اول رسول من الصانع الى المصنوعين انما هو العقل . وايضاً فان المحسوسات السمعية من جهة الاصوات المنطقية انما تميز بينها النفوس بقوة العقل ، فمن عدم العقل كانت الاصوات عنده بمنزلة واحدة ، المنطقي وغير المنطقي والرسل الجسمانية اصحاب الادوار انّما ادوا الينا من جهة رسالة الصانع الكلام فقط ، فوجب علينا قبول ذلك منهم ، اذ قبلنا رسالة الرسول الأول ، وهو التمييز العقلي .

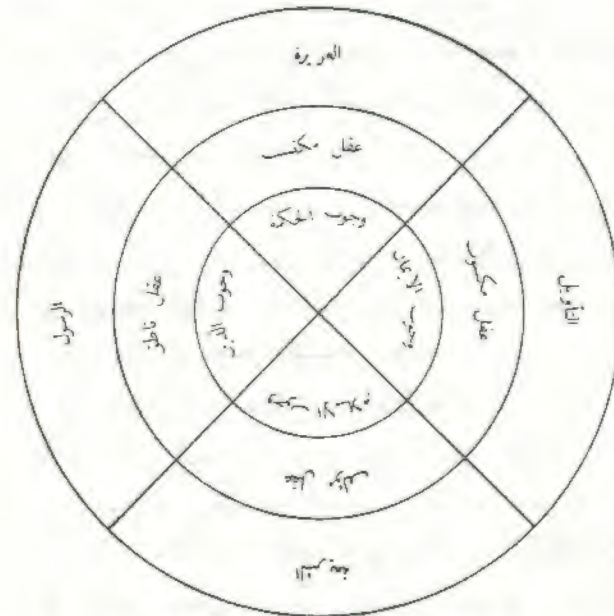
وما لم نقبل اثر العقل ، لا يلزمنا قبول آثار الرسول الجسماني في آخر رسول . واذا نظرنا فيما ادته الرسل الينا ، وفيما حكمت به عقولنا ، وجدنا بينهما اتفاقاً او مشاكلة ، لأن اول دعوة دعانا اليها الرسول صلوات الله عليه هي الشهادة باثبات الصانع ، ووجدنا عقولنا تشهد بها اولاً ، اذا العاقل لا يكابر عقله ، فيجحد بما لا بد له من الاقرار به ، اذ يعلم انه ليس بصانع نفسه ، ويرى نفسه مختلفة الهيئة ، فيلزمه الاقرار بالصانع الذي صنعه وخلقه ، وكذلك يعلم ان صانعه هو الذي صنع السموات والارضين[1] وما بينهما ، لأن اختلاف الوضع والهيئة في بنية العالم ليس بدون اختلافها في بنية نفسه ، والعقل يحكم في جميع الاشياء المختلفة ، انما هو مقصود في بنيتها لمعنى ما ، فإذا ثبت القصد في نفس العالم ، ثبت ان له قاصداً قصد لوضعه وتأليفه ، وثبت له الصانع . فإذاً العقل اول رسول اليه في اثبات الصانع ، والرسول الجسماني آخر رسول اليه . وكذلك دعانا بالاقرار بعد بالصانع الى الاقرار برسالته ، وانه رسول من الصانع الينا ، كذلك العقل يشهد بوجود الافضل والاخير من كل نوع على حسب فضله وشرفه . وقد قدمنا قبل هذا في المقالة الاولى من ذكر فضائل الرسل ما اذا تفكر فيه المفكر ، علم انهم افضل البشر . ثم دعانا بعد ذلك الى تحليل بعض المأكولات ، وتحريم بعضها ، والعقل ايضاً يحكم اولاً

(١) وردت بنسخة م والارض .

في بعض الاوقات بتحريم بعض المأكولات ، وتحليل بعضها ، ثم دعانا بعد ذلك الى ان نستعمل جوارحنا في اداء الشرائع الواجبة علينا ، كذلك العقل يحكم اولاً علينا في استعمال الجوارح فيما يجري نفعه علينا من جر منفعة او دفع مضرة .

والآن : نجمل القول فيما قصدناه فنقول : ان العقل ظهوره في الانسان من أربعة مواضع : اثنان لطيفان ، واثنان كثيفان ، فالموضع الأول : من الغريزة ، والموضع الثاني : من الرسول ، والموضع الثالث : من الشريعة ، والموضع الرابع : من التأويل . فمن وقف على الموضع الأول ، ولم يقف على المواضع الثلاثة بعده ، فقد وقع في التعطيل . ومن ارتقى من الموضع الأول الى الموضع الثاني ، ولم يقف على الموضعين الآخرين فقد وقع في العمى والتضليل . كما قال جلّ وعز : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ وكمثل الذي ينعق بما لا يسمع الأ دعاء ، ونداء من ارتقى من الموضعين الى الموضع الثالث ، واستعمل الشريعة بجهده وطاقته ولم يرتق الى الموضع الرابع ، فقد وقع في الغمة والتشبيه . ومثله كما قال الله تعالى فيهم : ﴿وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ ومن ارتقى من المواضع الثلاثة ، الى الموضع الرابع ، ووقف على التأويلات فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، واستحق ان يسمّى حكيماً بالغريزة متديناً بالرسول ، مسلماً بالشريعة ، موءمناً بالتأويل ، وهو الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذه منزلة الايمان الغريزي عند قوله : ﴿إذَا مَا اتَّقَوا وآمَنُوا وَعَمِلوا الصالِحات ﴾ وهذه منزلة الايمان بالرسول . ثم ﴿اتَّقَوا وآمَنُوا﴾ فهذه منزلة استعمال الشريعة ، ثم ﴿اتَّقَوا وأَحْسَنُوا ﴾ وهذه منزلة وقوفه على التأويل ، فقد عكس ضوء العقل من المنزلة الرابعة على المواضع الثلاثة قبلها . فالعقل اذاً بالغريزة ، اول رسول وبالتأويل آخر رسول ، والرسول الجسماني بالإداء اول رسول ، وبالشريعة آخر رسول ، فقد ظهر ان العقل اول رسول من الصانع الى المصنوعين ، والرسول الجسماني آخر رسول . ولنصنع لما رسمنا

مثالاً للمنازل الأربع ، التي للعقل في صورة الانسانية ونجعله دائرة ، ونقسمهــا بأربعة اقسام ونكتب في الربع الأول الغريزة تحتها عقل مكتسب يجب عنه الحكمة ، وفي الربع الثاني الرسول تحته عقل ناطق يجب عنه الدين ، وفي الربع الثالث الشريعة تحتها عقل مؤلف يجب عنه في هذا الدور الاسلام ، وفي الربع الرابع التأويل تحته عقل مكسوب يجب عنه في هذا الدور الايمان . — وهذه هي صورة الدائرة :



ان هذه الدائرة ابتداءها بالغريزة ، وانتهاءها الى التأويل ، ولا يلزم التأويل لمن عطل الشريعة واهملها ، وكذلك الشريعة لا تلزم لمن انكر الرسالة وجحدها ، وكذلك طاعة الرسول لا تلزم من فقد الغريزة وعدمها ، وبالعكس فان من صحّت غريزته وجب عليه الاقرار بالرسل ، ومن اقرّ بالرسل ، وجب عليه استعمال الشريعة ، ومن وجب عليه استعمال الشريعة ، وجب عليه الوقوف على التأويل ، ومن وقف على التأويل ولم يستعمل شريعة الرسول ، كان مثله كمثل من اعطى الغريزة الصحيحة فعكف عليها ولم يؤمن بالرسل ، فهو عن قريب[1] يقع في التعطيل الذي سلب

(١) وردت في نسخة م قرين .

عنه حلاوة التأويل ، وتفسد عليه غريزته . ومن وقف على التأويل ، ولم يقصر في استعمال الشريعة كان مثله مثل من اعطى الغريزة الصحيحة فآمن بالرسل ، وقبل اثارهم فهو عن قريب يحصد ما زرع من زيادة في البيــان ، ولطافة في الاذهان . نسأل الله جل جلاله ان يجعلنا ممن وقف على التأويل ، واستعمل الشريعة ، وآمن بالرسل ، واتبع عقله ، ونعوذ بالله ان يجعلنا ممن اعتمد على عقله ، دون الايمان بالرسل ، وعلى التأويلات دون استعمال الشرائع انه ذو فضلٍ كريم .

الفصل الثاني من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها يختار الله بعض عباده للرسالة »

ان كنوز الفضائل المفاضة على السابق من كلمة المبدع كثيرة ، وغير متناهية ، ومن السابق على التالي متجزأة لم يفض السابق على التالي جميع ما افاض عليه المبدع للعلل ، ولا يليق شرحها بكتابنا هذا بل جزأه وصنّفه ، ومن التالي على الاشخاص الغير متجزأة من نوع الانسان مشرقة على صفوة مقدار الاشخاص وكدورتها ، وانما افاض السابق على التالي وقت انبعاثه من الجزء الذي امكن به التالي تصوير العالم الجسماني ، لإخراج الكائنة الفاسدة ، وأمسك عنه الجزء الذي صار بامساكه عنه علة امساك العالم الطبيعي لتمام الحكمة ، وعلة ترتيب الصور الانسانية بإزاء الروحانية العقلية ، ليكون شوق النفس الى ما امسك عنها العقل دائماً ، وتكون صور العالمين محفوظة على هيئتها ، وسمتها بدوام شوقها[1] ، الى ما امسك عنها ، فإذا افاض السابق على التالي شيئاً ممّا امسك عنه ، وأراد التالي ان يجود به على معلوله وهي الطبيعة ، ويكون ظهور ذلك في الحي الناطق ، فيتأثر في الانفس الجزئية على مقدار صفوتها ، وتتخلف الانفس ذوات الكدورة من اختلاف المزاج في الافراط ، وبعده عن الاعتدال عن قبول افــاضة التالي ، فصارت هذه النفس الصافية المصطفاة القابلة اثار التالي ، قبولاً جوهريّاً رسولاً مختاراً من بين عباد الله ، الى الانفس التي تخلفت عن قبول تلك الآثار لعلتين اثنتين احداهما من اجل مشاركة المخلفين معهم في قبول هذه الصورة الشريفة[2] التي هي الانسانية ، والاخرى من

(١) في نسخة س وردت شوكها .
(٢) سقطت في نسخة س .

اجل ان العاجز عن قبول تلك الآثار بقلبه ، لا يعجز عن قبول ذلك بسمعه ، عند عبارة الرسول ، فصار هذا الرسول مختاراً ، اختاره الله جلّ جلاله ليعبر عمّا صوّر الروح الامين في قلبه من علوم الملكوت ، بلسان القوم المختلفين عن قبوله ، فيجري ذلك في مسامعهم ، فيكون من ذلك بسط العدل ، ووضع كل شيء موضعه وهو تمام الحكمة ، وأصل العدل .

وأيضاً ، فان اختيار الله جل ذكره بعض عباده للرسالة ، مع وجود الرسول الاول في غرائزهم الذي هو العقل ، انما هو من اجل ان الموهومات عند اكثر الناس انما تصح من اجل اقترانها بالمحسوسات ، فإذا قام قائم في بعض السنين ، فاثبت الناس بما هو ثابت في غرائزهم ، فيرتفع الشك والريب[1] عن قلوبهم ، والمثل في ذلك انّا لو توهمنا ان النار متى تسربت الى الحطب ، واحرقته لم يفسد اخباره ايانا وهمنا فيه ، بل زاد في صحته وثباته .

والآن: ندخل في وضع علل طبيعية لهذا الموضوع ، فنقول : ان ظهور المواليد في العالم الطبيعي من جهة حركات الاجرام العلوية ، وكل نوع منها تكوينه من اجل النوع الذي يتلوه في الفضل والشرف ، الى ان يبلغ الى الانسان ، فيكون تكوينه من اجل نفسه لا من اجل شيء سواه ، وإذا بلغ الى الانسان لم يجاوزه نوع في الشرف ، كانت السياسة الناموسية فوقه بالفضل والشرف ولا خلاف ان العقل كوّن الاشخاص السفلية بحركتين : احداهما حركة العقل من جهة حركات الاجرام العلوية ، لكون الخلقة البدنية ، والاخرى لكون السياسة الناموسية ، اذ ان وضع السياسات ايضاً في هذا النوع من جهة حركاتها ، الاّ ان السياسة في شخص الانسان توجد في وقت دون وقت ، والخلقة البدنية[2] في كل الاوقات موجودة ، فيجب من هذا ان تكون الحركات التي يتكون منها كون الاشخاص في الاجرام العلوية موجودة في كل وقت ، والحركات التي تتكون منها كيفية وضع السياسات ، انما تقع في بعض الاوقات دون بعض ، فإذا حدث كون شخص معتدل في وقت تتهيأ فيه جميع الحركات الموجبة للسياسيات ، كان ذلك الشخص يقبل الحركتين جميعاً ، حركة الكون ، وحركة السياسات ، فيصير رسولاً مبلغاً الى

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) في نسخة س وردت البدائية .

من يكون ، كون شخصه في وقت حركة التكوين ، لا في وقت حركات كون السياسة . وأيضاً فأنا عاجزون عن توهم امر ونهي واجب علينا استعماله ، او تركه من الله سوى ما رسمه لنا صاحب الدور من المنافع الظاهرة فيها من تطهير البدن عن ادران الحواس ، عند استعمال الطهارة ، وما في الصلاة من الخشوع والابتهال ، وما في الزكاة من المواساة على الضعفاء والمحتاجين ، وما في كل عمل ، وفي كل جزء من عمل شرعي فيه من المنافع التي يطول شرحها ، اذا اخذنا في وصفها . ولو تركنا ما نهواه ، لكان كل واحد منّا يختار لنفسه شريعة وناموساً ، على مقدار فهمه وفطنته ، ثم لا يستلذ باستعماله شكاً في رأيه ، وتوهماً لعل الحق فيما عليه غيره ، فإذا قام قائم في بعض الأدوار ، فجمع الناس تحت شريعة واحدة ، ورسم واحد ، لم يسأم احد عن استعماله ، ولا يشك فيما تقلده ، فيكون من ذلك دوام الصلاح لهم في المعيشة .

فلهذه العلة اختار الله بعض عباده للرسالة . وامّا علته من نفس الرسول المرسل ، فانه متى ما حدث شخص في غاية من الاعتدال الذي ان اقيس ما يحفل في دوره من الاعتدال في اشخاص المصدقين له ، الى اعتداله الموجود فيه ، كان جميع ذلك كالجزء من الكل ، والدليل على ذلك سكون الجاهل والعالم على كلام اصحاب النواميس من غير منافرة ، لان شرط الاعتدال انه لا ينفر عن شيء كالبدن المعتدل لا ينفر عن برد ، ولا حر ، ولا عن رطوبة ، ولا يبوسة ، ولا ترى احد غير اصحاب النواميس ، من له كلام يسكن اليه العالم والجاهل ، فان العالم لما كان قوله بالكلام ، وهو امر الله اذ قوامه في اخراج المواليد على الحي المتكلم ، وهو قصاراه لان غاية تمام المعلول ان يتشبه بالعلة من بعض الوجوه ، فلم يتهيأ للعالم ان يتشبه بعلته وبذاته ليتكلم ، فأخرج المواليد مرتبة بعضها تحت بعض ، الى ان بلغ الى الانسان المتكلم ، فصار من اتحد بالكلام الاول من بين الناس من جهة الأصليين رسولاً مختاراً ، قد اختاره الله من بين عباده لينذر الناس بما صور الروح الامين في قلبه ، بلسان القوم ، ويبقى ذلك الكلام بين اهل العالم زماناً طويلاً ، ويكون ذلك سبباً لاستقامة احوالهم ، ودوام صلاحهم ، كما ان الكلام الاول صار سبباً لاستقامة اركان العالم ، واجرامه ، واحواله ، وليس الاختيار في ذلك الى الناس . كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ اي بأمره الذي هو كلامه ، ويختار اي من عباده للرسالة ، والوصاية (١) ، والإمامة ، من صار له حظ منه ، ما كان لهم الخيرة ، اذ لا وقوف لهم على الاشياء الروحانية المستورة ، عن اعيانهم سبحان الله وتعالى عمّا يشركون يعني والله منزّه ، عن ان يختار احداً ممن اشركوه في الإمامة . نسأل الله ان يجنبنا من ان نختار باهوائنا للإمامة من لم يجعل الله له حظّاً فيها .

الفصل الثالث من المقالة الثانية :

« في كيفية ارسال الرسل »

كما ان النطق في الانسان صار جوهرياً غريزياً (٢) ، ثم تكون عبارته للمنطق شبه المصور في فكرته ، قبل العبارة من معاني المنطق ، كذلك الرسالة شيء جوهري في غريزة الرسول ، وتكون عبارته لتلك الرسالة شبيهة المصور في قلبه ، من وحي الله قبل الإداء من معاني الرسالة ، ولا يجوز توهم ما اداه الرسول بالتأليف المنطقي من امر الله جلّ جلاله ، انه كان في قلبه مؤلفاً منظوماً ، كما لا يجوز توهم ما يؤديه الانسان بمنطقه مؤلفاً انه كان في قلبه قبل الإداء مؤلفاً ، ولو كان الكلام تأليفاً في القلب قبل العبارة عنه ، لكان خروجه عن موضع واحد ، فلمّا وجد خروج الكلام من مواضع مختلفة ، ظهر ان الطبيعة اذا ارادت ان تظهر الكلام بالتأليف ، عمدت الى اصلاح المواضع ، لخروج الصوت المنطقي ، فجعل لكل حرف منه آلة يمكنه بها العبارة عنه ، وكما وجدت الاشياء في ذواتها اشكالاً ذاتية كذلك في الوهم للاشياء اشكالاً وهمية ، كذلك لا يجوز ان يتوهم ان في القلب اشكالاً تأليفيّة ، ولا في الصوت المنطقي اشكالاً نفسيّة ، كذلك لا يجوز ان يكون في الوهم اشكالاً صوتية تأليفيّة ، ولا في الذوات اشكالاً نفسيّة ، ويكون ابتداء ارسال الله الرسل ما يجدونه في ذواتهم من القوة الالهية المعدومة في الناس ، فيصغر الناس في اعينهم اذا قاسوا قوتهم المنطقية الى ما وهب الله لهم من القدس

(١) في نسخة س وردت الوصية .
(٢) سقطت في نسخة س .

كالناس لمّا احسوا قوتهم في ذواتهم القوة المنطقية صغر الحيوان في اعينهم ، اذا قاسوا قوتهم الحسيّة الى ما وهب الله لهم من النطق ، فإذا احسّ الرسول من نفسه بهذه القوة التي تصغر الناس في عينه كان ما يقع في خلده من سياستهم ، وجميع مصالحهم رسالة من الله تعالى اليهم على لسانه .

وان منزلة الرسول في العالم الجسماني كمنزلة السابق في العالم الروحاني ، وقد بيّنا ان الخلق كان مبروزاً في السابق بنوع الابداع ، فصار السابق بجميع الخلائق اجمعين ، وصار ابداع المبدع فيه هو النور الذي اتحد بجوهريته ، والذي بقوة الوحدة أحاط بجميع المخلوقين ، كذلك الرسول مجمع (١) امته ، وصار تأييد المؤيد اياه هو النور الذي اتحد بجوهريته ، وبتلك القوة احاط بما كان في الادوار الماضية ، وبما يكون في الادوار الآتية ، فصار بذر العلوم المستجنة في قلبه المستورة من امته رسالة من المرسل اليهم . ولمّا كانت الازمنة انمّا هي من اجل حركة الاجرام العلوية ، وحركتها مختلفة غير متفقة ، كاختلاف الازمنة ، لان سياسة الصيف غير سياسة الشتاء ، وسياسة الشتاء غير سياسة الربيع ، فإذا استرخت اوتاد الأجرام العلوية الموجبة لناموس واحد ، واستحالت في حركاتها الى غير ما كانت عليه ، فغيرت الزمان كان المحيط بكيفية استحالته الى حركات اخرى خلاف الحركات المتقدمة من العالم بوضع ناموس يليق بالحركات المحدثة رسولاً من الله الى ما يكون اشخاصهم في مدة ذلك الدور وتلك الإحاطة الموهوبة له من محرك الاجرام العلوية رسالة يؤديها الى اهل دوره ، ليكونوا باستعمال سياسته وشريعته سعداء فائزين ، وان الصور الكثيرة المختلفة بالنوع من جهة تقسيم الجنس الى أنواعه ، انما هي بنوع واحد في عالم البسيط ، اذ قالبها واحد وهو السابق ، وفي عالم التركيب كثيرة ، اذ قوالبها كثيرة ، وهي الافلاك والكواكب ، غير ان ما تظهره قوالب التركيب ، هو مثل ما يظهره القالب البسيط لا فرق بينهما في معنى اتمام الحكمة ، وانما الفرق بينهما ان المبروز (٢) في السابق بنوع الحياة ، والخير المحض الذي لا يشوبه شر ، وبنوع الإحاطة له على ما برز فيها التالي ، فمن وقف على طبائع الكواكب ، وعلى اصناف حركاتها وقراناتها من غير نيل حظ من السابق سمي منجماً ، وهو يخطئ اكثر ممّا

(١) في نسخة س وردت جميع .
(٢) في نسخة س وردت المبرور .

يصيب . ومن هذه الجهة امر الرسول صلّى الله عليه وآ له بالامساك عن ذكر النجوم.

وهكذا من امكنه ان يقيسَ برأيه ، ويستنبط بذهنه ، ويستخرج بفكرته غوامض العلوم من غير وقوف منه على ما توجبه حركات الاجرام العلوية ، ولم يعرف علل ما اوجبته حركاتها ، سميَ قياساً ، وقد ذمّه الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ ولَمْ يُوحَ إلَيْهِ شَيْءٌ ومَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ ولَوْ تَرَى إذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ المَوْتِ والمَلائكةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ أخْرِجُوا أنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ومن اجتمع فيه ، ان يكون واقفاً على اسرار الطبيعيات ، وعلى كيفية حركات الاجرام العلوية ، وارتفاع ذلك الى عالم العقل ، حتى امكنه الاستفادة منه من غير حجاب ، سمي رسولاً ، واجتماع العلمين[1] في نفسه ، علم الملكوت ، وعلم البيان رسالة من المرسل اليه ، ومن هذه الجهة اضاف افعاله وكلامه الى الله عز وجل ، وحكم على الكائنات التي لا تسبق اوهام الناس اليها ، مثل تكوير الشمس ، وانكدار النجوم ، وتيسير الجبال ، وانفطار السماء ، وانتشار الكواكب ، وزلزلة الارض ، وكسوف الشمس ، وخسوف القمر ، وحشر الناس ، ونزول الملائكة ، وإتيان الرب ، وانشقاق القمر ، واتيان السماء بالدخان ، وخروج ياجوج وماجوج ، وامثالها التي ان افنى أحد من المنجمين عمره في استخراج واحدة منها من جهة حركات النجوم والكواكب لما قدر عليه ، وكيف يكون قادراً عليه ، وليس له اصل يقيس به عليه من جهة حركات الكواكب ، بل استخرجها الرسول من جهة نيله الخط من السابق ، وإذا نظرت في الطرف الآخر من جهة الاستنباطات العقلية ، فانه حرّم كثيراً من الاشياء النافعة ، وأباح كثيراً من الاشياء المؤذية التي لا يساغ لها في القياس ، مثل تحريم الخمر ، وإباحة الثوم ، وبينهما من البون الشديد من منفعة احدهما ، ومضرة الآخر ما لا يخفى على احد ، وانما فعله ذلك من اجل احاطته بما توجبه حركات الكواكب ، وليس للكلام في إبانة عللها ههنا وجه ، وإلاّ اخذنا في شروحه . فإذاً رسالة المرسل في نفس الرسول

(١) في نسخة س وردت العليمين .

بالقول الموجز الاحاطة بالوسائط والترقي[1] بها الى اللطائف بتأييد الله عز وجل بالعلم والاجتهاد فرزق صواب القول والفعل والقبول بتوفيق الله والهامه ، لا بالتغلب والتسلط ، فهذه كيفية ارسال الرسل .

الفصل الرابع من المقالة الثانية :

« في هل يكون بين الرسول والمرسل واسطة ام لا ؟ »

لو لم تكن رسل تستحق لقبول رسالة ، لم تكن مؤداة الى الخلق من الرسل ، ولو لم تكن الخلقة جارية من حد البسيط الى حد المركب لم تكن تتأثر الرسالة في نفس الرسول . فإذاً ظهور الرسالة تابع لظهور الرسول ، وظهور الرسول تابع لكمال الخلقة ، ثم لم توجد الخلقة ظاهرة الاّ بمتوسطات روحانية او جسمانية ، كذلك الرسول لا يظهر الاّ بمتوسطات روحانية او جسمانية ، والمثل في ذلك ان الخلق الاول وهو السابق الذي لم يسبق خلقه انما ظهر بواسطة الامر ، والخلق الثاني ظهر بواسطة الخلق الاول ، والخلق الثالث ظهر بواسطة الخلقين الاول والثاني ، والخلق الرابع ظهر بواسطة الخلق الاول والثاني والثالث وكذلك التراكيب ظهرت بواسطة الخلقين والصورتين والتراكيب . وجب من هذه الجهة ان يكون الحكم الذي بها تم الخلقة من البدء الى النهاية انما هي وسائط بين المرسل والرسول ، وشرف الرسول على الرسول انما هو من اجل شرف الواسطة التي تقع بينه وبين المرسل ، ولو لم يكن واسطة بين الرسل والمرسل كانت الرسل بمنزلة واحدة ليس لأحدهم على الآخر فضل[2] ، كما ان المواليد لو لم تكن بينها وبين خلقتها الجسمانية وسائط نفسانية لم تكن بينها تفاضل ، فلمّا وجدت الوسائط بينهــا وبين النفس كثيرة كان شرف كل نوع منها على مقدار شرف واسطته ، كالنبات انما صار له الفضل على المعادن من اجل واسطته وهو النما والحيوان واستفضل على النبات من اجل واسطته وهو الحس ، والانسان استفضل على الحيوان من اجل واسطته وهو النطق ، والرسل استفضلوا على الناس من اجل واسطتهم وهو القدس ، وكذلك نقول : ان فضل كل رسول على الآخر كفضل حرفه الذي كان ينظر اليه على الحروف الاخرى ، وهو الواسطة التي بينه وبين المرسل ، فلمّا ثبت ان فوق الجسمانيين

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت في نسخة س فضيلة .

من خلق الله خلقاً روحانياً ، وصار بعض الجسمانيين رسولاً الى بعض لوجود الفضل فيه ، ولمّا انه فوقهم بالدرجة ، وجب ان يكون الروحاني على الجسماني ، وقد نطق الكتاب به في قوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ عنى بذلك ان الواسطة بينه وبين المرسل انما هو خلق روحاني لا يشوبه شيء من الجسم ليكون عدل الله تعالى في افضل الخلق مثلما يكون في ادناهم .

وقد اخبر العزيز العليم ان خطابه مع الرسول انما هو بالواسطة قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ فهذه ثلاث مراتب : فالمرتبة الاولى: وحي الله الى عباده بالتصريح ، وهي مرتبة النطقاء . والثانية : وحي الله الى عباده من وراء حجاب ، وهي مرتبة الاسس اذ وصول حظهم اليهم انما هو من وراء تأليف الشرائع الظاهرة ، التي هي الحجب . والثالثة : وحي الله الى عباده من قبل الرسل ، وهي الخيال الذي يجري الى المتم ، من قبل الناطق ، ثم اخبر الحكيم عز وجل بعد ذلك ان وحيه الى ناطقنا عليه السلام انما هو بالوحي ، واخبر ان الواسطة التي بينه وبينه انما هو الروح . قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يعني ما دريت قبله مائية شريعتك ، ولا مائية بيانها ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى صراط مستقيم ، يعني جعلنا الواسطة التي بها أوحينا اليك نوراً تستضيء به ، ثم تضيء به غيرك ، ومن هذه الجهة وضع الشرائع كلها مربوطة بعضها ببعض ، كل عمل بواسطة عمل آخر ، مثل الصلاة انما تجوز بوساطة الطهارة ، والطهارة بوساطة الماء والتراب[1] ، والزكاة انما تجب بوساطة المال والوقت ، والحج انما تجب بوساطة الزاد ، والراحلة ، وهكذا كل عمل انما يقبل قضاءه بواسطة قضاء العمل الاول ، كالركوع انما يكون قضاءه بعد قضاء القيام ، وقضاء السجود انما يكون بعد قضاء الركوع ، وهكذا غسل اليد

(١) سقطت بنسخة س .

بعد غسل الوجه ، ومسح الرأس بعد غسل اليد ، ومسح الرجل بعد مسح الرأس ، وكذلك اعمال الحج والزكاة وجميع اعمال الشرائع مبنية على التقديم والتأخير ، والمقدم منها واسطة المؤخر . عنى بذلك ان المفاض[1] من كلمة المبدع جلّ جلاله لا يتأثر في نفس الرسول ، ما لم يتأيس في الايس الاول ، وبعده ما لم يتصور في المعلول الثاني ، ومن المعلول الثاني ما لم يطرق الجد خط الناطق اليه ، وهو النجم الثاقب الذي قال الله فيه : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ الذي يثقب قلوب النطقاء ، ليثبت فيها الحكمة ، والعلوم الربانية كما ان النجم الجرماني يثقب المواليد لإخراج الصور الجسمانية ، فبهذه الوسائط تصح رسالة الرسول من المرسل ، وما اشبه امر الرسول والواسطة بينه وبين المرسل بالاشخاص المتناسلة في الانواع المختلفة من جهة الالوان الطبيعية ، فان كون الاشخاص المتناسلة من الطبائع من غير واسطة الآباء والامهات ممتنع ، كذلك قبول الرسول من المرسل الرسالة بغير واسطة الجد امحل وأشد امتناعاً .

ولنأخذ الآن في العلة التي من اجلها يجري كون الواسطة بين الرسول وبين المرسل فأقول : ان العلة في ذلك تسهيل قبول الرسالة للرسول من قبل الواسطة ووعورة مسالك قبولها من الرسل ، مع توقع مخاوف الزلل في تمني الرسول للقبول بغير واسطة ، كوقوع الزلل لكليم الله موسى حيث سأل ربه ان يرفع الواسطة بينه وبينه ظناً منه ان ذلك ارفع لمرتبته ، وأعظم لمنزلته ، وأشرف لدرجته ، قال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني ارفع الواسطة المتوسطة بيني وبينك قال : لن تراني الا بواسطة المتوسط الذي جعلته بيني وبين الرسل ، ولكن ان شككت في هذا فانظر الى الجبل[2] فهو ــ التالي ــ الذي من قبله تجري رسالتي الى الرسل ، فإن استقرّ مكانه على ما ليس من شأنه ان يقبله مع قربه الي

(١) في نسخة س وردت الفائض .
(٢) في نسخة س وردت الجبال .

فسوف تراني اي تقدر ان تدرك رسالتي بغير واسطة : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾ عمَّا تصوَّر مكان رفع الواسطة في قلبه ، فلمَّا افاق ممَّا نزل به من نظره بالخيال الفاسد ، قدس الله ونزهه وتاب اليه وتيقن ان رفع الواسطة بينه وبين مرسله غير ممكن .

ولو رفعت الوسائط بين الخالق وبين المخلوق لما ظهرت هذه الاشخاص العجيبة التي فيها من هو افضل باعتدال تركيبه ، واتفاق مزاجه بالعالم العلوي الروحاني ، كذلك نقول : لو رفعت عبادة الله سبحانه بغير واسطتهم ممتنعاً ، ولهذا المعنى اضاف طاعة الرسل الى طاعته ، وعدَّ طاعتهم كطاعته ، فقال : من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فإن قال قائل لا يخلو من ان يكون الرسل صلوات الله عليهم ، دعونا الى ما هو متعارف في العقول ، فلا حاجة بنا اليه ، والى ما تنفر عنه العقول ، فليس علينا قبوله منهم . قلنا لهم : كلا ، ان تكون دعوتهم الى ما تنفر عنه العقول من جميع الوجوه ، وان كان البعض منه ما ينفر العقول عنه في وجه الظاهر ، فان له وجهاً علمياً تسكن اليه ، ولا تنفر عنه ، والحكمة أوجبت ذلك ، لان امضاء الافعال المألوفة المتعارفة[1] في عقولهم لذيذة شهية لا يظهر من امضائها تعبد حقيقي ، وامضاء الافعال الشاذة الصعبة التي تنفر عنها العقول كريهة يظهر من امضائها حقيقة التعبد ، ويلزم بعد قضائها طلب ما تحتها من الحقائق المستورة التي تؤدي من انفسها صلاح العالمين ، فلو ترك الناس وما يهوونه ويتعارفون بعقولهم لكانوا يختارون من الشرائع المألوفة المعتادة المتعارفة في عقولهم فلا يكون من امضائها تعبد حقيقي ، ولا يلزم لما تحتها حقائق مطلوبة ، اذ كل انسان انما يميل الى الأخف الأسهل ، وينفر من الاثقل الأعسر . فمن هذه الجهة وجب ان يكون بين العباد ، وبين الله تعالى رسول يأمرهم وينهاهم بما فيه صلاح معيشتهم ، ومن الواضح البيِّن ان من لم يتهيأ له سلوك الطريق الاسهل[2] لم يمكنه سلوك الأوعر منه ، ثم لم نرَ الناس محتاجين الآ الى سياسة الرسل ، لاستقامة معائشهم ورفع ضرر بعضهم عن بعض في هذه الدنيا التي قد امتلأت حواسهم عمَّا يصلح لهم في هذا الدار ، وهو الطريق الأسهل ، فمعرفة عبـادة الله ، هو الطريق الأوعر بغير واسطة الرسل وأمحل واشد بطلانا اذ

(١) في نسخة س وردت التعارف .
(٢) في نسخة س وردت المسهل .

لم يمكنهم سلوك الاسهل منها الآ بواسطتهم ، وقد أمر الله تعالى ملائكته ان يتقربوا اليه بالعبادة من جهة صفيه آدم مع قربهم اليه ، وطرد من تمنـع عن ذلك واستكبر وتوهم ان عبادة الله بغير واسطة ممكن حجة على العباد ، الذين هم دون الملائكة بالمرتبة والطاعة ، لان عبادتهم اياه بغير واسطة غير مقبولة منهم ، وهو قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الى قوله: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ فلم يرضَ بالتسبيح والتقديس حتى كلفهم الخضوع له والقبول منه كما اتاه الله من فضل علمه ، فمن لا يعرف تسبيح الله وتقديسه ، كان اولى ان لا يقبل عبادته الآ بواسطتهم ، وإذا كانت الخلقة كلها مقصودة لإظهار الوسائط بين الرسل وبين المرسل لما ظهرت هذه الحكمة والعلوم التي نشرها اصحاب الأدوار بين اهل العالم ، ولو امكن الرسل دركها بغير الواسطة ، لأمكن لمن دونهم من البشر ان يدركوا شيئاً من العلوم بغير واسطة علم آخر الى ان ينتهي الى الحس ، فيكون الحس واسطة الأوائل من العلوم ، والأوائل واسطة الثواني منها كذلك نقول ان بين الرسل وبين المرسل وسائط بها يمكنهم درك الرسالة فاعرفه .

الفصل الخامس من المقالة الثانية :

« في ان عبادة الله بغير واسطة الرسل في العالم الجسماني باطلة »

قد يعجز الانسان ان يخرج بالصناعـة ما اخرجته الطبيعة من انواع النبات والحيوان والناس ، وان كان ما يخرج بمهنته احسن شكلاً ، وأزين منظراً ، لكنه لا يبلغ في اظهار الفعل مبلغ الطبيعيات ، والمثل في ذلك ان الفرس المنقوش على الحائط لا يفعل فعل الفرس الطبيعي في الركض ، والتعليم من الانسان الحرب واللعب، وكذلك الاترج المنقوش على الحائط لا يفعل فعل الاترج الطبيعي من جهة الطيب، والافعال والخواص ، وان كان كل واحد منهما من جهة المهنة تزيد على الطبيعي حسناً وتقويماً فشبهنا اوضاع الرسل في شرائعهم وسياساتهم بما أخرجته الطبيعة من انواع النبات والحيوان والناس ، وشبهنا عبادة الله تعالى بغير واسطة الرسل ، وبغير أوضاعهم بما استخرج الانسان بفطنته وصفاء ذهنه من صور الاشياء المنقوشة ، فكما انها اعني الصور المنقوشة لا تؤدي عن انفسها ما ادته شرائعهم من صلاح

المعيشة والتصور من جهتها بالصور الروحانية ، ومن هذه الجهة جاء في ذم المصورين احاديث مرويّة . لأن من صوّر بفكرته لعبادة الله أوضاعاً محكمة متقنة من غير اشارة احد الرسل اليها ، كان مذموماً عند الله ، وإن كانت تلك الاوضاع احسن وأجمل ، ومن الواجب ان تترك الاّ بوضع من قدّر الله فيه انشائها ، ولمّا كانت الامهات هي الوسائط بين المواليد وبين الطبيعة ، ثم لم يكن ظهور المواليد من الطبيعة الاّ بواسطة الامهات ، كان توهم ظهور المواليد من الطبيعة بغير واسطة الامهات ممتنعاً ، لذلك نقول : لمّا كانت الرسل هم الوسائط بين الله تعالى وبين العباد ، ثم لم يكن ظهور امر الله عز وجل الاّ بواسطتهم ، كان توهم كون الحي الناطق ، ثم لم يخرج شيء منها عمّا قصد له في اظهاره ، كانت العبادة تلزم هذا النوع وحده بكلتيه وبجميع اجزائه الداخلة فيه والخارجة منه ، فكان المحيط اذا بكيفية كونه كل جزء منه ولماذا ومن واين انه العارف بكيفية عبادة الله من جهة هذا الجزء مثلاً ، اقول : ان من لا يعرف كيفية كون القلب الذي هو ينبوع المعرفة ولم يعرف كيفية كون اللسان الذي هو ينبوع القول لم يمكنه وضع قول واجب على اللسان استعماله وعلى القلب معرفته ، ثم يوافق القلب من جهة معرفة اللسان ، ومن جهة القول في انه عبادة الله ، فعبادة الخلق لله من جهة الواقف على اسرار الخلقة ، عبادة حق ، وعبادتهم اياه بغير واسطة باطل .

ولنقدم مثالاً طبيعيًّا لما اوردناه ، فنقول : ان مثل هذا المتعبد كمثل المريض ، ومثل العبادة كمثل الطب ، ومثل الرسول كمثل الطبيب ، ومثل المعبود كمثل الطبيعة ، فكما انه لا يمكن لاحد ان يرد بدنه الى الصحة من جهة الطب الاّ بالطبيب الماهر (١) الواقف على افعال الطبيعة ، كذلك غير ممكن لمتعبد ان يعبد الله الاّ من جهة الرسل ، وان كان احكم الناس ، واعلمهم كما انه يجب على المريض ، وان كان اعرف الناس بالطب ، انْ لا يعالج بدنه ، بل يولي تدبير مرضه الى غيره من الاطباء ، وانما وجب ذلك لان كل انسان يحب الى نفسه ما لا يحبه لغيره ، ولا يرى معائب (٢) بدنه ولا مساوئ اخلاقه ، بل يستحسن القبيح من افعاله ، ولا يحتمل الطب ، ذلك ، فلذلك وجب عليه ان يقلد تدبير مرضه غيره ، كذلك التعبد يجب عليه

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) في نسخة س وردت عيوب.

ان يقلد امر عبادته الى رسول دوره ، لان لا يفعل بدائه ما يستقيمه من غيره ، فيقع في الهلاك كالمريض الذي ان مال الى ما تهواه نفسه وتشتهيه طبيعته يوشك ان يقع فيما يهلكه ويوبقه ، هذا مع ظهور افعاله ، وما طبع في ابدان الناس من جهة الحواس لا غنى للمريض عن الطب عند حدوث الامراض ، هل بقيَ شك انه لا بد للمتعبد عند لزوم العبادة من رسول يأمره وينهاه ، ويقال لمن ظن ان عبادة الله بغير واسطة الرسل ممكناً ، اذا كان هذا هو الاصل ، فان عبادة الله بواسطة الرسل فضل ، وأفعال الفضل لا يلحق افعال الأصل في القوة والشرف ، وقد وجدت عبادة الله بواسطة الرسل شيئاً شائعاً ، ظهر في جميع الأوقات لها من القوة والشرف ما هو غير خفي ، وليس لعبادته بغير واسطتهم قوة ، ولا لظهوره شرف . وقد قلنا ان افعال الفضل لا يلحق افعال الاصل . فإذاً عبادته بواسطة الرسل هي الاصل ، وعبادته بغير واسطتهم هي الفضل الذي لا يحتاج اليه ، اذ لم يبلغ في القوة والشرف افعال الافضل من قوة شرائعهم ، وشرف سياستهم .

ولعلّ قائل يقول : ان كانت عبادة الله تعالى من جهة الشريعة واجباً ثم كانت الشريعة تؤدي عن نفسها حالين : احدهما : الحقائق المستورة تحتها ، والآخرة : صلاح الدنيا ، واستقامة احوال الناس بها . فمن وقف على الحقائق التي تحتها ، وكفّ اذاه عن الناس ، حتى أمنوا جانبه فليس عليه ان يعبد الله من جهة الشريعة . قلنا له : قد نسيت حالا ثلاثاً وهو حفظ الاخلاق الكريمة التي بها يمكنه كف اذاه عن الناس ، فلا يمكنه ذلك الاّ باستعمال الشرائع الناموسية ، وما اشبه تلك الشريعة ههنا بالطب الذي له ثلاثة احوال : حال منها : معرفة الطبيعة (١) والمزاجات ، وهو مثل الحقائق المستورة في الشرائع ، والثاني : رد الابدان المريضة الى حال الصحة ، مثل رد الاشرار بالشريعة عن الاخلاق المذمومة ، والثالث : حفظ الصحة في البدن الصحيح ، وهو مثل استعمال العالم الصالح البر للشريعة ، ليحفظ باستعماله اياها اخلاقه المحمودة فكما انه يجب على الصحيح البدن العارف بالطبيعة وأفعالها ، ان يستعمل الطب في حفظ الصحة ، كذلك يجب على الواقف على الحقائق المستورة في الشريعة البر في نفسه ان يستعمل الشريعة لحفظ اخلاقه المحمودة . فقد صحّ ان عبادة الله بغير واسطة الرسل في العالم الجسماني باطل .

(١) سقطت في نسخة س .

الفصل السادس من المقالة الثانية :

« في ان الأمر والنهي من الآمر فضل على المأمور به »

ان كان المنطق احدى الكرامات التي اكرم الله بها الانسان ، وشرف المنطق انما هو ظهر بالكلام ، والأمر من اقسام الكلام كان لزوم امر الله على الانسان فضل منّ عليه اذ حقيقته انما تمّت بالامر مع الاقسام الاخرى من الكلام ، فأمره الذي يأمره هو علة لزوم امر الله عليه ، وهي احدى الفضائل المخصوصة به دون المواليد ولزوم الامر عليه ايضاً فضيلة له لان العلة اذا كانت فاضلة كان المعلول ايضاً ذا فضيلة ، واذا كانت علة المخلوقين انما هي امر الله وكان به المعلول الاول ، ومن المعلول الاول المعلول الثاني ، ومن المعلول الثاني الطبيعة ، ومن الطبيعة التراكيب والمواليد وانتهت صفوة المواليد الى البشر فكان جميع ما ظهر من امره الى نهاية الاشياء انما هو فضل من المبدع ،وان كثرة الوسائط فاذا امره على الانسان في استقامته السياسية فضل ايضاً من الآمر عليه لان فضيلة امر الله شيء جوهري في السابق لا ينكره الانسان الذي انتهت اليه صفوة المواليد اولاً ، بان لا ينكر فضل امر الآمر عليه لترقيه به الى الدرجة العليا والمنزلة الرفيعة ، وكما ان الناطق عقل مجسم ثم وجدت اوامر العقل ممّا يستعد الانسان بها في الآجل ، والعاجل ولا ينكر احد انها افضل من العقل على العاقل ، كذلك اوامر النطق ممّا يستعد الانسان بها في العاجل والآجل وهي فضل من الرسول على المأمور بها ، والدليل على ذلك قول الله تعالى ان خطاب الرسول في اوامر الله امر الخلق بها انما وقع مع العقلاء ، (وأهل النهي)[1] ، ولو لم يكن ذلك فضلاً عليهم لم يخص به العاقل دون الجاهل في باب المخاطبة ، وان كان لزوم الامر ممّا يشترك فيه الجاهل والعالم، وانما قلنا ان الأمر من الآمر فضل على المأمور به لان الأمر ابداً فيه قوة الآمر والمأمور به ابداً ، ففيه للآمر تصوير القبول منه .

فالآمر اذاً اشرف وأقوى من المأمور به ، ولمّا كان الأمر من الآمر اسبق منه في المأمور كان الآمر اذن بالقوة من قوة الآمر فهو اذن في المأمورية افضل من الآمر ، اذ الآمر اعطاه القوة ، وان لم يقبله المأمور به فليس ذلك بنقص في الأمر بعد ان لم يكن ذلك الأمر يخلو لأن يكون ابداعاً او من المبدع بقوة الابداع

(١) سقطت الجملة في نسخة س .

تخليقاً ، ومن المخلوق[2] بقوة الابداع والمبدع تكويناً ، ومن المكون بقوة المخلوق ، والمبدع والابداع تركيباً ، ومن التراكيب بقوة المكون والمخلوق ، والمبدع والابداع توليداً فاذا ما جرت الخلقة من امر الله الى غايتها لم تعجز من القبول ممن فوق ، ثم وجد الأمر سياسة دينية ودنيوية ولم يخلق العالم عن واحد يقبل هذا الأمر من الآمر ، فان ابى قبوله حدث كثير ، وكان الأمر على هذا تاماً غير ناقص ، وهو فضل من الآمر على المأمور به ينال به السعادات الدينية والدنيوية ، والتارك لها قد خسر الدنيا ذلك هو الخسران المبين .

وانظر فيما يسوس الانسان من الحيوان ، وفيما لا يسوس منها ايهما افضل المسوس ام غير المسوس ، وانك تجد المسوس منه افضل من غير المسوس ، مثل الأسد والنمر والثعلب والذبابة والغراب وما اشبهها ، وان سياسة المسوس فيها فضل منّ عليها كذلك لزوم امر الله البشر دون سائر الحيوان فضل منّ عليهم وإعلاماً لهم انهم افضل من الحيوان ، اذ قصد الى سياستهم بما أوجبت الحكمة من معادهم الى دار البقاء ، كما ان سياسة البشر لبعض الحيوان يعلم انها افضل من غير المسوس فيها ، ممّا أوجب الحكمة لأن منفعتهم في صلاح هذا العالم افضل واشهر من منفعة غير المسوس منها .

ولو لم يكن من فضل امر الله تعالى على الانسان الاّ ما هو ظاهر من منفعته عاجلاً فضلاً عن الآجل لكان فيه ان فضل الآمر على المأمور به ، لانه امر بأمر ظاهر في آية واحدة تشتمل على صلاح العالم بأسره من وجهة الظاهر . وعلى صلاح العالم العلوي من وجه الحقيقة . فقال: ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وإيتـاء ذي القربى . ولو تفكر المتفكر في منافع هذه الأوامر لما خالجه شك انها افضل من الأمر على المأمور به ، لان العدل يجمع الفضائل كلها من العلم والجود والعفة والصدق والامانة والشجاعة ، لان من رضي بالجهل فقد خان ، ولو يضع نفسه الموضع الذي وضعه الله لها ، ومن يخن فقد خانه ايضاً ، اذ لم يستمتع بالحال الذي جعله الله تعالى مستمتعاً في هذه الدار ، ومن شرِه فقد خان اذا جاوز القصد ، ومن خان فقد اتى باعظم الجور اذ لم يؤدّ الامانة ، ومن كذب فقد خرج عن العدل ، اذ وضع الثابت مقام الباطل ، والباطل مقام الثابت ، ومن جبن فقـد

(٢) في نسخة س وردت الخالق .

جانب العدل اذا توهم ان بالجبن المعذور . فالعدل اذن يجمع الفضائل كلها ، ثم الاحسان بعد العدل يجمع فضائل كثيرة ومصالح جمة[1] ، اذ ان المحسن يستوجب المزيد ممن فوقه ، والشكر ممن دونه ، فهو في كل زيادة يزيد من فوقه ، يحسن الى من دونه ، فيجد الشكر ممن دونه ، وفي كل شكر يجده ممن دونه يحسه على من دونه ، فيجد المزيد ممن فوقه ، فلا يزال ابداً في زيادة يجمع بها صلاح دينه ودنياه ، ومن ترك الاحسان الى من دونه حرم المزيد ممن فوقه ، والشكر ممن دونه ، فلا يزال في انحطاط وانتقال حتى يسقط من مرتبته ويهلكه الله ، كما اهلك قاروناً حيث لم يحسن الى من أمكنه الاحسان اليهم ، حتى عيّره قومه في قوله جلّ جلاله حكاية عنهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْسِنْ كَمَا احْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ثم ايتاء ذي القربى منه ، فصلحه لكل احد لانه غير ممكن ان يساعد السعادة اهل بيت واحد ، فلا يقع فيه المحتاج الفقير والسعيد منهم ايضاً ممن لا يأمن[2] على دوائر السعادة ما دام حياً ، واذا اوشك السعيد في وقت ما نيل السعادة وغير السعيد في وقت حرمانها ، كان آمناً على مواساة السعداء من اهل بيته اياه عند نزول الشقوة به فيكون من ذلك جميع مصالحهم جميعاً ، فقد بان ان امر الله يجمع مصالح المأمورين ، فقد منّ منهم عليهم .

فان قال قائل: ان هذه الاوامر التي ذكرتها انها امر الله ، او هي اوامر عقلية لا يختلج الشك فيها وما دونها من الأوامر الشرعية مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها من الشرائع ، ليس بأوامر عقلية ، فليست بفضل على المأمور به ، قيل له ليست الأوامر شرعية ابعد من الفضل من الأوامر العقلية المحضة ، بل الشرعية افضل وأفضل من العقلية ، والمثل في ذلك ان للانسان من الحيوان الذي دونه اوامر حسيّة ، وأوامر سياسية ، امّا الأوامر الحسيّة فمتى ما قدمنا الى الدابة علفها فكأنه امرها بأكله امراً حسياً ، فإذا قدم الماء اليها فكأنه امرها بشربه امراً حسياً ، وإذا اسرجها وألجمها[3] فكأنه امرها امراً سياسياً ، وإذا كانت الدابة تنكر الامر السياسي

(١) في نسخة س وردت جمة .
(٢) سقطت في نسخة م .
(٣) سقطت في نسخة س .

بحسها ، وللأمر السياسي من الفضل والشرف على الأمر الحسي ما هو غير خفي ، كذلك نقول : ان الأوامر العقلية للانسان من العدل والاحسان ، فايتاء ذي القربى لا تبلغ من الفضل والشرف الأوامر الشرعية من الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وان كان الانسان بعقله ينكر الأوامر الشرعية ، اذ ان شرف النبوءة انما ظهر بما يؤديه الحيوان من الأوامر السياسية من الانسان . فقد ظهر ان الأمر من الآمر فضل على المأمور به .

الفصل السابع من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها يجب قتل الجاحدين للرسل »

ان منزلة الجاحدين للرسل كمنزلة الحيوان المؤذي للانسان مثل الحيات والعقارب والهوام[1] الخارجين عن القصد الطبيعي بعد التكوين من جميع الوجوه . وان كانت الطبيعة في اخراج المؤذي من الحيوان قصد لتمام تكوين غير المؤذي من جميع نظم المواليد الطبيعية لإتمام الحكمة . فكما انه ابيح للانسان اهلاك الحيوانات المؤذية الخارجة عن انتفاع الانسان بها كما هي كذلك ابيح للرسل قتل الجاحدين بهم الخارجين عن رسومهم وسياستهم ، وان ابيحَ للانسان قتل المؤذي من الحيوان لأن ابقائهم كان في ابقائه اياهم هلاك غير المؤذي منها ، كذلك الرسل ان يقتل الجاحدين لهم ، كان من ذلك ترخيص لجماعة الناس الاقتداء بهم فيكون من ذلك خروج الجميع من رسومهم وسياستهم فتبطل الحكمة التي شددها بشرائعهم ، وكما ان الاغذية انّما جعلت سبباً وقوة للانسان في بقاء بدنه ، كذلك البشر جعل تابعاً للرسل في استقامة شرائعهم ، وان كل غذاء لا يغذي البدن حسب الكيان المركب فيه ، فانه مخالف للطبع مضاد له ، فإذا ضاد بعض الأغذية والمزاجات التي يكون بها قوى البدن ، فالواجب علينا قتله ببعض الأدوية الحادة وكثير منهم السموم والكي لتبطله وتبطله من جهته حتى لا تتعدى الأغذية الواردة على البدن بعده ، فيكون من ذلك استقامة نشوءه ودوام صحته وقوة بقاءه ، هكذا كل انسان لا يقبل رسوم رسول دوره الرئيسي عليه فأنه مخالف للدين مضاد له ، فإذا ضاد بعض الناس رسول دوره الذي هو قوام الدين والملة فكأنه جحد به ، فالواجب علينا قتله ببعض

(١) سقطت في نسخة س .

الاجسام المتلفة للابدان المهلكة ، وقطع اثاره عن العالم لئلا يهتدي به اهل دوره، فيكون من ذلك قوام شرعته وقوة دينه ودوام ملته ليظهر دين الله على الاديان كلها ولو هلك المشركون .

ولمّا كانت علة جميع الأيسيات انما هي كلمة الله تعالى ، وصار بقاء كل ايس على أيسيته ومرتبته بما فيه من قوة الكلمة وما لا يقبل اثر الكلمة لم يتئيس عن الأيسية ، ثم وبعد الناطق عليه السلام محل الكلمة لله عز وجل في العالم الجسماني سميّ باسمها كما قال : كلمة الله ، وكما قال في صفة عيسى روح الله وكلمته[1] ، فإذن لا يجب ان يترك الجاحد بالرسل على أيسيته انساناً بل يزال على الأيسية الانسانية اذ هو بالحكمة ، فلم يقبل اثرها وهو شرعته الناموسية ، كما ان كل حيوان لا يقبل سياسة البشر ، ولم يخضع لقبول تدبيره فانه يزال عن أيسية الحيوانية الى أيسية شيء اخر اذ جحد بالنطق ولم يقبل اثره ولا خلاف ان الشريعة جسم بكلام الله عز وجل ، وكلامه روح لها ، وقوام الاجسام انما يكون بالروح ، فإذا زالت كلمة الله تعالى عن شريعة واحدة فحلّت في شريعة اخرى وصارت الشريعة الاولى جيفة ميتة اذا زال عنها الروح ، وقامت الشريعة الاخرى حيّة ظهرت باتحاد روحها بها فواجب على رسول الشريعة الحية بحلول الروح فيها وهي كلمة الله ان ينذر اهل الشريعة الميتة بان الروح قد زال عن شريعته وحلّ في شريعته فلم يتهيأ له انذار الجميع بالكلام اذ ليس كلهم اهل لب[2] وعقل فأنذر العقلاء بالكلام وانذر العميان بالقتل ، اذ القتل تعجيل الموت فكأنه أخبرهم بان ما تم على الشريعة الميتة عجلت لكم ما يؤدي الى الموت ، ومن سارع الى قول الشريعة الحية عصمته من الذي به حياته ، وتكون حياة بإزاء حياة ،وموت بإزاء موت ، وهذه علة قتل الجاحدين للرسل وأيضاً فان الملذات الحسيّة انما هي تبعت الحياة الحسيّة ،واللذات النفسانية تبعت الحياة النفسانية ، وبالحياة الحسيّة ترقي الى النفسانية بواسطة امر الرسل ، فإذا جحد احد للرسل فكأنه اهمل الحياة الحسيّة التي جعلت سبباً للوصول الى الحياة النفسانية الأبدية فواجب قتله على الرسول اذا خرج عن القصد الذي جعل كونه له بما يبطل حسه ، اذ الحس بمعنى الحس فقط غير مجعول في شيء من البشر ،

(١) وردت في نسخة س وكلامه .
(٢) سقطت في نسخة س .

وانما الحس بمعنى الحس في الحيوان الذي دون البشر ، فامّا في البشر فان الحس فيهم بمعنى النطق انما يظهر بحكمة الرسل وعلومهم ، فمتى عدم من البشر حسه المحصول في بدنه تدبيره لا بمعنى الحس فقط بل بمعنى النطق وجب على الرسول ان يحصل حسه لا حسّاً اذا خرج عن سواء السبيل .

فإن قال قائل قد ترى بعض الرسل لم يوجب قتل الجاحدين قبل عيسى عليه السلام ، وانت تقول انه يجب قتل الجاحد بالرسول على المتعمد[1] ، قيل له ان عيسى عليه السلام لم يرفع القتل عن الجاحدين به المخالفين له رفعاً كلياً ، وان كان لم يجاهد بنفسه من خالفه لعلتين احدهما ان علامة القائم الذي ظهوره في الصور الروحية غير محتاج الى محاربة احد من اعدائه اذ الطبع والتراكيب تظهر من امره اظهاراً كليّاً لا يحتاج الى احد كحاجة الرسل الذين جاءوا قبله ، وكذلك كان امر المسيح عليه السلام قد اعان اصحابه على اظهار دعوته بأهل الروح ، والعلة الثانية : ان علة الدين وعلة التراكيب وعلة المواليد علة واحدة متشابهة كلها من جميع الوجوه . ولمّا وجدنا التراكيب في وصفها الطبيعي قد عمدت الطبيعة ان جعلت في الحركات الاولى سعدين ونحسين كالمشتري بين كيوان وبهرام ، فجاءت أرباب الدين بإزائها عيسى تام مع لينه ورفقه بين موسى ومحمد قام مع قوتهما وبطشهما ، كذلك ابراهيم عليه السلام مع حلمه ولينه[2] بين نوح وموسى عليهما السلام مع قوتهما وبطشهما ليعلم انهم اتوا الينا من عند الله فتبارك الله احسن الخالقين .

الفصل الثامن من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها لم تكن النبوة متصلة من جهة الشريعة »

ولما كانت الشريعة تلزم الابدان من جهة العمل ، وتلزم النفس من جهة العلم المستور تحتها ، وكان كون الابدان في الطبيعة بواسطة حركات الاجرام العلوية ، كانت الشريعة من جهة العمل تجب على الابدان من جهة حركات الاجرام العلوية أيضاً ، وكما ان الاوقات التي بها واحد من ان يظهر منفعتها لما خلقت له ، ومثل بقاء الشريعة زمان طويل تظهر منفعتها لاهل العالم كمثل بقاء الاشخاص المكونة

(١) في نسخة س وردت المعتمد .
(٢) سقطت في نسخة س .

زماناً طويلاً لظهور بعضها وصلاحها لاهل العالم ، فمن هذه الجهة وجب ان يكون بين اصحاب الشرائع زمان طويل ، فتظهر منفعة شريعة كل واحد منهم لاهل العالم وهو وجه الحكمة فاعرفه . وان الشريعة في بدء امرها ضعيفة بحيث قوتها في حال كون البشر منها خلو عمد انسان الى افساد النطاق في الارحام قبل بلوغها غايتها المقدرة لها كان سفيهاً جاهلاً ، كذلك ان الله تعالى بعد صاحب شريعة لم تظهر قوة شريعته ولا يرسل صاحب شريعة اخرى ، ولم يصنع الحكمة موضعها ، وانما الوجه في ذلك ان يترك كل شيء يبلغ غايته حتى تظهر منفعته ، فالوجه اذن في الشريعة ان تترك حتى تظهر قوتها ، وتقف عند انحطاط قوتها،ثم يرسل صاحب شريعة اخرى ليضبط اهل العالم تحت احكامه وحدوده ، فمن هذه الجهة وجب ان تكون النبوة غير متصلة من جهة الشريعة .

فان قال قائل: كما لا يجوز ان يجتمع صاحبا الشريعتين المختلفتين في عصر واحد ، احدهما في المشرق ، والآخر في المغرب ، قيل له انما امتنع ذلك لعلتين احدهما ان جميع الحركات العلوية قد اجتمعت في شريعة واحدة ، ولم يوضع منها شيء لوضع شريعة اخرى كما ان حركاتها في باب التكوين قد اشتغلت باخراج اشخاص كثيرة لأنواع مختلفة ، ولو لم تشتغل بجميع حركاتها في باب التكويـن لاخراج الاشخاص المختلفة كان المخرج من الفضل ايضاً ناقصاً ، فإظهار شيء واحد تام ، افضل من اظهار شيئين ناقصين . كذلك نقول : لو لم تشتغل الاجرام العلوية في وضع شريعة واحدة كانت الشريعة الموضعية من بعض حركاتها ناقصة، وكانت الشريعة التي تصنع من الفضل ايضاً ناقصة ، فإظهار شريعة كاملة افضل من شريعتين ناقصتين ، والعلة الثانية وقوع التلبيس[1] والاهمال لمن يسيح في البلدان فيرى صاحبي شريعتين مختلفتين لا يدري ايهما يضيع وايهما يقبل ، ربما اتصلت به اطراف صاحبي الشريعتين في وقت واحد يجاهد احدهما مع الآخر فيكونان اما محقين ولا يجوز ذلك ، او مبطلين فلا يستحقان لقبول الرسالة او احدهما محق والآخر مبطل ، فيسقط المبطل عن وصيـة الرسالة ، فإذا امتنع اجتماع صاحبي الشريعتين في وقت واحد امتنع ان يكون يتلو بعضها بعد بعض من غير مضي دور واحد لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

(١) سقطت في نسخة س .

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ فإذا كان الرسول الى كافة الناس جميعاً ، كان ارسال رسول آخر في عصره ، او عقب خروجه من الدنيا فضلاً لا يحتاج اليه قوام الابدان من داخل ، انما هي من تدبير الطبيعة لقوام الحيوان،وكانت الشرائع التي بها قوام الابدان من الخارج ايضاً ، وهي من تدبير الطبيعة ايضاً بواسطة الاجرام العلوية ، ثم وجدت الأجرام العلوية في حركاتها لإخراج الاشياء الطبيعية ، شبه الصنّاع في حركاتهم لإخراج الاشياء الصناعية . ووجدت الصناعات العجيبة البديعة زمانها اطول من الصناعة الرزلة[1] الدنيئة ، كذلك ظهور الشريعة المحكمة المتقنة انما تظهر في زمان طويل والسياسة التي تصلح للملوك في ضبط المملكة تظهر في زمان دون ذلك .

والمثل في ذلك انه يتهيأ للبنّاء ان يبني بيت حمّام في يوم واحد ، ولا يمكنه ان يبني مخدعاً في عشرة ايام ، والذي يتهيأ له ان يبني فيه دار بيوتها وحجرها من المدن لا ينتهي ان يبني محلة بدورها ومساجدها في تلك المدة ، والذي يتهيأ له ان يبني المحلة بدورها ومساجدها لا يتهيأ له ان يبني فيه من المدن مدينة بمالها ودورها وسكنها ، والذي يتهيأ له ان يقبل فيه مدينة من المدة لا يتهيأ له ان يستحدث بلدة واحدة بقراها وبساتينها وأوديتها وانهارها في تلك المدة . كذلك الاجرام العلوية في حركاتها انما تخرج الاشياء كل واحد على مرتبته بمقداره من الزمان الذي يليق به، ومثلاً اقول : انه قد يوجد في كل وقت من قوة الحركات من يمكنه ان يسوس عشرة من اشكال ، ولا يوجد في مثل ذلك الوقت من يسوس الالف ، وكذلك يوجد في وقت اطول من الوقت الاول من يسوس الالف من اشكال ، ولا يوجد في مثل ذلك الوقت من يسوس اهل ملة واحدة ، وكذلك يوجد في وقت اطول من الاوقات الثلاثة من يسوس اهل ملة[2] واحدة ، ولا يوجد في مثل ذلك الوقت من يخترع ملة جديدة ، او يبطل ملة قديمة ، وكذلك يوجد في وقت اطول من الأوقات كلها من ينقاد له اصل العالم ويكون حاكماً على الملل كلها،فمن هذه الجهة لم ينل اصحاب الشرائع بعضهم عقب بعض ، بل وقع بين كل واحد منهم وبين الآخر زمان طويل.

وأيضاً فان وجهة الحكمة كذلك أوجبت الاّ يكون اصحاب الشرائـع متصلاً

(١) في نسخة س وردت الرذيلة .
(٢) في نسخة س وردت مكة .

احدهم عقب الآخر ، لان وجوب الشريعة انما هي لاظهار ما فيها من الصلاح والسكون لاهل العالم ، فلو توالى اصحاب الشرائع لم يستقم العالم على سياسة واحدة فتبطل وجه الحكمة من ذلك ، وكان مثله فيه اذن كمثل كون الاشخاص وفسادها في وقت وليس في افعال الله فضل اذا الحكيم العليم يضع الشيء موضعه ، وانظر في الابعاد التي وقعت بين الكواكب السيّارة من جهـــة نظمها الطبيعي ، لكون الاشخاص المختلفة لظهور حكمة الصانع ، وانما لو كانت جميعها في دائرة واحدة ، او في دوائر متساوية ، او في حركات مستوية ، لم يظهر منها شيء ممّا يوجب ظهور حكمة الصانع ، ولكن لمّا دارت في دوائر كثيرة مختلفة الابعاد والاقطاب[1] ، وفي حركات مختلفة الازمان ، وجب ظهور ما يوجب ظهور حكمة الصانع ، كذلك اصحاب الشرائع لمّا وقع التباعد بين ظهور كل واحد منهم وبين ظهور الآخر ، واختلفت ادوارهم وأوضاعهم ، أوجبت شرائعهم ظهور الحقائق التي ستروهـــا في شرائعهم ، فقد بأن وصحّ أن الحكمة أوجبت ان لا تكون النبوءة متصلة من جهة الشريعة .

الفصل التاسع من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها رخصوا لأنفسهم ما حظروا على اممهم ، وحظروا على انفسهم ما رخصوا على اممهم »

ان منزلة الحي الناطق غير المؤيد عند الحي الناطق المؤيـــد ، كمنزلة الحي الحسّاس غير الناطق عند الحي الحسّاس الناطق ، فكما ان الحي الحسّاس الناطق حظّر على نفسه ما رخّص للحي الحسّاس غير الناطق في باب الاكل والشرب والجماع والتغوط ، فانه ايضاً رخّص لنفسه الاستمتاع بالاشياء اللذيذة من الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب واقتناء الدور والبساتين ما حظّر على من دونه من الحيوان الغير ناطق ، كذلك الحي الناطق المؤيد حظّر على نفسه اشياء في باب التعبد وصلاة الليل ما أباح لامته تركها ، ورخّص لنفسه اشياء في باب النُكاح ما حظّر عليه من مجاوزته عنها الى ما رخصوه لانفسهم ، ليكون فضل الحي الناطق المؤيد على الحي الناطق غير المؤيد ، ولفضل الحي الحسّاس الناطق على الحي الحسّاس غير الناطق في باب الحظر والإباحة ، فأمر الرسل صلوات الله عليهم ذلك كمثل ناطقنا

(١) في نسخة س وردت الاقطار .

عليه السلام ، فانه أباح لامته ترك قيام الليل ، وحظّر على نفسه تركه ، ورخّص لنفسه تزويج النسوة فوق الأربع ، وحظّر على امته التجاوز عن الأربع ، وكذلك فعل موسى عليه السلام فانه حظّر على امته دخول المسكن زمناً والجلوس على المائدة متخذاً من السخاء وأكل الالوان الموضوعة عليها ، ورخّص لنفسه ولأولاد اخيه هارون الدخول والجلوس على المائدة وأكل اطعمتها ، وهكذا اخبرنا الرسول صلوات الله عليه انّا متى بلغنا الى عالم التأييد الذي هو دار الثواب الموصوف بالخلد والنعيم والفردوس ، رخّص لنا فيها من النعيم ما تشتهيه انفسنا وتلذ اعيننا بلا حد ولا حجة ، وحجتّه علينا سماع اللغو والتأثيم ، فإذا كان حالنا في عالم التأييد غير حالنا في عالم النطق ، في باب الحظر والاباحة ، فأمر الرسل صلوات الله عليهم لمّا بلغوا الى عالم التأييد كان حالهم في باب الحظر والاباحة بقياسه الى احوالنا كحالنا اذا بلغنا عالم التأييد بقياسه الى ما نحن عليه في عالم النطق ، فقد ظهرت علة الحظر والاباحة من هذا الوجه وهذه الجهة .

ولنجمل القول في بيان علة الحظر والإباحة لناطقنا عليه السلام ليكون ذلك قياساً على سائرها ، فنقول : ان علة ترخيص ناطقنا عليه السلام لنفسه نكاح النسوة فوق الاربعة ، وتحظيرهُ على امته ذلك وترخيصه لنفسه مناكحة من تهب نفسها له من النساء ، وتحظيره على امته ذلك الا بعد النكاح بشرائطه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وتحظيره على نفسه ترك صلوات الليل ، وترخيصه لامته تركها هو ان الناطق عليه السلام انما يرقى الى المرتبة التي اعدها الله له ليبعث النفس في السفر الالهي ، واستفراغ جوائل[1] الفكر في قبول الناموس الديني ما قد روى عنه في صحة ما رويناه ، ولكان يغشى

(١) في نسخة س وردت جوائز .

عليه عند نزول الوحي عليه في بدء امره ، لكنه لمّا استقرّ له الامر واعتاد مصاحبة الملائكة الروحانيين، ومعاينة الروح الامين رأى من النفس الزكيّة ، ومن اللذات الروحانية والعقلية ، والصور النفسيّة ما هان عليه صعوبة المراقي وتيسّر له العسير كما قال جلّ جلاله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ اي واجب عليه السلام ان يعلّم امته الطريقتين ما حظّر على نفسه ترك صلوات الليل بإزاء ما كان يقاسي في السفر الالهي في جهة نفسه الزكيّة ، اذ ذلك كان فرضاً عليه حتى نال الرسالة ورخّص لامته تركها لأن ليس فيهم من يمكنه ان يجهد نفسه بالاخذ بواجبها، اذن فقد صحّ بالافهام ان الانبياء رخّصوا لانفسهم ما حظّروا على اممهم، وحظّروا على انفسهم ما رخّصوا لاممهم.

الفصل العاشر من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها يجب نسخ الشريعة »

ان العلة الاولى : التي يجب من اجلها نسخ الشريعة ،هي انه بعد مرور زمن طويل تصبح الشريعة غير متلائمة وروح العصر الثاني ، وخاصة بعد تقدم الانسان في مجال العلم والتطور وتوسع مداركه وعقله ، او عندما تأتي شريعة جديدة لتنسخ الشريعة التي قبلها ، بالرغم من ان موادها تكون اكثرها مأخوذة عنها ومؤيدة لبعضها، فالشرائع جميعها مأخوذة عن بعضها البعض وهي من نبع واحد وأصل واحد .

والعلة الثانية: هي ان جسم الانسان ذو نهاية محدودة يصل اليها بعد مراحل ، والشريعة ذات نهاية محدودة فعندما تصل اليها تُصبح قابلة للنسخ ، وهكذا فان كمال البدن الواحد في جميع اعضاء الانسان ، فمن هذه الجهة وجد نسخ الشريعة .

والعلة الثالثة: هي انه لو ترك الناس جميعاً على شريعة واحدة،واعتادوا استعمالها، وانطبع في نفوسهم المرور عليها في نشأة ابتدائها فانهم يحسبونها كالاشياء المعتادة[1] المتعارفة ، وتخرج عن ان تكون عبادة الله جلّ جلاله ، وقد ترتفع الرغبة والرهبة اللتان بهما صلاح الدين والدنيا ، فان كان تجديد الشرائع متواترًا بعد استرخاء المتقدم منها ، وكان ذكر ابتداءها بالازمان وتصور خلافها متوهماً ، فلا تخرج عن عبادة

(١) سقطت في نسخة س .

الله جلّ جلاله ولا ترتفع الرغبة والرهبة لصلاح الدين والدنيا من هذه الجهة ، وجب نسخ الشريعة .

والعلة الرابعة: هي ان كل شريعة لا تخلو من الحكمة المستورة فيها ولا يمكن ان تجتمع الشرائع كلها في شريعة واحدة ، واظهار الحكمة من الخبر الاول من الاشياء الواجبة ، فاذا ظهر بالخبر الاول في شريعة واحدة اشياء من الحكمة على حسب مرور الازمنة، وامتنع اظهار ما يليق بالزمان الآتي من الشرائع في الشريعة الموضوعة للزمان المقيم كانت الحكمة توجب اظهار ما لا تمتنع اظهاره من الشرائع في الزمان الآتي اذا حلّ محل الزمان المقيم،وحينئذ تمتنع تلك الشريعة التي تليق بالزمان الماضي كما امتنع ما لا يليق بالزمان الآتي،وفي الزمان المستقيم. فمن هذه الجهة وجب نسخ الشريعة .

والعلة الخامسة: هي ان اهل كل زمان ينكرون افعال اهل الزمان الماضي ويعيرونه فيغير افعاله وأوضاعه من جهة البناء والمساكن والثياب[1] وجميع الصناعات فلا يستلذ بآثارهم ، وان كانت احكم وأبقى من افعالهم ، بل يستلذ بآثارهم فأراد الخالق جلّ جلاله ان يجري هذا الرسم في الشرائع التي هي سبب عبادته ، وانه لا يزال كل زمان على شريعة اهل الزمان الماضي ليكون استلذاذهم بما ينمي لهم خاصة اكثر ممّا نما لأسلافهم ، وهذه علة وجوب نسخ الشريعة .

والعلة السادسة: هي ان الكواكب السبعة لمّا اختلفت ولم تستقم على فعل واحد، بل ان كل كوكب يفسد فعل الكوكب الآخر الاّ ان تكون لها شركة في ذلك الفعل من جهة بعض الخطوط اعني خطوط الفلك ، ووقع عالم الوضع اعني عالم الدين بإزاء عالم التراكيب كان من الواجب ان تكون شريعة الرسول الماضي تنسخ شريعة الرسول الاّ ان تكون بينهما شركة في وضع شيء واحد لعلة واحدة فوجب ذلك.

والعلة السابعة: هي ان اختلاف الشرائع توجب البحث عنها والاستطلاع منها، ومن مائيتها فيكون الوقوف عليها ، والاحاطة للمعتصمين المرتادين نجاة وعصمة وحياة روحانية ، فلو اتفقت الشرائع كلها لم يوجب البحث عنها والاستطلاع منهـا ، فيبقى الناس في تيه وحيرة[2] وعمى وجهالة ، وقد حكم الله بذلك بقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت بنسخة س حيران .

رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾.

وقال :

﴿ إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ يعني الاّ من اعتصم ببيان الأساس ، وكذلك خلقهم يعني والاعتصام من النجاة خلقهم ، وهذه علل نسخ الشريعة .

الفصل الحادي عشر من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها قد يقع بين الشريعتين مشاركة من جهة التحليل والتحريم »

ان المشاركة بين الامهات المستحيلة بعضها الى بعض لكون الاشخاص موجودة، ولولا تلك المشاركة لم يحدث عنها كون ، وذلك ان النار مشاركة للهواء من جهة الحرارة ، والهواء للماء من جهة الرطوبة ، والماء للارض من جهة البرودة ، والارض للنار من جهة اليبوسة ، وان كانت تخالفها من جهة البرودة ، والماء للهواء من جهة البرودة ، والهواء للنار من جهة الرطوبة ، والنار للارض من جهة الحرارة ، وكذلك نقول: ان الشرائع يخالف بعضها بعضاً من بعض الوجوه ، ويوافق البعض في باب التحليل والتحريم[1] من بعض الوجوه، ليكون قبول القابلين لهـا اكثر ، اذ صور الاشخاص لقبول قوى الامهات من جهة مشاركة بعضها بعضاً اكثر من جهة مخالفتها ، وهكذا الأزمنة من جهة فصول السنة ، فان فصل الربيع اذا كان حاراً رطباً شارك الفصل الصيفي بحرارته واذا كان الصيف حاراً يابساً شارك الخريف بيبوسته ، واذا كان الخريف بارداً يابساً شارك الشتاء ببرودته ، والشتاء بارداً رطباً شارك الربيع برطوبته ، ولو لم تكن هذه المشاركة بين الفصول موجودة لفسدت المواليد ، ولم تقف على المكون فيها اذا حدث فعل مخـالف للفعل الذي سبقه بل يجب ان يكون الفصل الثاني يشارك الفصل المتقدم من بعض الوجوه لئلا ينفر عنه الطبع فتكون الاستقامة من جهته موجودة ، كذلك يجب ان تكون الشريعة الجديدة تشارك الشريعة المنسوخة في بعض الوجوه لئلا تنفر عنها النفوس فتكون استقامة

(١) وردت بنسخة س التحليل مرتين .

الملك لصلاح الدين موجودة، وهكذا أرباب السنة من جهة تحاويل سني العالم، فقد يشارك رب السنة الماضية رب السنة المستقبلة في بعض الوجوه ، ويخالفه في البعض منها ليكون مزاج السنة المقابلة للكون والفساد ، فإذا حدثت سنة ثالثة أو رابعة امكن ان يخالف السنة الاولى من جهة الافعال والتغييرات[1] كما ان الركن الاول من جهة السفل الذي هو الارض يشارك الركن الثاني الذي هو الماء من جهة البرودة ، فإذا بلغ الركن الثالث الذي هو الهواء فقد خالفه من جميع وجوه الظاهر ، اذ الهواء حار رطب ،والارض باردة يابسة، وان كانت بينهما موافقة من جهة باطنهما ، فان باطن الهواء مثل ظاهر الأرض، وباطن الارض مثل ظاهر الهواء . كذلك نقول : ان في بعض قرانات الاجرام العلوية الموجبة للشريعة ولإظهار صاحبها لا يخالف بجملته القرانات التي تتلوه في ايجاب شريعة اخرى وإظهار صاحبها بل يشاركها من جهة بعض خطوط الدائرة التي هي ام الحركات العلوية ، فإذا حدثت قرانات اخرى توجب شريعة ثالثة ، واظهار صاحبها امكن ان يخالفها من جميع الوجوه ، فمن هذه الجهة قلنا انه قد يقع بين الشريعتين مشاركة من جهة التحليل والتحريم .

وايضاً فان في المشاركة بين الشريعتين من جهة التحليل والتحريم وجهاً من الحكمة ،وضرباً من السياسة ، وإقامة للحجة على الجاحد ،وذلك ان قوم الشريعة الماضية المنسوخة اذا رأوا ان صاحب الشريعة الجديدة يحلل بعض ما كانوا يحللونه ويحرم بعض ما كانوا يحرمونه شكّوا في امره وتوهموا لعلّ الحق في يده فيكون ذلك الشك سبب وصولهم[2] الى اليقين والنجاة من الشبهة والحيرة. ولا يمكنهم ان يقولوا انه جاءنا بالباطل المحض الذي لا يشوبه حق، اذ ان بعض ما اتى به كانوا يستعملونه ويتقلدونه والبعض الذي لا يستعملونه ولا يتقلدونه ربما كان من الشريعة التي كانت قبل الشريعة المنسوخة، فيكون قوم صاحب الشريعة الجديدة عند قوم الشريعة المنسوخة محقين ببعض ما كانوا يستعملونه معذورين بالبعض الذي لا يستعملونه، اذا رأوا انفسهم معذورين لمّا تركوا من استعمال بعض الشريعة التي كانت قبل شريعتهم، فإذاً المشاركة بين الشريعتين توجب هذه اللطائف من السياسة والتدبير .

وايضاً فان صاحب الشريعة الجديدة اذا احل جميع ما كان يحرمه صاحب

(١) سقطت في نسخة س .

(٢) وردت في نسخة س وصالهم .

الشريعة المنسوبة المنسوخة او حرم جميع ما كان يحله كان في ذلك ايهام انه جاء على معاندته ومخالفته اذا خالفه في جميع الوجوه، فإذا ترك بعض ما كان يحله محللاً، او بعض ما كان يحرمه محرماً، خرج ان يكون معاندة او مخالفة، ولزم ان يكون ما يحلله وما يحرمه انما هو على حسب ما توجبه السياسة لاهل دوره وملته، فان كل رسول يشارك الذي سبقه بالرسالة في حرفه الذي ناله من السابق، ويختص بحرفه الذي يناله فبمقدار ما يشاركه في حرفه يشارك شريعته في باب التحليل والتحريم، وبالمقدار الذي يختص به من الحروف خصّ شريعته باشياء من التحليل والتحريم اعلاماً منه لمن يقبل شريعته انه قد خصّ بما حلّ له من حرفه الذي ينظر فيه باشياء من فوائد السابق ما قد كان محظوراً على من سبقه في نيله، وحظّر عليه بإزائه الركون الى الدنيا، والاستمتاع بها كما حرم الله تعالى على اول النطقاء وهو آدم عليه السلام الأكل من الشجرة(١) التي نهاه عن اكلها، وهو حد الآخرة المحظورة على جميع البشر نيله والنظر اليه، فكل من تأخر بإداء الرسالة يكون حاكماً على شريعة من تقدمه بإدائها في باب التحليل والتحريم فيترك من حلالها وحرامها ما شاء على حسب ما ينال النظر في حرف صاحب الشريعة المتقدمة، ويحرم من حلالها ويحلل من حرامها ما شاء على حسب ما خصّ به من حرفه. ورسولنا عليه السلام اذ هو خاتم اصحاب الشرائع في باب النظر في حروفهم وفاقهم بحرفه المخصوص به دونهم، فله ان يحرم ما حرموا ويحلل بعض ما حللوا، وله ان يخص شريعته بالتحليل والتحريم دونهم في الجملة.

فان الشرائع لمّا لزمت الاشخاص الانسانية المحدثة في عالم التراكيب، واستقر امر التراكيب على الاقدار الثلاثة من الطول والعرض والعمق، كانت الشرائع جميعها يوافق بعضها بعضاً في ثلاثة اشياء: احدها: الايمان بالله، والثاني: الايمان بالرسول، والثالث: الايمان باليوم الآخر. وقد صرح الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ يعني وما امروا الاّ ان يعرفوا الله حق معرفته وينزهوه عن سمات بريته طاهرين من الشرك والتشبيه، ويقيموا الصلاة وهو على الطاعة والخضوع لصاحب الملة(٢)، ويؤتوا الزكاة يعني ان يؤتوا من انفسهم الخضوع

(١) وردت في نسخة س الاشجار.
(٢) وردت في النسخة س المكة.

والاستكانة لمن يكون تزكية نفسه من قبله، وهو الاساس الذي يرشدك الى اليوم الآخر، فالطول منها نظير معرفة الله جلّ جلاله، اذ الطول ذو قدر واحد، كما ان معرفة الله تعالى انما هي بعد نفع ما يوجد في الروح من الصفات والاضافات، والإقرار بوحدانيته مجرداً عن صفات الارواح، والعرض منها مع طول نظير طاعة الرسول، اذ العرض والطول ذو قدرين، كما ان معرفة الرسول انما تكون ذات وجهين احدهما: الاقرار بظاهر رسالته، والآخر: معرفة حقائقها، والعمق مع العرض والطول نظير اليوم الآخر وصاحبه، اذ العمق مع الطول والعرض ذو اقدار ثلاثة كما ان صاحب القيامة صاحب المراتب الثلاثة، ووضع للاقدار الثلاثة ست من الجهات لكل قدر جهتان، فجهة الطول الامام والخلف على ان معرفة المبدع انما هي بالنفي والاثبات، فالنفي نظير الامام، يعني ان معرفة المبدع امام نفي ما يوجد في المخلوق عنه، والخلف نظير الاثبات يعني وانها مع صعوبة مسلكها وتعطيلها، وكذلك وقع للعرض جهتان: وهما اليمين والشمال، يعني وقع لدعوة الناطق طريقان: احدهما الظاهر وهو نظير الشمال. والآخر الحقيقة وهو نظير اليمين والعمق، كذلك جهتان: وهما العلو والسفل يعني ان صاحب القيامة يعلو ببعض الخلائق الى عليين ويسفل ببعضهم الى اسفل السافلين، وبالقدر الواحد الذي هو الأطول لا يظهر بشكل البتة على ان الذي ظهر بأمر المبدع، وهما الأصلان اللذان عرفاه حق معرفته لا يقبلان في ذواتهما شيئاً من الاشكال الجسمانية، وبالقدرين اللذين هما الطول والعرض تظهر انواع الاشكال ولا يظهر شيء من الجسمانية الذي هو نوع الجوهر على ان الناطق عليه السلام هو الذي اظهر اشكال الدين ووضع كل شيء موضعه الا ان يكون باستعمال الاشكال الشرعية لا يصور صوراً روحانية، وبالاقدار الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق تظهر انواع الجسم، على ان صاحب القيامة يصور الانسان بالصور الروحانية الابدية(١) الأزلية، فهذه صفة الاحوال الثلاثة التي لا يخلو شيء من الاديان عنها، وان الاقدار الثلاثة التي لا يخلو شيء من العالم الجسماني عنها قد اقمنا في هذه الدائرة ليقع تحت حس البصر لا ليكون اقرب الى الاوهام.

وما دون الاحوال الثلاث في الشرائع فانها تخالف بعضها بعضاً في باب التحليل والتحريم، كما ان العالم الجسماني بعد الاقدار الثلاث التي تعم جميع اشخاصهـــا

(١) سقطت في نسخة س.

فان اشخاصها تخالف بعضها بعضاً في اشياء وتشارك بعضها بعضاً في اشياء كالنبات يشارك الحيوان في باب الجسم والكيف والمكان والزمان والنما والنفس وغيرها، ويخالفه في باب قبول الحس والحركات ، وكذلك الحيوان يشارك الانسان في باب الجسم والكم والكيف والمكان والزمان والنما والحس والحركة، ويخالفها في باب النطق والتمييز والحفظ والذكر. كذلك نقول : ان احدى الشرائع تشارك الشريعة الاولى في بعض التحليل والتحريم وتخالفها في بعض آخر من التحليل والتحريم، فقد بانت وظهرت العلة التي من اجلها قد تقع بين الشريعتين مشاركة من جهة التحليل والتحريم .



الفصل الثاني عشر من المقالة الثانية :

« في العلة التي من اجلها يروج بعض المخترعين الكذابين ما يروج للرسل من السوق والدعوة »

ان القائل يقول: ما لنا نرى في العالم رؤساء قد اخترعوا من تلقاء انفسهم مللاً وشرائع قد الزموا الناس استعمالها وصار لهم تبع اكثر ممّا قد صار لهؤلاء نفر من الذين زعمتم انهم رسل الله وهم مثل: زرادشت ومزدك وبهافريذ وماني وديصان ومرقون،

فلأية علة صار لهؤلاء تبع ، ولمَ راجت اقاويلهم في قلوب اتباعهم كما راجت اقوال الرسل المحققين ؟ فان عامة بلاد الصين ومانين هم على مـــذهب ماني يستعملون شريعته ويدرسون كتبه ، ويتقربون الى الله تعالى بدينه الذي وضعه فيهم . وكذلك عامة الجبال واعوام البلاد هم على مذهب زرادشت وهم خلق كثير لا يحصى عددهم يعبدون النيران ، فلم اخرجتموهم من عامة الرسل ، وما العلة في ذلك ؟ فنقول: وبالله التوفيق ان الكل يشبه بالجزء ، والكل يعمل ما يعمله الجزء ، ولمّا وجدنا الملة الواحدة تتفرع منها مذاهب كثيرة بعضها محق وبعضها مبطل، كالمذاهب المتفرعة عن مذهب الاسلام وعن مذهب النصرانية وعن مذهب اليهودية ، ولا يجب من اجل ان يكون بعضها محقّاً ان يكون الجميع داخلاً في ان يكون حقاً كالبعض، وجب ان تكون جميع الملل بعضها ملة حق، وبعضها ملة باطل، ليكون فعل الكل مثل فعل الجزء الواحد منه ، على ان ارباب الملل الفاسدة لم يدعوا فيما شرعوه رئاسة لانفسهم وحدها، بل أضافوا ما شرعوه الى احد ارباب الملل الصحيحة، فان زرادشت وبهافريذ ومزدك(١) قد أضافوا ما شرعوه من الدين الى ابراهيم ، وكذلك ماني وديصان ومرقون أضافوا ما شرعوه الى المسيح عليه السلام. وزعموا جميعاً انهم هم الذين جاءوا على تجديد ملة ابراهيم والمسيح بعد اندراسها ، فنجعت أقاويلهم في قلوب امهم بريح ابراهيم وعيسى المسيح .

ومثل هذا موجود في اشياء كثيرة من الصناعات والمعاملات ، وكالاشيـــاء الطبيعية ، وذلك انه اذا صار للانسان اسم في اي صناعة كانت او في تجارة ، فان الجالس على اسمه يروج سوقه اكثر ممّا يروج على الانفراد بنفسه، حتى ينال الخلافة والمملكة العظيمة بالاسم والرئاسات العلمية ، وان كان الذي ينالها خلو من الاسباب التي تنال بها الخلافة والمملكة ، فكذلك نقول: ان بعض المخترعين ينالون الرئاسات على اسم اولي العزم ، ويصير لهم اتباع ، وان كانوا خالين ممّا جمع الله في انفسهم الزكية .

وبحق قيل: ان مثل المذاهب القبيحة السمجة التي تتمكن في نفوس البشر مدة من الزمن، كمثل الوباء الشامل العام الذي يعم اشخاص البشر من جهة فساد الهواء، الذي سبب زواله رجوع الهواء المحيط بالابدان الى حـــال الاعتدال ، وان

(١) في نسخة س وردت مزرك .

كان البعض من الناس يحترسوا منه ببعض العلاجات ، فاحتراس الكل من الاشياء الممتنعة كذلك وباء النفس من جهة الضلالات المؤسسة ، فقد يتمكن في النفوس زمناً طويلاً ، وبسبب رجوع النفس الى الطريق المستقيم ، انما هو بظهور اولي العزم، وان كان لبعض اهل العقل والنهي ان يحرسوا انفسهم عنها ببعض الاستنباطات فان احتراس الكل عنها غير ممكن ، وأيضاً فان ظهور المحقين من الرسل وغير المحقين المخترعين انما هو في عالم التركيب . وجدنا عالم التركيب من اوله الى اخره ذا حالين: حال صلاح ، وحال فساد ، وذلك ان الكواكب بعضها نحوس، وبعضها سعود ، وكذلك اذا انحدرت الى المواليد فانه كان اول المواليد الاحجار المنعقدة وقد انقسمت بقسمين: قسم منها ذو صلاح مثل الزمرد والياقوت اللذين يدفعان الوبـــاء اذا ادام الانسان النظر فيهما، ويدخلان في الترياق والأدوية الكبار من الأكحال وغيرها ، وقسم منها ذو فساد مثل الزرانيخ والكباريت واحجار النوره التي تقتل الانسان اذا تناولها، وبعدها الاحجار المذابة فيها مثل الذهب والفضة اللذين بهما صلاح المعيشة في العالم ، وفيها مثل الحديد الذي به يوقع القتل الذريع في العالم في كل وقت ، وبعدها النبات فيه مثل البانش وصور مالك والبنج وغيرها ممّا يقتل الذائق والشام وفيه مثل السكر والورد اللذين فيهما من انواع المصالح ما هو غير خفي ، وبعده الحيوان ففيه مثل الحيّات والعقارب والذئاب والاسد مع ظاهر فسادها وقلة مصالحها، وفيه مثل الجمال والافراس والثيران والاغنام مع كثرة مصالحها وقلة فسادها ، وبعده الناس ففيهم مثل الابرار والاتقياء العلماء الحكماء ، وفيهم مثل الفجّار والاشقياء والجهّال والسفهاء ، وبعدهم دعاة الحق ففيهم مثل ابراهيم عليه السلام وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم الذين يدعون الخلق الى الجنة والنجاة كما حكى الله تعالى ذكره عن صفيه[1] موسى عليه السلام قوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ فن هذه الجهة راجت اقاويل المخترعين الكذّابين في اتباعهم، والقول في ايضاح علة انقسام التركيب بقسمين على الصلاح والفساد خارج عن غرض كتابنا هذا ، ولا نأخذ في شرحه، ولعلنا نشرحه في بعض كتبنا انشاء الله تعالى .

(١) في نسخة س وردت وصيفه .

وفي ظهور الكذّابين المخترعين[1] باهوائهم شرائع جعلوها في اعناق الناس من غير ان كانت لها أرواح ، وراح ذلك عند اتباعهم ، وصارت لهم بها اسواق ، وحجة على من يثبت الظاهر وينفي الحقائق،وذلك انه لو كان بالشرائع الظاهرة دون الحقائق المستورة تحتها يصير المخترع رسولاً لكان هؤلاء المخترعون الكذّابون رسلاً اذ لم يقصروا في بناء الظواهر الخالية عن البيان،لكنهم لمّا طولبوا ببيانها عموا وصحوا ولم يقدروا على ذلك ، واذا حركت شرائعهم من جهة الاستنباط كانت الاشخاص كالجيفة الميتة التي لا ارواح لها،وشرائع الصادقين المحقين الذين هم رسل الله جل جلاله محشوة كلها بالبيان محفوفة بالبرهان ، واذا طولبوا ببيانها قدروا على ذلك ، وان حركت شرائعهم من جهة الاستنباط ،كانت كالاشخاص الحية ذوات الارواح وما اشبه من شرائع الكذّابين بالدرهم المبهرج[2] وبالذهب المطلي اللذين ظاهرهما الابريز والفضة الجيدة وليس باطنهما الاّ الآنك والنحاس اللذان ان ادنيا الى النار سوّدت النار اجسادهما وغيرت ظاهرهما ، وما اشبه امر شرائع الصادقين المحققين بالدرهم الجيد والذهب الابريز اللذين باطنهما كظاهرهما ، وان ادنيا الى النار لم يتغيرا عن احوالهما بل زادا جودة[3] وصفوة . والله جلّ جلاله لم يشهد ابليس ولا ذريته الضالين المضلين على خلقه السموات والارض ، ولا على خلقة انفسهم كما شهد اولياءه وأهل صفوته ، فقال جــلّ جلاله : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فن هذه الجهة صار لهؤلاء المخترعين الكذّابين اسواق ليكون ذلك حجة على من زعم ان الله تعالى رضي من العبادة بالشرائع دون العلوم وحاشا لله عز وجل عن ذلك وتعالى علوّاً كبيراً . فهذه خاتمة المقالة الثانية من هذا الكتاب . والحمد لله الموفق والشكر للملهم .

(١) سقطح في نسخة س .
(٢) في نسخة س وردت المهروج.
(٣) سقطت في نسخة س .

المقالة الثالثة

في إثبات النبوة من جهة الأجناس الطبيعية

الفصل الأول من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوة من جهة الاجناس الطبيعية »

ان الاجناس صور عقلية ، اذ هي الى الوحدة اقرب منها الى الكثرة ، وذلك ان الجنس يجمع الكثرة المختلفة من جهة الفصول والخواص والاعراض ، ويجعلها شيئاً واحداً اي يعمها عموماً واحداً . وما كان من الاشياء اقرب الى الوحدة فانه صورة عقلية، اذ العقل هو المتحد بكلمة الباري التي هي هو ، وهو هي ، وليس فيما هو صورة العقل شيء من التناقض والفساد . فإذاً الاجناس الطبيعيّة المنطقية لا تناقض فيها ولا فساد بل هي اشياء حقيقية ثابتة على حالتها لا تغير لشيء منها ولا زوال ، وكذلك ما اشبه الاجناس الطبيعية المنطقية من جميع الوجوه فانه ايضاً حق لا تنازع لاحد في صحته وتحقيقه . ونرجع الآن فنقول : ان الحكماء المنطقيين قسموا الجنس قبل ان حدوه بأربعة اقسام : فقالوا : ان من الجنس ما هو قبيلي كقريش لأولاده ، ومنه مكاني كنيسابور لسكانها ، او منه صناعي كالتجارة للمحترفين بها ، ومنه منطقي ، وهو القول على كثير مختلفين بالانواع في جواب ما هو كالحي المقول على الانسان والفرس والفيل والبعوض . فلمّا فرغوا من ذلك بتقسيم الجنس بهذه الاقسام تركوا الاحكام الثلاثة التي هي القبيلي والمكاني والصناعي ، وأقبلوا على شرح الجنس المنطقي ، وقالوا : ان الجنس المنطقي منه ما لا يعلوه جنس ، ومنه ما لا يسفله جنس ، ومنه ما يعلوه جنس ، ويسفله جنس ، امّا الذي لا يعلوه جنس فكالجوهر المطلق الذي على ان يعلوه شيء يجمع بينه وبين غيره فيكون توحدهما بذلك الشيء ، وامّا الذي لا يسفله شيء فكالحي الذي يسفل في باب الجنسية عن ان يكون بشيء ممّا يقع تحته من الانواع ، جمع كثرة مختلفة بالتنويع

مثل الانسان والحمار(١) ، وامّا الذي يعلوه جنس ويسفله جنس فكالجسم الذي علاه الجوهر وجمع بينه وبين الروح : وسفل عنه النامي الذي جمع الكثرة المختلفة بالتنويع مثل النبات والحيوان ، وكالنامي الذي علاه الجسم وقسّم ذواته بينه وبين الاجسام غير ذوات النما ، وسفل عنه الحي الذي جمع الكثرة المختلفة بالتنويع مثل الانسان والحمار(٢) والفرس ، وقالوا : ان الجنس يعطي اسمه وحده للانواع التي تحته ، ومثال ذلك ان الجوهر يعطي الجسم اسمه وحده ، فان كل جسم جوهر وقائم بذاته ، وكذلك الجسم يعطي النامي اسمه وحده ، فان كل نامي جسم وكل نامي طويل عريض عميق ، والنامي يعطي الحي اسمه وحده ، اذ كل حي نامي ومتنفس ، والحي يعطي الانسان اسمه وحده ، اذ كل انسان حي وحسّاس متحرك .

فلمّا اتينا على وصف الجنس كما وصفه المنطقيون رجعنا الى النبوة ، فنظرنا هل نجد فيها ما يشبه الاجناس الطبيعية ، لتكون هي ايضاً صورة من صور العقل لتصح مقدمته ، وقد جدناها بكليتها وبجميع اجزائها يشبه امرها في انها صورة العقل وأمر الاجناس الطبيعية في انها جميعاً صور عقلية ، وقد اغفل الحكماء عن امرها وذلك ان النبوة وان كانت تابعة للعبادة فانها مظهرة للملل ، ووضعنا العبادة كالجنس الذي لا يعلوه جنس ، وقلنا : انها تنقسم الى عبادة محضة لا يشوبها شيء من مشاركة الجسم ، وهي عبادة الأول والثاني والملائكة الروحانيين والى عبادة الرسل والناس ، ثم ان الشرعي من العبادة صار جنساً لما تحته من الانواع وهي الملل الست التي هي عبادة الكواكب وعبادة الاصنام وعبادة النيران واليهودية والنصرانية والاسلام . وقد وصف الله ذكرهم في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فالصابئين هم عبدة الكواكب ، والمجوس هم عبدة النيران ، والذين اشركوا هم عبدة الاوثان ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بظهور القائم عليه السلام ، وكل واحدة من هذه الملل الست جنس لما تحتها من الانواع ، فان ملة الاسلام منقسمة الى مذاهب من المرجئة والقدرية والرافضة

---

(١) في نسخة س وردت الاحمر .

(٢) سقطت في نسخة س .

والحرورية والجهمية[١] والتناسخية ولكل مذهب اشخاص من المنتحلين والمعتقدين له كالاشخاص الى الانواع الطبيعية، والاعالي تعطي الاسافل اسمها وحدها كما اعطته اعالي الطبيعيات اسافلها، فان العبادة اسمها عبادة وحدها وخضوع لمعبود ، وما يقال للعبادة المحضة التي للاول والثاني عبادة وخضوع لمقصودهما وهو المبدع الذي ابدعها بوحدته، ويقال للعبادة الشرعية عبادة وخضوع ايضاً لمن اظهر ذوات المتعبدين وكذلك العبادة الشرعية اسمها عبادة وحدها الزام الجوارح ما يليق بها من السياسات حسب مرور الزمان وهي تعطي اسمها وحدها لما تحتها من الملل الست فان كل ملة من هذه الملل عبادة شريفية تلزم كل جارحة ما يليق بها من السياسات في زمان صاحب الملة . وكذلك كل ملة اسمها وحدها لا زمان لما تحتها من انواعها . والمثال في ذلك ان ملة الاسلام اسمها اسلام، وحدها الاركان السبعة التي بني الاسلام عليها تلزم كل مذهب هذا الاسم والحد ، فان جميع الفرق يقال لهم مسلمون والحد كل فريق منهم بالشهادة والصلوات والزكاة والصيام والحج والجهاد والطاعة لولي الامر . فلمّا وجدت صفات العبادة من أولها الى آخرها شبيهة بالاجناس الطبيعية التي هي صور العقل كانت العبادة ايضاً صورة من صور العقل او كل ، واثبت من الاجناس الطبيعية ، ولمّا اثبت ان العبادة انما هي صورة من صور العقل كالاجناس الطبيعية وأوكد منها ، وكان قوام الجنس بأنواعه وأنواع العبادة انما هو الملل الست، وقد ظهرت من جهة النبوة التي هي اثار الرسل وكانت النبوة ممّا قد تصوّر العقل بها ليكون من اثارها عمارة العالم العلوي حسب ما كان من آثار الاجناس الطبيعية عمارة العالم السفلي ، فقد صحّ ان النبوءة صحيحة غير مدفوعة ومن دفعها كان دفعه لها دفعاً لترتيب الطبيعيّات، ليكون الدافع بحد النبوءة دافعاً لحد الجنس الطبيعي وليكون حد النبوءة موافق حد الجنس الطبيعي في ايقاع المعقول على كثير من المختلفين بالانواع في جواب ما هو ، فان النبوءة معقولة على مذهب اليهودية والنصرانية والمجوسية والإسلام وهم جميعاً مختلفون بالانواع الدينية . فيكون جواب المجيب[٢] اذا سأل عن مائية اي ملة منها بالنبوءة التي هي جنس جامع لها فقد صحّ ان امر النبوءة من جهة الاجناس الطبيعية اذا وافقتها مثلاً بمثل وهكذا نقول : لو لم تحدث الجواهر المطلقة عن العلة الاولى لم يظهر جسم ولا غير جسم ، ولو لم يحدث نامي لم يظهر حي ، ولا غير

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت في نسخة س المجيد .

حي ، ولو لم يحدث حي لم يظهر انسان ولا فرس ، ولو لم يحدث انسان لم يظهر محمد ولا يزيد ولا خالد ، كذلك نقول : لو لم تلزم الانفس العبادة المطلقة لم تجب منها شريعة ، ولو لم تجب شريعة لم تحدث ملة من الملل ، ولو لم تحدث ملة الاسلام لم يجب ظهور فرقها ، ولو لم يجب ظهور فرقة لم يجب ظهور فرقة المرجئة مثلاً ولم يجب ظهور جعفر وحامد المرجئين ، ولنتخذ لما وصفنا من اتفاق النبوة مع الاجناس الطبيعية جدولين في عرصة واحدة احدهما بحذاء الآخر ، ويكون انحدار الطبيعيات بإزاء انحدار النبوءات الى ان تبلغ الى الاشخاص الغير متجزئة ، ثم يصعد بالغير متجزئة الى الجنسين الأولين وهما العبادة والجوهر المطلق ، ونضيفهما جميعاً الى انهما صورتان عقليتان وهما هذان العقل يجمع الكثرة المختلفة وهي الاجناس التي لا يعلوها جنس ، وهذه صورة الجدولين :

الجوهر جنس الاسم	يزيد ن حي مسلم ذو ملة وشريعة تقضي عباده	يزيد انسان حي نامي جسم جوهر	العبادة جنس الاجناس لم يعله جنس انقسم الى
الجسم والروح انقسم الى			عبادة محضة وعبادة شريعية والعبادة الشريعية انقسمت الى
النامي وغير النامي الى			الملل الست من
الحي وغير الحي وانقسم الى			عبادة الكواكب
الجماد			وعباده النيران
والفرس			واليهودية والنصرانية
والبغل			والاسلام الى التوحيد والقدرية
والانسان والانسان			والمرجئة الى يزيد
محمد ويزيد وخالد			وخالد ومحمد

(١) وردت في نسخة س الاحمر .

الفصل الثاني من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوة من جهة الانواع الطبيعية »

كما ان بانفصال الأنواع الطبيعية بعضها عن بعض من الجنس الجامع لها تمام الحكمة، وبلوغ الغرض لكمال التكوين، وانتفــاع بعضها ببعض لقوام النوع الافضل ، وهي الحي الناطق الميت المسمّى انساناً. فان بانفصال اشخاص النبوءة الذين هم الرسل بعضها عن بعض من جهة الشرائع المختلفة ايضاً تمام الحكمة وبلوغ الغرض لظهور الصور الروحانية الأبدية الأزلية ، وانتفاع بعضهم ببعض من جهة تأليف الشرائع لقوام الدين الذي وقع مقابل النوع الأفضل ، فان الدين مقابـــل الانسان ، ولذلك لزمه دون سائر الانواع وسمّي باسم مشتق منه ، ويقال له متدين، وانما وقع الدين مقابل النوع الأفضل وهو الانسان لانه غايات السياسات وأحسنها وأقومها انما هو الدين ، وافضل الحيوان وأعدله تركيباً وأقومه مزاجاً وأحسنه تقويماً انما هو البشر ، فلزم احسن الانواع في باب التقويم احسن السياسات في باب الوضع ، وهو الدين ، ولذلك استقطع الله تكذيب البشر بالدين. قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ ﴾ ثم قال : فما يكذبك بعد بالدين ، يعني ان الدين لم يخالف تركيبك ، فلم كذبت به ، اليس الله بأحكم الحاكمين ؟ يعني اليس الذي الزم احسن الانواع في الخلقة احسن السياسات في الوضع باحكام الحاكمين ، وكما ان اعدل التركيب وأقوم المزاجات لم يظهر الاّ بهذا النوع الواحد، وهو الانسان دون سائر الانواع الحيوانية ، كذلك اعدل السياسات في الوضع لم يظهر الاّ في النبوءة دون سائر السياسات، فالنبوءة اذاً نوع من انواع الحيوان الطبيعي يجمع صلاح الدنيا والآخرة .

ونجد بين النبوءة وبين الانواع الطبيعية تشابهاً من وجه آخر ، وذلك ان الانواع الطبيعية ليست بمتساوية الاشخاص ، فانه قد يكون نوع كثير الاشخاص، ونوع قليل الاشخاص ، حتى ذكر في كتاب الحيوان انه قد يكون نوع من الطير لانه لا تزيد اشخاصه على شيء فهو زوج واحد، كذلك النبوءة من وجه حامليها قد تتفاوت اشخاص القابلين عن حاملي النبوءة في باب القلة والكثرة حتى تكون امة اضعاف امة اخرى ، ومنهم لا يتبعه الاّ رجل واحد واثنان، ومنهم تنقاد له الخلائق طرّاً ، وكما

ان من الانواع الطبيعيّة ما قد يكون جنساً لانواع مرتبة تحته ، ومنها ما قد يكون نوعاً للاشخاص التي تكون تحته ، كالحي فانه الفرع النامي وجنس الانسان والحمار(١) والفرس والانسان نوع الحي، لا يصير جنساً لشيء تحته، بل هو الذي يلي الاشخاص كذلك شبّه اصحاب الشرائع بالانواع التي تكون جنساً لأنواع تحتها، وجعل الانواع التي تقع تحت صاحب الشريعة اتماء دوره ويشبه الاتماء بالانواع التي تلي الاشخاص اذ كل متم صاحب عصره وزمانه ، وان الانواع المرتبة تحت النبوءة قامت كالانواع المرتبة تحت الحي الطبيعي، وذلك ان الانواع الحيوانية بعض منها مثل الانسان في فضله وشرفه وبعض منها مثل الجمال والحمير والبغال الى ان ترى فيها مثل الذباب مع ضعفه وفيها مثل البعوض . كذلك الانواع النبويّة فيهم مثل النطقاء اصحاب الشرائع ، وفيهم مثل اللواحق اصحاب بث الدعوة ، وفيهم مثل الأيادي وفيهم مثل الأجنحة، والمأذونين ، وفيهم مثل المستجيبين، وفيهم مثل اصحاب التقليد، وقد شبه الله الجناح بالذباب اذ حظه من جهة التعليم من عالم القدس كحظ الذباب من جهة التركيب من عالم الحس . قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ يعني ان الذين قلدتموهم امر دينكم لن يقيموا جناحاً للدعوة، وان يسلبهم الذباب لا يستنقذوه منه ولو سلب الجناح منهم شيئاً ممّا كانوا يتقلدونه ولا يستنقذوه منه ولا يتخلصوا عنه ، فان الأنواع الطبيعية موافقة لأنواع النبوءة .

الفصل الثالث من المقالة الثالثة :

« في إثبات النبوءة من جهة الفصول الطبيعية »

كما ان بالفصول تنفصل الانواع الطبيعية بعضها عن بعض. اذ الانسان بالنطق والموت اللذين هما فصلاه انفصل عن سائر الحيوان والحمار بالنهيق والكلب بالنباح، كذلك الانواع الروحانية التي هي النطقاء والاسس والاتماء واللواحق انما انفصل كل واحد منهم عن عالم القدس بالفصول الصانعة لنوع كل واحد منهم. فان الناطق انما انفصل عن عالم القدس بالقوة الموهوبة له وهي تأويل الشريعة، ونصب المتم ،

(١) وردت الاحمر في نسخة س .

وكذلك المتم انفصل عن عالم القدس بالقوة الممنونة عليه، وهي خلافته للناطق في امته لحفظ الامانة وإقامة اللواحق في الجزائر، وكذلك اللاحق انفصل عن عـالم القدس بالقوة الممنونة عليه وهي خلافته للاساس في بث الدعوة ونشر التأويل بين المرتادين، وكذلك كل ناطق انفصل عن صاحبه بالزيادة التي له من حرفه، ولمّا كانت علل الطبيعيات انما هي الجواهر النفسانية ثم وجدت الطبيعيات انما ظهر حسنها وبهاءها وشرفها وزينتها بالفصول الصانعة للانواع الطبيعية، كذلك نقول: انما ظهر حسن النفس وبهاءها وشرفها وزينتها بالفصول الصانعة للانواع النفسانية، وهم: النطقاء والاسس والاتماء واللواحق، ولو كانت الانواع الطبيعية عن الطبيعة غير منفصلة من جهة فصولها كانت قبيحة سمجة ناقصة غير بالغة الكمال ولا مظهرة للحكمة، ولذلك ولو كانت الانواع النفسانية غير منفصلة عن النفس الكليّة من جهة فصولها الناطقية والاساسية والمتمية واللاحقية، كانت النفس قبيحة سمجة[1] ناقصة غير بالغة للكمال، ولا مظهرة لزينتها وشرفها وبهاءهـا وحسنها، فبالفصول ثم صلاح العالمين وبها ظهرت الحكمة، وان العلوم المنطقية انما تنفصل عن عالم النفس بأربابها. كما قـال الله جلّ جلاله: ﴿كتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني فُصِّلَتْ علومه بالناطق عن عالم النفس للاساس ﴿قُرْآنـاً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني والاساس معرب ببيانه لمن يفهم ذلك عنه ويعلمه وقال جلّ من قال: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ اراد به حد القائم سلام الله عليه، الذي انفصل بحده جميع اثار من مضى قبله وصار فصلاً بين ادوار الشرائع وبين ادوار الثواب، لم ينفصل بمثل انفصاله احد ممن مضى قبله من النطقاء لان كل ناطق انما فصل عن عالم النفس بمثل فصل الناطق الذي قبله في باب تأليف الشريعة وان كان الآخر افضل من الأول، والقائم سلام الله على ذكره انما فصل عن عالم النفس بفصل كلي لم يشركه احد ممن مضى قبله من النطقاء ولذلك خصّ اسمه بالفصل المطلق.

والفصول تنقسم الى ثلاثة اقسام: عام وخاص وخاص الخاص، فالعام يفصل بين الحالين كالقيام والقعود وهو فصل سريع الزوال، والخاص يفصل بين الهيئتين

(١) سقطت في نسخة س.

كالزرقة والعطس وهو فعل بطيء الزوال، وخاص الخاص يفصل بين النوعين فصلاً ذاتياً، وهي نظير الحدود الثلاثة من الناطق والأساس والمتم العام منها نظير الناطق اذ هو عام لجميع الامة وكل الامة متعلقة بحبله، يفصل بين الحالين بين حال شريعته وبين حال شريعة الماضي قبله. وهو سريع الزوال يعني ان شريعته لا تبقى على حالة واحدة بل هي ممّا يزول سريعاً والخاص منها نظير الأساس، اذ تأويله انّما خصّ به بعض الأمة من اهل النهي دون بعض ويفصل بين الهيئتين، يعني ان التأويل يفصل بين هيئة شريعة وشريعة اخرى ويضع كل شيء موضعه، وبطيء الزوال، يعني ان التأويل لا يزول بزوال الشريعة اذ هو علوم وحقائق قائمة بذواتها، وخاص الخاص نظير المتم الذي هو منصوب الاساس يفصل بين النوعين وكل متم منفصل في باب، انه نوع من الانواع الروحانية من المتم الذي يليه في انه نوع آخر وصاحب العصر وآخر ويجوز اقتسام الفصول الثلاثة من الخاص والعام وخاص الخاص على الاصلين والجد، فالعمومية فيها على السابق اذ هو عام لجميع الاشياء لا يغرب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات، بل هو الاشياء كلها، والاشياء كلها هـو يفصل بين الحالين، بين حال الافضل والادنى، وبين الخير والشر، وسريع الزوال من الشر الى الخير ومن الباطل الى الحق، والخاص منها على التالي الذي ظهور اثاره خاص في البشر، يفصل بين الهيئتين يعني ان بآثار التالي انفصل الانسان بهيئته عن هيئة غيره من الحيوان وبسط الزوال عن صورة الانسانية وظهور ما في صوره شيء آخر، وخاص الخاص على الجد الذي هو فيض النفس اختصّ به من يشاء من عباده وهم النطقاء والاسس والاتماء. فتبارك الله احسن الخالقين.

الفصل الرابع من المقالة الثالثة

« في إثبات النبوة من جهة الخواص الطبيعية »

ان كل ما كان شيء من الطبيعيات لا يخلو عن خاصيته يخص بها دون غيره ومن غير وقوف على علتها او علة أفعالها، بل يتسلم تلك الخاصية الى المخصوص بها من غير دفع ولا انكار، فما بال بعض الناس اذا خصوا بخاصيته النبوة والرسالة ان لا تسلم لهم تلك الخاصية من غير طلب لكيفية ظهورها في انفسهم كما لم تطلب للخواص الطبيعية كيفيات عالمها اهل سبيل من كابر عقله غير هذا السبيل وهو سبيل من يرضى عقله من حجر ميت يجذب الحديد الميت من غير وقوف على

علة جذبه للحديد ولا على كيفية حدوث تلك القوة في قلبه التي بها جذب بعض قلوب البشر، الاّ على سبيل المجانين الذين لا عقول لهم. ايها المنكر بالقوة الشريفة المقر بالقوة الدنيّة التي اضفتها الى الخاصية هلاّ جعلت تلك القوة الشريفة ايضاً خاصية انسانية، وهلاّ تدخل في هذا الباب قول رسول الله عليه وآله حين سئل عن صحة نبوته فقال يشهد لي كل حجر ومدر(١)، فكأنه عليه السلام عمد الى بعض المواليد من النفس، وأقربها الى الطبع فرأى اكثر الاحجار ذوات خواص طبيعية ليس للبشر على حدوث تلك الخواص فيها احاطة، فذلك ان من الاحجار ما يجذب الحديد مثل حجر المغناطيس ومنها ما يفر من الخل، وهو المسمى مبغض الخل، ومنها ما يصلح لإدرار البول عند عسره وخاصة لبول الدواب، ومنها للطلق، ومنها مثل الياقوت الذي يدفع مضرة الوباء اذا اديم النظر عليه في ايامه، ومنها مثل الزبرجد(٢) الذي تنسل اعين الحيات اذا وضعت ابصارها عليه، ومنها مثل الجزع لتسهيل الولادة، ومنها مثل الحمست الذي فيه رؤيا الاحلام والاضغاث المهولة، وامّا الزمرد فانه يدخل في الترياق والادوية الكبار الذي يصلح لدفع السموم ولدفع العلل الصعبة، فكانه عليه السلام اخبر امته ان كل حجر بما فيه من الخاصية الطبيعية من غير احاطة على كيفية حدوث تلك الخاصية فيه، يشهد لي بالنبوة الموهوبة لي دونكم، وان لم يكن احاطة بكيفية حد تلك الهبة من الواهب في نفسي اذا جوزتم ان لابعد الاشياء من النفس وهو الحجر والمدر(٣) قبول خواص طبيعية لأدرك لكم بعللها والإحاطة بكيفية حدوثها، فلم لم تجوزوا لأقرب الاشياء من النفس وهو الانسان الصافي قبول نفسانية خاصة لادرك لكم ولا إحاطة بها ان كنتم من المنصفين تعلمون ان كل حجر قابل لخاصة طبيعية ليشهد لي بقبول خاصية نفسانية.

وقد قيل: ان الخاصية تنقسم الى اربعة اقسام: منها ما يكون لنوع واحد وليست لكله كالكتابة لنوع الانسان لا تعمهم، ومنها ما يكون لنوع واحد ويشاركه معه غيره من الانواع، كالقيام في الانسان وفي غيره ومنها ما يعم نوعاً كله ولا يشاركه فيه غيره من الانواع، لكنه في وقت دون وقت كالشيب في الانسان عنـد اوان الكبر،

(١) وردت في نسخة س قدر.
(٢) وردت في نسخة س الزبرشد.
(٣) وردت في نسخة س القدر.

ومنها ما يكون لنوع واحد كله لا يشاركه فيه غيره، ويكون له في كل حين كالضحك للانسان، كذلك النبوءة التي هي خاصية لبعض البشر دون البعض منها ما يكون لنوع واحد لكله لا يشاركه فيه غيره، ويكون له في كل حين كالضحك للانسان، كذلك النبوءة التي هي خاصية لبعض البشر دون البعض منها ما يكون لنوع واحد لكنه ليس لكل نوع، كالاسلام لجميع الرسل لكنه يوجد لشريعة بعض الرسل ومنها ما يكون لنوع كله ويشاركه غيره معه من الانواع وهو استعمال الواجبة على الرسل وعلى اممهم، ومنها ما يكون لنوع واحد لكنه ليس في كل وقت وهو تأليف الشرائع وانما يكون للرسل لكنه ليس في بدء امورهم بل بعد تمكن الحيال لهم، ومنها ما يكون لنوع واحد كله في كل وقت لا يشاركه فيه غيره وهو الرسول الناظر الى حرفه المخصوص به لا يشاركه معه غيره، وله في كل وقت ولجميع الرسل النظر في حروفهم، فقد وافقت النبوءة الخاصة الطبيعية من جهة اقسامها وحدودها فان الخاصية تعطي المخصوص بها اسماً مشتقاً منها كما يقال للانسان انه ضاحك من خاصيته وهو الضحك، والفرس صهّال من خاصيته وهو الصهل، والكلب النبّاح وهو من خاصيته وهو النبح، لذلك يقال لبعض الناس نبي من خاصيته وهي النبوءة حتى يكون الخطاب باسم الخاصية اكثر من اسم الانسانية كما خاطب الله جلّ جلاله النبي صلّى الله عليه وآله باسم النبوءة قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ و ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

فان كانت خاصية بعض الناس وهي النبوءة تعطي النبي اسماً مشتقاً منها كذلك

الخواص الطبيعية تعطي المخصوصين بها اسامي مشتقة منها، كذلك النبوءة ثابتة من جهة الخواص الطبيعية ، ولا يرى شيئاً من الاشياء الطبيعية من المعادن والنبات ، والحيوان الاول خاصية تميز بذلك الخاصية ممّا سواه وتقدم له في باب التعريف كالحد الصحيح كذلك كل شخص من اشخاص البشر فيه هيئة ، ولو انها تميزه ممّا سواه ، ويقوم في باب التعريف كالحد المميز له من غيره ، وهكذا كل رسول له خاصيته من جهة تأليف الشريعة، ووضع سياسة تميزه بتلك الخاصية عمّا سواه من الرسل، مثال ذلك ان لخاصية دين اليهود اشياء معدودة تميز نبوءة موسى صلّى الله عليه عن نبوءة سائر الرسل ، كذلك لخاصية دين المسيح عليه السلام ، ودين محمد صلّى الله عليه وسلّم اشياء معدودة تميزها بتلك الشرائع عن سائر الرسل كما ميزت بعض الاشياء عن بعض فاعرفه .

واذا تفكرت في الخواص الطبيعية وجدتها فارجة عمّا توجبه الطبيعة فكأنها اثار روحية تعلقت بالطبيعة لصلاح العالم الجسداني ، ولعجز الطبيعة عن اظهار تلك المصالح من جهة ذاتها ، فلمّا رأت علة الطبيعة وعلمت ان الطبيعة لا تقدر على جميع ما تم به صلاح هذا العالم لمعت اثارها من علة الطبيعة فأظهرت مفاعيل كاملة لصلاح العالم ، ومثل ذلك — السقمونيا — حار يابس ، ومن شأن الحر اليابس بطبعه اهلاك البارد والرطب بطبعه ، وانما الحار اليابس المشاكل له ، ثم رأينا من خلافه ما وصفنا فانه يهلك الصفراء التي هي حارة يابسة وينقصها وقد علمنا انه انما تفعل ذلك السقمونيا بخاصيته لا بطبعه، فقلنا: ان تلك الخاصية اثر تعلق به من علة طبعه ليظهر بذلك الاثر صلاح بعض البشر عند وقوع الحاجة اليه، وهكذا لجميع الخواص اثار متعلقات بالطبائع من علتها لاظهار المصالح الجسدانية، كذلك نقول ان خاصية بعض الرسل التي في النبوءة اثر لمع من السابق في النفس الناطقة ليظهر بذلك الاثر صلاح العالم الروحاني لحياة الانفس الجزئية المتحدة بالاجساد الكثيفة الظلمانية، فإذا كان تعلق اثار النفس بالطبيعة المسماة خواص الطبيعة لظهور مصالح العالم الجسداني حكمه وفضله فكذلك تعلق اثار الطبيعة السابق بالنفس المسماة نبوءة لظهور مصالح[١] العالم الروحاني ايضاً حكمة وفضيلة .

(١) وردت في نسخة س صوالح .

الفصل الخامس من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوءة من جهة الاغراض الطبيعية»

قد يوجد بين النبوءة وبين الاغراض الطبيعية تشابه من جهات كثيرة احدهما ان الاغراض منها مزائل ومنها غير مزائل ، امّا المزائل كالقيام والقعود وما اشبهها ، وغير المزائل كالزرقة والعطشة ، وما اشبهها . كذلك النبوة من جهة تأليف الشرائع منها مزائل ومنها غير مزائل ، امّا المزائل فكشح الشريعة وتجديد شريعة اخرى ليصير الحرام حلالاً والحلال حراماً والامر نهياً والنهي امراً ، وغير المزائل فكالمحكم من الشريعة لا يزول البتة مثل قبول النفس وإباحة الاملاك ودفع[١] الانساب وما اشبهها.

والثانية: ان في زوال الاغراض اخيراً رفع الطبيعة من جهة الاستحالات ، فلو لم يزل بعض الاغراض لم يستحل شيء من الاشياء وإذا لم يستحل شيء لم يحدث كون البتة ، واذا لم يحدث كون لم يظهر فعل الطبيعة بزوال بعض الاغراض كظهور الاستحالات وبظهور الاستحالات حدوث الكون ، وبحدوث الكون ظهور الافعال الطبيعية كذلك نقول: ان في زوال الشريعة اظهار فعل السابق من جهة الإفادات النفسانية ، فلو لم تزل بعض الشرائع لم تستفد النفس عن السابق وإذا لم تستفد النفس عن السابق لم تظهر فضيلة عقلية البتة ، واذا لم تظهر فضيلة عقلية لم يظهر فعل السابق ، فبزوال بعض الشرائع اظهار فعل السابق من جهة الإفادات النفسانية وبظهور استفادات النفس عن السابق اظهار الفضائل العقلية وفي اظهار الفضائل العقلية ظهور افعال السابق .

والجهة الثالثة: ان العرض هو الذي يتوهم رفعه من غير فساد حامله كذلك بعض ما قد يتوهم رفعها عن النبوءة من غير فساد النبوءة ومثال ذلك: ان النبوءة الموجبة للاسلام كان اهله اياماً كثيرة يحللون الخمر ويشربونها ويصلون الى بيت المقدس ركعتين فصارت الخمرة بعد ذلك حراماً بعينها وجعلت القبلة الى الكعبة والصلاة اربعاً فقد يتوهم رفع ذلك عن النبوءة التي أوجبت ظهور الاسلام ، ولم يفسد الاسلام بل هو بعد رفعها أوكد واثبت: كما قال الله جلّ جلاله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى

(١) وردت في نسخة س ورفع .

كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ﴾ فان النبوءة ابداً في اظهار الأخير الأفضل الأصلح كذلك الشيء الطبيعي بعد زوال بعض الاعراض عنه وظهور بدله اظهر فضلاً واحسن مزاجاً وتقويماً ، وانما قدر الله تعالى للاعراض زوالاً وتبديلاً لتكون الاشياء الطبيعية ابداً جديدة على حسب الزمان الجديد ، فان الزمان بذاته لا يخلق بل يخلق الاشياء. فأراد الخالق عز وجل ان يبطل ما يخلقه الزمان فكان تمام ذلك بزوال الاعراض عن الاجساد الحاملة لها كذلك قدر الله تعالى للشرائع نسخاً وتبديلاً لتكون السياسات ابداً على حسب التمييز الجديد ، فان التمييز لا يخلق بذاتـــه بل يخلق الاشياء المغيرة من جهة السياسات فأراد الخالق عز وجل ان يبطل ما يخلقه التمييز فكان تمام ذلك بزوال الشرائع عن النبوءة الحاملة لها فقد وجدنا النبوءة مشابهة للاعراض من الجهات التي ذكرناها ، ومن الجهة التي لم نذكرها فقد صحّت النبوءة من جهة الاعراض الطبيعية . فاعرفه انشاء الله تعالى.

الفصل السادس من المقالة الثالثة :

« في إثبات النبوءة من جهة الحركات الطبيعية »

ان بالحركة الطبيعية استقامت احوال العالم الجسماني ، وبها تنشئ المواليد من الآباء والامهات وبالحركة الدينيّة التي هي اثر النبوءة كذلك استقامت احوال العالم الروحاني ، وبها تنشأ الصور من الآباء والامهات . وان كانت الصور المنشأة من الحركات الدينية قد يدفعها بعض الدافعين فان المواليد المنشأة من الحركة الطبيعيّة ممّا اقرّ بها الجميع بوجودها حسّاً ، فإذا رأينا الدافع في الحركة الدينية ممّا قد رآه في الحركة الطبيعيّة زال عنه الشك ، وأيقن بانها اثبت من الحركة الطبيعيّة لمساواتها بها . فنقول: ان الحركة الطبيعيّة اذا زال عنك الشك وأيقنت بانها اثبت من الحركة التي تنقسم اولاً الى ثلاثة اقسام : احدها الحركة الى الوسط ، والثانية الحركة من الوسط ، والثالثة الحركة على الوسط ، وانها تنقسم بعد ذلك الى اقسام ستة : احدها حركة الكون ، والثانية حركة الفساد ، والثالثة حركة الزيادة ، والرابعة حركة النقصان ، والخامسة حركة الاستحالة ، والسادسة حركة الانتقال . ووجدنا النبوءة قد تحركت اولاً ثلاثة حركات لتحرك الطبيعة احداهنّ مقابل الحركة الى الوسط وهي حركة نزول التأييد من عالم البسيط من قبل السابق والتالي على قلب الناطق والاساس ،

فلمّا كانت الحركة الى الوسط للركنين الكثيفين وهما الماء والارض . كما قـــال عز وجل : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾ وقوله : ﴿ يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إله إلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ . والثانية : مقابل الحركة من الوسط وهو حركة قلب الناطق والأساس لقبول فوائد الأصلين كما كانت الحركة التي من الوسط للركنين (١) اللطيفين وهما الهواء والنار . كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾ عنى به التالي دنا اليه الناطق بحركة قلبه مرة لقبول فوائده ومرة حين ارقى أساسه الى حده لقبول فوائد السابق . وهو قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ . والثالثة : مقابل الحركة على الوسط وهي إلزام الشهادة للواحد الفرد بالفردانية على جميع الحدود ونفي صفات الخلق عن التوحيد كما كانت الحركة التي على الوسط احاطت بالاركان الاربعة وبما يتولد منها من المواليد اعني حركة السموات التي هي حركة مستديرة لا تشبه شيئاً من الحركات التي عرفوها كذلك امر الباري تعالى قـــد أحاط (٢) بالاصلين والاساسين وبجميع الحدود العلوية والسفلية ولزم جميع الحدود بالاقرار للواحد بالوحدانية وفي انه لا يشبه شيئاً من المخلوقين من البسيط والكثيف .

ثم وجدت النبوءة قد تحركت بالحركات الست لتحرك الطبيعيات ، امّا حركة كونها فلكون الشريعة من جهتها تكون أولاً فأولاً حتى تملأ العالم من علتها وتحرك اهل العالم في أوقات الليل والنهار عند استعمالها لا يفترون عنها ساعة ، وقد منّ الله جلّ جلاله على الناطق بها في قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً

(١) وردت في نسخة س للأركان .
(٢) وردت في نسخة س احتاط .

وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ، فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ . وامّا حركة الفساد فحركة نسخ الشريعة لكون الشريعة الجديدة من جهة حركات قلوبهم عند وقوع الشك والريب فيها فشبهنا هاتين الحركتين، اعني حركة كون الشريعة وفسادها بحركة الماء والارض الى الوسط ، اذ الكون والفساد انما يكونان على وجه الارض وفي الماء ، وامّا حركة الزيادة فحركة قلب الناطق في كل وقت بزيادة ما ينال من فوائد السابق التي بها رفع الله ذكره . وهو قوله جلّ جلاله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وأمّا حركة النقصان فانه كلما زاد الله في درجته نقص من ميله الى الهوى والاعراض العاجليّة بتحريك نفسه الحسيّة عند قبول نقصان افعالها الرديّة ، وشبهنا هاتين الحركتين ، اعني حركة زيادة درجته ونقصان افعاله الحسيّة بحركة الهواء والنار من الوسط لان الزيادة في الهواء والنشوء يكون بقوة الحرارة ، وكذلك النقصان يكون في الهواء والاضمحلال بنقصان الحرارة، وامّا حركة الاستحالة فان النبوءة لم تتصل بالنبي بغتة[1] بل انما يتمكن في قلب النبي بعد استحالة اطول كثيرة من حد الايمان الى حد الاذن ومن حد الاذن الى حد الجناحية ومن حد الجناحية الى حد اللاحقية ومن حد اللاحقية الى حد الإمامة، ومن حد الإمامة الى حد الاساسية ، ومن حد الاساسية الى حد الناطقية فهو يستحيل حالاً بعد حال الى ان يبلغ الى حد قبول النبوءة ولا يمكنه ذلك الاّ بواسطة الحركات النفسانية التي تحليه من حال الى حال . وامّا حركة الانتقال فان بالنبوءة وآثارها تنقل الانفس البسيطة من عالم الفناء الى عالم البقاء ، وبها اعني النبوءة تنتقل النفوس من حد القوة الى حد الفعل[2] ، فشبهنا هاتين الحركتين اعني حركة الاستحالة وحركة الانتقال بالحركة المستديرة التي على الوسط لان الكواكب في حركاتها تستحيل افعالها من حال الى حال على حسب حلولها في خطوط الفلك ، وانها تنتقل من مكان الى مكان ، لان مكان الشمس اذا توسطت السماء غير مكانها اذا كانت مشرقية او مغربية ، فان قال قائل: انها مشدودة في فلكها فان الجرم المشدود فيه قد انتقل من موضع المشرق الى موضع المغرب ، فلمّا وجدت الحركات الطبيعيّة

(١) في نسخة س وردت فجأةً .
(٢) في نسخة س وردت الافعال .

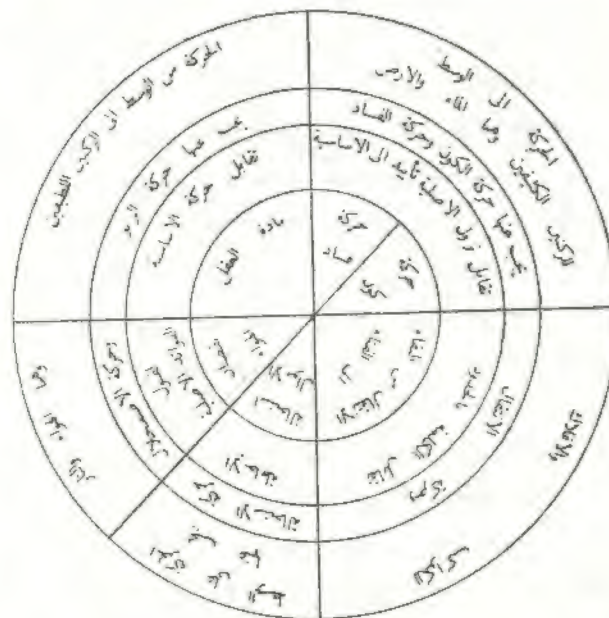
شبيهة بحركات النبوءة وأقسامها متساوية لاقسامها كان ظهور النبوءة لمعنى ما على حسب شوقها لما كان ظهور الطبيعة لمعنى ما لعبت ، فإذا النبوءة صحيحة غير مدفوعة من جهة الحركات الطبيعيّة .

ولعل قائل يقول : قد وجدنا للحركة الطبيعيّة سكوناً طبيعياً ، فهل للحركة النبويّة سكون نبوي ؟ قلنا : ليس حال السكون في الشيء الطبيعي الاّ حال واحدة وذلك انّا متى وجدنا حجرًا ساقطاً علمنا انه ساكن عن الكون والفساد والزيادة والنقصان والاستحالة والانتقال في حالة واحدة بنوع واحد فإذا تحرك بأي نوع من أنواع الحركات كان توهم سائر الانواع غير متوهم في واحد من الحركة ، لذلك نقول : ان السكون النبوي بنوع واحد في الانفس المتخلفة عن درك النبوءة ساكنة عن كون الشريعة وفسادها وزيادة الدرجة ونقصان الميل ، وعن الاستحالة عن حال الكدورة الى حال الصفوة وعن الانتقال من درجة الفناء الى درجة البقاء ، ولو تحركت نفس في قبول شيء من هذه الاشياء كان توهم سائر الحركات في تلك الحركة غير جائز ، وانظر هل ترى شيئاً من المحسوسات الملذذة من جهة السمع والبصر والشم والذوق واللمس الاّ من جهة حركات المحسوسات بالطبع ، كذلك لا ترى شيئاً من المعقولات الملتذة من جهة الفكرة والخاطر والذهن والحفظ والذكر الاّ من جهة حركات النبوءة ، فان شككت في هذا فانظر انفس العلماء من كل امة كيف تحركت لاستنباط كلام الرسل ، وكيف تلتذ نفوس المستحقين الى كلام العلماء فضلاً عن كلام الرسل ، فمن ابطل النبوءة ابطل اللذات العقلية من جهة الاستنباطات ومن ابطل اللذات العقلية من جهة الاستنباطات كان مثله كمثل من ابطل الاشياء الملذذة من جهة الحس وليست اللذات التي في كلام الحكماء غير الرسل ، الاّ من فضل كلام الرسل الذين افادوهم واستفادوا منهم ومن أئمتهم ولو كان هذا موضعه لكشفنا عن كل دقيق وجليل[1] من كلام الحكماء عن كلام اولي[2] العزم فان ادنى كلام من كلامهم يشتمل على جميع ما اخترعوه وأسسوه .

وقد صورنا في هذا الموضع دائرة محيطة بدائرة أصغر منها ، وسمينا الدائرة العظمى دائرة حركات الطبع ، والدائرة الصغرى دائرة حركات النبوءة ، ووضعنا كل نوع

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) في نسخة س وردت اولياء .

من أنواع الحركات الطبيعيّة في الدائرة العظمى بإزاء النوع الذي يشبهه من دائرة حركات النبوءة ليقع تحت حس البصر ، وهذه هي الدائرة التي وضعناها وقسمناها نوعاً نوعاً وقسمة قسمة ليدل مساواة الحركات الطبيعيّة بالحركات النبوية في انهـا صحيحة غير مدفوعة وذلك ما اردنا ان نبينه :



الفصل السابع من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوة من جهة الأزمنة »

ان الازمنة ثلاثة : ماض ومقيم ومنتظر ، فالماضي والمنتظر من الزمان ممّا لا ثبات لواحد منهما، والمقيم هو الثابت الذي يخرج الأشياء الطبيعية من القوة الى الفعل ، وان كان الماضي حيث كان مقيماً ، والمنتظر حيث يصير مقيماً كذلك يخرجان الأشياء من القوة الى الفعل ، فان الحكم والقضايا للزمان والثابت المقيم ، كذلك النبوءة ايضاً منها ماضية ومنها مقيمة ومنها منتظرة والاحكام والحدود المقيمة منها دون الماضية والمنتظرة ، وان كان للماضية منها حيث كانت مقيمة ، والمنتظرة

حيث تصير مقيمة احكام وحدود وسياسات ، فان الحكم والقضاء للنبوءة المقيمـة وإخراج الصور الروحانية من القوة الى الفعل ومثال ذلك ان النبوءة في دور عيسى مقيمة في شريعته وسياسته والصورة المنشأة مقدرة من جهة حقائقه وعلومه وحكمه ماضية في دور عيسى منتظرة لدور محمد وليس في دور عيسى للنبوءة المقيمة في شريعته ان تظهر الصور الروحانية من شريعة موسى ولا من شريعة محمد صلّى الله عليه وعليهم ، فاذاً النبوءة ممثلة حد الازمنة الثلاثة .

ثم وجدت الازمنة ذوات اسامي تحتمل مختلفة القلة والكثرة والكثير منها يظهر الاشياء اكثر من القليل ، وذلك ان منها الآن ومنها الساعة ومنها اليوم ومنها الشهر ومنها السنة ومنها القرن ومنها الدور ومنها التحويل ومنها الجامع لهذه جميعاً وهو الدهر ، ولا يوجد لليوم الواحد من القوة في اظهار الاشياء الطبيعية ما يوجد للقران الواحد والدور الواحد ، كذلك النبوءة تعطي لما تحتها اسامي مختلفة تحمل القلة والكثرة ، والكثير منها يظهر الصور الروحانية اكثر من القليل وذلك ان بقوة النبوءة يسمي بعض الناس موءمناً وبعضهم جناحاً وبعضهم لاحقاً وبعضهم متمّاً وبعضهم اساساً وبعضهم ناطقاً وبعضهم قائماً[1] وبعضهم جامعاً لهم وهي النفس الكليّة ولا يوجد للموءمن الواحد من القوة في اظهار الصور الروحانية ما يوجد للمتم الواحد او للناطق الواحد غير ان الذي بإزاء الاعظم من الأزمنة الاصغر ، والحدود التي بإزاء الاصغر من الازمنة الاعظم من حدود النبوءة والمثل في ذلك ان الله تبارك وتعالى ضرب مثلاً للقائم مرة بالساعة ومرة باليوم وهما اقل الازمنة اعلاماً منه جلّ جلاله لخلقه بان احوال العالم الروحاني خلاف احوال العالم الجسماني فلا يحتاج في اظهار صورة الى زمان طويل ومدد كثيرة كما تحتاج الصور الجسمانية الى الازمنة والمدد[2] كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ يعني وان يوماً عند ربك في اظهار الصور الروحانية كألف سنةٍ زمانية ممّا تعدون .

ثم نجد الزمان كأنه شيء متولد من النبوءة يضاف اليه كما يضاف الولد الى الوالد والى الوالد الولد فما على ذلك الاّ ان اكثر التأريخيات هي مأخوذة من ظهور الانبياء

(١) وردت في نسخة س غانماً .

(٢) وردت في نسخة س والامداد .

ويقال سنة كذا وكذا لكذا ، وقد تقدم ان السنة الزمانية جارية قبل ظهور النبي كما جرت بعده ، فلمَ لا يقال سنة كذا وكذا بزيادة عشر من السنين على مدة ظهوره ، بل جعل الابتداء من وقت ظهوره كأنه الذي ولد الزمان والزمان ولده الذي يضاف اليه ، ولو كان الزمان الذي يضاف اليه هو مدة ، الا ان الواحد ومدة الساعة الواحدة وحدة اليوم الواحد مجمع الساعات ، او مدة الشهر الواحد مجمع الايام او مدة السنة الواحدة مجمع الشهور ، او مدة الدور الواحد مجمع السنين ، لكان حاله قبل ظهوره ، مثل حاله بعد ظهوره ، وكذلك الواجب ان لا يضاف اليه ما لم يكن هو سبب ظهوره . لكن لمّا كان الزمان الحقيقي انما ظهرت زينته وشرفه بالشرائع الموضوعة لكل وقت منه ولكل يوم ولكل شهر ولكل سنة ، كانت اضافته اليه من هذه الجهة ، فان الشريعة قد اظهرت شرف الزمان عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند توسطها الفلك بأن أوجبت على الابدان اقامة الصلوات فيها ، وكذلك عند العصر وعند اجتنان[1] الليل ،ثم عند كل اسبوع يجمع اهل المساجد كلها في مسجد واحد في كل بلد ، وكذلك في كل سنة تجمع اهل الامصار في بلد واحد لقصد مسجد واحد ، فلو لم تظهر النبوءة هذه الفضائل المقرونة بالزمان لكان الزمان يمضي هدراً بلا زينة ولا شرف ، وكان مثل النبي في تربيته الزمان كمثل انسان تعمد الى تل من طين ، فيتخذ منه قصراً ببيوته وحجره وغرفه وإيواناته وبساتينه لا يمل الناظر اليه بل يسكن الى الكينونة[2] فيه ويطمئن اليه ، فإلى من يضاف القصر الى صاحب بنائه او الى صاحب التل ؟ بل لا يضاف الاّ الى صاحب بنائه ، كذلك الزمان قبل ظهور الشريعة من النبي بقوة النبي كالتل الخراب الذي لا عمارة فيه ، فلمّا الّف النبي شريعته ، وأوجب في كل وقت وزمان على الازمان شريعة وسياسة خلاف ما أوجبه في الزمان الآخر اضيف اليه فقال سنة كذا وكذا من وقت ظهور من زيّن الزمان بالزينة الشريفة البهيّة ، وما يصنع بالنبي الذي هو اصل الزمان ، وقد يضاف الزمان الى واحد من ملوك ملته ، فيقال ان الزمان هو الملك اذا فسد فسد الزمان ، وإذا صلح صلح الزمان ، فان كان للملك واحد من ملوك ملته من القوة ان يضاف الزمان اليه ، فان إضافته الى صاحب الملة واحداً او واحداً . وكما ان الزمان يبلى وينشئ كذلك

(١) وردت في نسخة س اجتناب .

(٢) وردت في نسخة س الكنونة .

النبوءة تبلى وتنشئ وتبلي الشريعة المتقدمة وتنسخها وتنشئ الشريعة الجديدة ، وانه من بين ليل تسكن فيه الابدان ويستريح من التعب والنصب ، ونهار تتحرك فيه الابدان لطلب المعاش وكل نهار بين ليلتين ليلة متقدمة وليلة متأخرة ، وكل ليل بين نهارين نهار يتقدمه ونهار يتأخره ، كذلك النبوءة بين صامت تسكن النفوس الى دعوته ، وتطمئن الى حقائقه ،وبين ناطق تضطرب النفوس الى دعوته لطلب علومه وحكمته وان الناطق بين ما يتراءى له من حد التالي في الستر والكتمان خطه وهو ليله الذي تقدمه وبين ما يطلع اساسه على حده المخصوص له في الستر والكتمان ايضاً وهو ليله الذي يتأخره وكذلك الاساس بين ما ينشئه الناطق اولا في شريعته بالجهر والاعلان فهو نهاره الذي يقدمه وبين ما يقيم المتم بعده لنشر الدعوة بين اهل العالم وهو نهاره الذي يتأخره ، واما زيادة الليل على النهار مرة وزيادة النهار على الليل مرة ، فان النهار اذا كان زائداً على الليل فانه حد الناطق المخصوص به زائد على حد اساسه ولا يبلغ الاساس الى حده الذي اختصه الله به ، واذا كان الليل زائداً على النهار فانه حد الاساس المخصوص به زائد على حد المتم ولا يبلغ المتم الى حده الذي خصه الله به .

ومما يرشدك الى ان الزمان هو على حد الناطق ، وانه مضاف اليه اتفاق الناس على هذا القول وهو قولهم زمان صالح وزمان فاسد ، فلو كان الفاسد المراد من ذلك مدة مرور الشمس والقمر والحركات العلوية لكان مرورها وحركاتها في الزمان الفاسد سواء بمرورها وحركاتها في الزمان الصالح ، ولكن المراد بالزمان الصالح ظهور الناطق في العالم الجسماني الذي به صلاح الانفس في معادها ومرجعها[1] الى معدنها ، وبالزمان الفاسد ظهور الضعف الذي يصد الناس عن سبل الله ، وهو فساد الانفس في معادها وقد علمك رسول الله صلّى الله عليه وآله في انه هو الزمان لقوله ان الزمان قد استدار كالهيئة يوم خلق السموات والارض فأراد باستدارة الزمان ظهور حده وشريعته وتنزيله الذي يجمع حدود خلقة السموات والارض وخلق التراكيب . اذاً الحدود التي دونه من الاتماء واللواحق ليس لواحد منهم حد يجمع تحت حده خلقة السموات والارض وخلقة التراكيب اذ الحدود التي دونه من الاتماء واللواحق ، كما وقع للناطق عليه السلام وللنطقاء الذين خلوا قبله وأراد ان يعلم الخلق ان حده خلاف حد الاتماء الذين خلوا قبله ، بل هو الذي يجمع بفضل ما اتاه الله من الحكمة

(١) سقطت في نسخة س .

خلقه السموات والارض في هيئة تنزيله وشريعته ، لان لا يقول ما جاء من بشير ولا نذير .

ومن الدليل على ان النبوءة علة ما يتولد الزمان منه ان قابل النبوءة قد يخبر الناس بما يكون في الزمان في المستقبل من النعرات وهو مثل ما رويَ عن ناطقنا عليه السلام انه قال : حين بلغه ان كسرى مزّق كتابه : « هلك كسرى ولا كسرى بعده » وقال : كأني انظر الى سواري كسرى في يدي سرادق ابن مالك ، وكما ذكر في سفر أشعيا حيث يقول : قم نظار امأ مـــا ترى، قال: أرني راكبين راكب حمار وراكب بعير ، فأراد براكب الحمار المسيح وبراكب البعير محمد وقد اخبر عليه السلام امته انما يكون في الزمان المستقبل فمن اية قوة كان يخبر الناس لو لم تكن النبوءة المتصلة به علة الزمان المحيط به،وبما يتولد منه ، ودليل آخر على ان النبوءة علة الزمان، ان اوامر النبي قد غلبت الزمان على اظهار افعال النبوءة وقهرت افعال الزمان ، وذلك ان افعال الزمان ليست على نظم واحد بل بتقدم وبتأخر وتـقل وتُكثر وافعال النبوءة على حال واحدة بلا تقديم ولا تأخير ولا تقليل ولا تكثير ومثال ذلك ان ناطقنـــا عليه السلام قد امر امته بالأضحية في كل سنة يوم العاشر من ذي الحجة ، وثلاثة ايام بعده ، وقد غلب امره الزمان على هذا الفعل على نسق واحد لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ، وكذلك اقامة الصلوات في الأوقات الخمسة في اليوم والليلة لا يتقدم ولا يتأخر وهكذا اشهر الصيام وعمل الحج في شهر لا تقديم فيها ولا تأخير عنها ، بل ترى ان الزمان مقهوراً تحت امره منقاداً له انقياد المعلول لعلته وقد ثبت ان النبوءة علة الزمان، ولهذا المعنى قيل: ان الناس بنطقائهم اشبه في باب التعريف منهم بآبائهم،وذلك انه اذا ما رأيت انسان في زيه وهيئته علمت انه مسلم على دين محمد عليه السلام ، او نصراني على دين المسيح ، او يهودي على دين موسى ، ولا يدري آخر من هو من جهة زيه وهيئته حتّى تعرف من جهـــة المخبر .

وكما ان ظهور الأزمنة قليلها وكثيرها انمّا يكون من قبل الشمس والقمر فقط دون سائر الكواكب ، كذلك ظهور النبوءة من قبل السابق والتالي وبالسابق يكون الاكثر ، كما ان بالشمس ظهور الازمنة اكثر وأصح وهكذا جميع الاجرام العلوية انما هي من قبل الشمس كذلك جميع المقائس الدينية لوضع السياسات انما هي

من قبل السابق وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ، والقمر قدّرناه منازل يعني بها السابق جعله الله ضياء القلوب المصطفين من عباده وهم النطقاء ، والقمر نوراً يعني به التالي نور دون السابق تستنير به الاسس والائمة وقدّره منازل بين اللواحق لتعلم عدد السنين والحساب يعني لتحيط بمراتب النطقاء ، ومن جهة علومهم المقدّرة لهم بمرتبة القائم الذي وجد الحساب ، ما خلق الله ذلك الاّ بالحق يعني ما اقام الله هذه الحدود الاّ بإقامـــة الحق ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّيْنِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فقد وافقت النبوءة في أوضاعها ومقائسها الازمنة في أوقاتها وساعاتها وأيامها وشهورهـــا وسنينها وجميع اقسامها فعلمت انها حق من هذه الجهة .

الفصل الثامن من المقالة الثالثة :

« في إثبات النبوءة من جهة الأمكنة »

ان للاشخاص الطبيعيّة امكنة فيها تسكن وعليها تستقر ، وان ازيل شخص طبيعي عن مكانه كان الموضع الذي زال اليه مكاناً له على التبادل ، ولا يستقيم انه يوجد مكان خالي من جسم طبيعي ولا متمكن الاّ في مكانه الطبيعي وان وجد متمكن لا في مكانه الطبيعي كان لبثه هناك غير ثابت امّا بدخول فساد عليه ، وامّا برجوع منه الى مكانه الطبيعي ، فان مكان الحيتان هو الماء فمتى ما وجدت خارجة عن الماء فسدت وتلاشت اذا زالت عن مكانها الطبيعي والمثل لقلة لبثه ورجوعه الى مكانه الاول من جزء الارض حتى وجد في الهواء بريته ام كان لبثه هناك غير طويل ورجوعه الى مكانه طبيعي سريعاً كذلك نقول : ان قوام الانفس الناطقة انما هو في امكنتها الدينية وعليها قرارها وان ازيلت النفس عن دينها الذي كانت تدين به وتتقلده الى دين آخر وشريعة اخرى كانت الشريعة التي دعيت اليها مكانها الذي تستقر عليه على التبادل ولا تستقيم ان توجد شريعة دينية خالصة عن انفس مستعملة لها ، والانفس ناطقة الاّ في مكانها الديني الذي تتقلده ، وان وجدت النفس لا في مكانها الديني بل ما الى ذلك من (١) تعطيل وزندقة لم تلبث في ذلك التعطيل طويلاً ، بل ربما طرأ الفساد عليها وربما وقفت للتوبة ورجعت الى ما كانت تتقلده وتدين به فإذاً النبوءة سابقة من جهة الامكنة اذ قرار الانفس

(١) سقطت في نسخة س .

على اثارها كما ان قرار الاشخاص على امكنتها وكما ان طبائع المتمكن على حسب طبائع الأمكنة ، فان طبيعة الجنوب الحرارة والغالب على اهله الحرارة ، وطبيعة الشمال البرودة والغالب على اهله البرودة وتكون اغذية كل متمكن على حسب ما يخرجه مكانه الذي يتمكن فيه ، ولا يتغذى بما تخرجه امكنة غير مكانه الا قليلاً كذلك نقول ان النبوءة محيطة بالنفوس إحاطة المكان بالمتمكن فيه على حسب سياسة النبوءة لكل قوم وفي كل عصر تتمثل النفوس لها ويكون استنباطه على حسب ما تؤديه الشريعة من نفسها لا تستلذ النفوس ان تستنبط عن شريعة لا تتقلدها ولا تدين بها .

فإذاً النبوءة محيطة بالنفوس احاطة المكان بالمتمكن وكما ان قدر المكان على حسب قدر المتمكن فإذا كان المتمكن صغيراً كان مكانه صغيراً ، واذا كان كبيراً كان مكانـــه كبيراً كذلك مكان الانفس الذي هو النبوءة فقدره على حسب قوة اثاره ، فان كان القابل من النبوءة النطق كانت النبوءة على قدر موجبه لوضع السياسة الجديدة ، وان كان القابل اساساً كانت النبوءة على قدر موجبه لنشر التأويل ، وان كان القابل متماً كانت النبوءة على قدر موجبه بحفظ الامانة ، وان كان لاحقاً فتقدره فإذا قدر النبوءة التي هي مكان الانفس على حسب قدر المتمكنين فيه من النطقاء والاسس والاتماء واللواحق فمن دونهم ، ولهذا المعنى قيل ان الله تعالى ذكره بكل مكان يعني ان معرفة الله جلّ ذكره في كل دين وشريعة موجودة لا يخلو منه مكان اي لا تخلو شريعة اذ هي اثر النبوءة من الشهادة له بالفردانية ويجوز على ان النبوءة تشهد في وضع كل شريعة للاصول الاربعة بمراتبهم كما شهدت في وضع شريعة الاسلام كما قال جلّ جلاله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يعني ان علم الشرائع وعلم التأويلات غير محجوب عن الاصول الاربعة ما يكون من نجوى ثلاثة ، وهو قبول الناطق بتأييد الأصلين في الستر والكتمان الا هو رابعهم يعني ان هويته وهي الوحدة أوجبت اظهار الرابع وهو الاساس ، ولا خمسة الا وهو سادسهم يعني أوجبت من بعد المتم اللاحق وهو

السادس ، ولا ادنى من ذلك يعني من الثلاثة وهو الاثنان ولا اكثر يعني من الستة وهي السبعة والاثنان والسبعة تكون تسعة الا وهو معهم اينما كانوا يعني ان كلمـــة المبدع تثبت كل مكان ديني كمن والأين من الألفاظ المكانية وليس مكان ديني اظهر من التسعة اللذين هما الاساسان والاتماء السبعة ، وتحت هذه الآية تأويل اخفى من ذلك في باب اثبات التوحيد وهو ان الثلاثة مع الرابع والخمسة مع السادس يكون عشرة وهو الراجح الى الواحد الذي بدا منه وكذلك الاثنان والسبعة والتسعة التي ليس بعدها الا العاشر الذي هو الواحد فكأنه قال كيف لم يتفكروا في تركيب الاعداد ورجوعها في كل عقد الى الواحد فليس للاعداد نهاية الا بالواحد كما كان ابتداءها بالواحد لان انتهاء كل شيء الى ما فيه بدا كما ان نشوء الحيوان يكون امّا انتقاله من مكانين من صلب الذكران الى ارحام الاناث ، ومن ارحام الاناث الى اجواف الفلك ، ثم حينئذ يصير حيواناً حسّاساً ، كذلك نشر الصور الروحانية تكون بانتقال النبوءة من قلب الناطق الى قلب الاساس ثم بانتقال التأويل من قلب الاساس الى قلوب المرتادين[1] تنشأ الصور الروحانية التي تصلح لدار المعاد ، وكما نشأت الصور الجسمانية التي تصلح للعالم الجسماني بانتقالها من مكانين ، فإذاً امكنة النبوءة موافقة لأمكنة الاجساد الطبيعية .

ثم وجدت اشرف الاماكن امكنة قضاء الشرائع من الكنائس والبيع والمساجد ، فأنه لا يخلو بلد وكورة وقرية عن موضع يتعبد فيه على حسب الدين الظاهر فيما بين اهلها ، وترى الناس يتركون اماكنهم وأوطانهم التي فيها راحاتهم مسرعين الى تلك الاماكن التي فيها نصيبهم وكانت تلك الاماكن لمّا كانت اماكن الديـــن والشريعة راحاتهم مسرعين الى تلك الاماكن التي فيها نصيبهم وكانت تلك الاماكن للدين وللشريعة غلبت الاماكن الطبيعية وقهرتها وصارت الاماكن الطبيعية مسخرة للاماكن الدينية والمثل في ذلك ان مدينة مكة قد يقصد الناس اليها لقضاء الحج مع ما يصيبهم عن ذلك السفر من الشدائد والبلايا ويتركون أوطانهم ومساقط رؤسهم. كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وان الامكنة الموضوعة لقضاء الحج من اجوب البلاد ، لا زرع فيها ولا شجر ولا مياه جارية فلو كان ذلك البلد

(١) في نسخة س وردت المرتدين .

انما غلب البلاد الأخرى من جهة الطبيعة وزينتها لكان العراق اولى بذلك لاعتداله وكثرة نعمته وخصبه ولكن لمّا كان الدين هو الغالب على الاشياء الطبيعيّة ، وكان هذا البلد هو الموضع لركن من أركان الاسلام غلب على جميع البلاد وقهرها حتى اخرج اهلها الى الطعن والمصير اليه ، فقد صحّت النبوءة من جهة الأمكنة على ما بيناه .

الفصل التاسع من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوءة من جهة الكون والفساد »

ان وجوب الكون والفساد في نفس الحكمة لاخراج الاشخاص الغير متجزئة ونمائها غير خفي وترمز الحركات العلويّة من اجل بقاء الاشخاص لبقاء استفادة الطبيعة من النفس الكلية امر ظاهر وظهور اثر النبوة في كون الشخص المعتدل من اجل تكوين اشخاص كثيرة معه اشهر منه وامتناع ظهور جميع اثار النبوءة في دور واحد الاّ بعد فساد ما يتكون في دور الماضي من القابلين لأثر النبوءة غير مدفوع ، فاذا الكون والفساد وهما شيئان لاخراج اشخاص كثيرة يكون فيما بينها شخص معتدل يقوى على قبول النبوءة والاملاك ما يتكون في دور هذا القابل لظهور القابل الآخر للاثر الآخر ، لتظهر حكمة الخالق عز وجل، وانظر في اثار النبوءة كيف احاطت بالاشخاص المكونة عند التكوين وبعد الفساد ، وذلك ان النبوءة في شريعة الاسلام أوجبت — العقيقة — عن المولود وهو ذبح شاة ، وأوجبت على المولود ان يؤدي زكاة الفطر منه ، وان ولد صبحية الفطر ما حكمة العقيقية عنه ، فانه لمّا كان كون كل شيء انمّا يكون بفساد شيء آخر وجب عليك ان تفسد حس حيوان بدل كون الحس في المولود ليعتبر المرتاد عنه ولادته الروحانية واتصال الحياة العلمية به فيعلم عند ذلك انه يجب عليه قتل نفسه الحسيّة وتبديل وتجديد الحياة العلمية فيه ، كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فمن هذه الجهة وضع بإزاء قتل الحسيّة عن الشهوات ذبح الحيوان الحسي عند كون المواد ، امّا حكمة زكاة الفطر عن المولود ، فانا

نشرح في المقالة السابعة في الفصل الذي نذكر فيه ذكر الاسرار المكتومة ، وهكذا شريعة النصرانية فأنهم يغسلون المولود بماء المعمودية ويحلقون وسط رأسه ، وكذلك اليهود يسرعون الى اختتان الاطفال ثم عنه يبعدون(١) الفساد للنبوءة باثار لا يخلو عنها شخص مثل غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم وتجهيزهم وحملهم على الجنائز ، ودفنهم على السنة المسنونة فيهم .

فلمّا وجدت النبوءة محيطة(٢) بالاشخاص الكائنة الفاسدة عند الكون والفساد وكانت النبوءة ثابتة من جهة الكون والفساد لا يحدث بغتةً بلا زمان بل جزءاً بعد جزء ، واستحالة صورة بعد صورة الى ان يعفو اثره ، كذلك كون النبوة لا تحدث بغتةً في قلب النبي بل جزءاً وعملاً بعد عمل وزيادة بعد نقصان ونقصاناً بعد زيادة الى ان يكمل كونها فتظهر مصورة محلاة فلا تزال في ارتفاع الى ان تبلغ منتهاه في الرفعة وكذلك فساد اثار النبوءة التي هي الشريعة الواحدة لا تظهر بغتةً بل جزء بعد جزء وخلافاً بعد خلاف وتركاً بعد ترك واستحقاقاً بعد استحقاق الى ان تندرس بعض اثاره ، ثم لا يزال في انحطاط الى ان تبلغ منتهاه في الصفة التي هي سبب كون شريعة اخرى ليظهر اثر آخر من اثار النبوءة تشرب به الانفس المتحدة بالاشخاص المتكونة .

وان اردت ان تعلم ان للكون علتين علة طبيعية وعلة دينيّة ، والعلة الدينيّة أقدم وأشرف من العلة الطبيعيّة امّا العلة الطبيعيّة فحركة الاجرام العلويّة ونفوذ سهامها في كل مكون ، وامّا العلة الدينيّة فلزم الدين على كل عاقل مميز فلم يرض صاحب الدين والشريعة بالكون الطبيعي ولم يترك الناس على تكوينهم الطبيعي حتى دعاهم الى قبول الدين فمن قبل منه ذلك تركه على التكوين الاول الطبيعي ، ومن ردّ عليه ولم يقبل منه أسرع اليه الفساد الديني وهو قتله قبل وقت نزول الفساد الطبيعي به ليعلم الباحث المسترشد(٣) ان تكوين الدين اقوم من التكوين الطبيعي ويتقن ان من جحد بالعلة القديمة وهي الدين لم ينفعه الاقرار بالعلة الاخيرة وهي الطبيعة ، ومن اقر بالعلتين جميعاً فقد فاز بخطواته ذلك هو الفوز العظيم ، فقد بان ان النبوءة ثابتة من جهة الكون والفساد .

(١) سقطت في نسخة م .
(٢) وردت في نسخة س محتاطة .
(٣) في نسخة س وردت المرشد .

الفصل العاشر من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوة من جهة التضادد والاختلاف »

ان وجود التضادد والاختلاف في اجزاء العالم يضاف كلها الى صانع واحد . وان كان فريق من الناس وقالوا بالإلهية لاثنين مستدلين على ذلك بوجود التضادد والاختلاف في المصنوعات ، فان اضافتها جميعاً الى صانع واحد اثبت للحكمة وأظهر للقياس واحكم للصنعة كذلك نقول: انما وجود التضادد والاختلاف في شرائع الرسل يضاف كلها الى مرسل واحد اذاً فاضافتها جميعاً الى واحد اثبت للقدرة واحكم للسياسة وان بوجود التضادد في مواليد العالم يثبت البقاء للاشخاص لظهور اثار النفس كذلك بوجود الاختلافات في الشرائع يثبت تجديد الرسالة للرسل الباقين لظهور اثار السابعة فاعرفه ، وان الضدين هما اللذان ينافي احدهما صاحبه ولا يثبت معه كذلك الشريعة الناسخة تنفي احكام الشريعة المنسوخة وتبطلها كما ان الضدين لا يضاف احدهما الى صاحبه فيقال خير الشر وشر الخير وحق الباطل وباطل الحق وضلالة الهدى وهدى الضلالة كذلك الشريعة الواحدة التي هي النبوءة لا تضاف الى شريعة اخرى فيقال اسلام النصرانية او نصرانية الاسلام او نصرانية اليهود او يهودية النصرانية .

وايضاً فانه اذا جاء رسول فأمرنا ونهانا بما يضاد اوامر الرسول الاول ونواهيه مع اقراره بان الرسول الاول رسول من الله خلقه مثله ، وان الحرام الذي حرمه على امته صار حلالا والحلال صار حراماً ، والحلال ضد الحرام كان من ذلك إثبات نبوءته لانه ان جاء بما جاء الرسول لم ينجع قوله في قلوب اصحابه ولم يظهر شرفه شكّ الناس في صحته من انه جاء من عند الله وحسبوه كالشيء الضروري الذي لا يزول عن جهة ، فإذا جاء الرسول الثاني بما يضاد الرسول رفع حال الضروري عنه ولزم طلب حقيقته وكانت الحكمة هي التي أوجبت ان تكون الشرائع كلها مختلفة ليكون ذلك دليلاً على إثبات الرسالة فصارت كل شريعة موجبة للاختلاف وحسب الاصل الموجب للشرائع الكثيرة وقوع الاختلاف فيها وانها عند الفحص ترجع الى الاصل الواحد والحقيقة الواحدة ومثال ذلك الاختلاف فالواقع في الامة في اعمال الشريعة واصولها حتى يقول فريق في شيء بشيء يراه ويستصوبه ، ويقول الفريق الآخر في ذلك الشيء بعينه خلاف قول صاحبه وكلا الفريقين ينسبون أقاويلهم الى صاحب

الشريعة ويروون فيه روايات مثبتة لاقاويلهم ، فلو لم يكن للقولين المختلفين المتضادين اصل يرجع اليه بلا اختلاف لما امكن لاحد من القولين المختلفين المتضادين اصل يرجع اليه بلا اختلاف ولما امكن لاحد من القولين اثبات ، كالأضداد المولودة في اجزاء العلة من جهة الكيفيات(١) المختلفة فلو لم يكن لها جوهر عملها ويكون ثبات الاضداد بها لما امكن لضد ان يثبت ولا لضد آخر ان يفسد الضد الاول ويقوم مقامه ، ولكن لمّا كان جوهر حامل الاضداد المحمولة على الجواهر الموجبة لظهور الحكمة في المواليد امكن ظهور الاضداد في اجزاء العالم وأشخاصه ، كذلك لو لم تكن حقيقة ترجع الاقاويل المختلفة اليها عند الفحص ويكون قوام الاختلاف بها لما امكن الاختلاف ، والاختلاف ان يثبت ، والاختلاف الآخر ان يظهر مفسد للاختلاف الاول ، ولكن لمّا كانت الحقيقة موجودة حاملة الاختلافات لظهور الحكمة في انفسها امكن ظهور الاختلافات المحمولة على الحقائق وأيضاً فان موجود المتضادد والاختلافات في الشرائع اثبت لرسالة الرسل لانـــه ان كان الرسول الآتي يأمر بما امر به الرسول الماضي ، وينهي عمّا ينهي عنه كان واجباً عليه ان يستعمله ولا يترك شيئاً منه واذا كان واجباً عليه استعمال ما امر به الرسول الماضي وينهي عنه كان حكم الرسول الماضي جارياً عليه ماضياً فيه وليس مــن الحكمة ان يكون حكم المفضول جارياً على الفاضل فلا خلاف ان الرسول الآتي افضل من الرسول الماضي على ما تستوضحه في بعض فصول هذا الكتاب ، فإذا كان الفضل للرسول الآتي على الرسول الماضي كان من الحكمة ايضاً ان يضاد شريعته شريعة الرسول الماضي ليكون استعماله لها بنفسه ووضعه من الشريعة فإذاً التضادد والاختلاف في الشرائع ممّا يثبت ان رسالة الرسل اذاً اتفاقها ممّا يسقط مراتب الرسل فقد صحّت النبوءة من جهة التضادد والاختلاف .

وكما انه من اجل وضع الاختلاف والاشخاص ونظمها ظهرت حكمتها ومنفعتها اذ ترى ببعضها لحماً وبعضها عظماً وبعضها عصباً وبعضها شعراً وبعضها دماً وبعضها مخاً وبعضها قلباً وبعضها كبداً وبعضها طحالاً وبعضها رجلاً وبعضها رأساً وبعضها علواً وبعضها سفلاً وبعضها يميناً وبعضها شمالاً فانه لو كان الشخص في طبيعة واحدة ونظم واحد لما ظهر شيء من الحكمة الموضوعة فيه ولما ظهر شيء

(١) وردت في نسخة س العيبيات .

من منفعته كذلك من اجل اختلاف الشريعة في الوضع والترتيب ظهرت حكمتها ومنفعتها اذ بعضها صلاة وبعضها صوماً وبعضها زكاةً وبعضها جماداً وبعضها جهاداً ، ومن الصلاة ترى بعضها اربعاً وبعضها ثلاثاً وبعضها اثنين وبعضها قياماً وبعضها ركوعاً وبعضها قراءة وبعضها تسبيحاً وبعضها تكبيراً وبعضها تسليماً كذلك كل عمل من اعمال الشرائع من الزكاة والحج والقيام مختلف الوضع والهيئة كاختلاف وضع الاشخاص وهيئتها فانه لو كانت الشريعة واحدة في وضع واحد وترتيب واحد لما ظهرت حكمتها ومنفعتها ، فلمّا وافقت الشريعة الوضعية والاشخاص المكونة الطبيعية في باب اختلاف الاوضاع والهيئات علم انها من تدبير من قدر تكوين الاشخاص اذ ساواهما في باب الاختلاف . كما قال عز وجلّ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ولذلك خلقهم يعني وللاختلاف وخلقهم ليظهر حكمته .

ثم ما من ضدين الأ واحدهما افضل من الآخر ووجود الادنى يثبت الافضل كالخير والشر والحق والباطل والعدل والجور والحلم والسفه والنور والظلمة والهدى والضلالة ولا يمكن ان يوجد شيء الأ بوجود ما هو خير منه ولا باطل الأ بوجود حق ولا وجود جور الأ بوجود عدل ولا سفه الأ بوجود حلم ولا ظلمة الأ بوجود نور ولا ضلالة الأ بوجود هدى ، وقد وجد العالم كله مملوءاً من البدع والضلالات المخترعة من قبل الابالسة المضلين فوجب ان يوجد الدين الحق الظاهر من قبل الرسل ووجب وجود الرسل واذا وجب وجود الرسل وجب وجود الرسالة فقد صحّت النبوءة من جهة وجود ضد دين الحق وهو الضلالات المخترعة والبدع المؤسسة وان الحكماء قسموا الضد ثلاثة اقسام: فقالوا : امّا ان يكون الضدان تحت جنس واحد كالسواد والبياض الواقعين تحت اللون وامّا ان يكون تحت جنسين مختلفين كالعدل والجور الواقعين تحت الفضيلة والرذيلة وامّا ان يكونان هما الجنسان كالفضيلة وضدها وهو الرذيلة للتضاد والاختلاف الموجودان من قبل النبوءة وينقسم الى ثلاث اقسام : امّا ان يكون الضدان تحت جنس واحد وهو لوجود الاختلاف في الشريعة الواحدة كالصوم للمقيم والافطار للمسافر الواقعين تحت شريعة الاسلام ، وامّا ان يكون تحت جنسين مختلفين كصوم شهر رمضان لأهل الاسلام وافطاره للنصارى واليهود وامّا ان يكونا هما الجنسان كاختلاف شريعة الاسلام بكليتها عن شريعة النصرانية. فقد ثبت ان النبوءة ثابتة من جهة الاضداد الطبيعية اذا وافقتها مثلاً بمثل فاعرفه .

الفصل الحادي عشر من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوءة من جهة الاضافة »

ان الاضافة كما قالت الحكماء هي نسبة شيئين ، ثبات كل واحد منهما بثبات صاحبه الذي ثباته بثباته يدور عليه ولا ينافيه كإضافة الأب الى الإبن والإبن الى الأب والسيد الى العبد والعبد الى السيد وما اشبهها فانه لا يقال ابن حتى يكون أب ولا أب حتى يكون ابن ولا سيد حتى يكون عبد ولا عبد حتى يكون سيد ولا ضعف الأ ويكون نصف ولا نصف الأ ويكون ضعف كذلك النبوءة تثبت اشياء كثيرة مضافة كلها اليها وهي مضافة ايضاً اليها كإضافة النبوءة الى ما اوجبته من الاقرار بالبعث والثواب والعذاب واستعمال الشرائع المختلفة مثل الصلوات المختلفة والزكاة والصيام [1] جميعاً ممّا يضاف الى النبوءة والاعمال الكثيرة التي مقصودها جميعاً ممّا يضاف الى النبوءة ، وان ممّا اوجبته النبوءة ايضاً الكف عن الدماء والاموال والاعراض التي بها قوام العالم وحفظ المهج والاملاك ووقوع الامان ووجوب الحدود المعلومة على من ارتكبها ومد يده الى ما حظر عليه فلو لم تكن النبوءة بوجوده دعت الناس على السن الانبياء الى الاقرار بالصانع الذي صنعه وصنع العالم لما فيه امكنه الاقرار به ، وان كان ممكناً لبعض الناس ان يستدل بفطرته وفطرة العالم على ان لها فاطراً فانما يمكن الواحد من الناس بعد الواحد للكثير الذين تجدهم مقرين به من جهة النبوءة ، وانك تجد اهل العالم بأسره قد اقروا بالصانع من جهة رسلهم الذين قلدوهم امر دينهم فإذاً النبوءة مضافة الى الاقرار بالصانع والاقرار بالصانع مضاف الى النبوءة لانه اذا ثبتت النبوة ثبت الصانع واذا ثبت الصانع ثبتت النبوءة.

وهكذا البعث بعد الموت انما هو من اثار النبوءة ودعوة الانبياء صلوات الله عليهم فانهم ان كان الاقرار به انما يكون من قبل الاستدلال والاستنباط [2] كان من الاستدلال به اقل من الاستدلال باثبات الصانع اذ مقدماته ابعد من الاوائل البرهانية واقرب الى الثواني المستنبطة وترى اهل العالم من جهة النبوءة قد اقروا بالبعث بعد الموت من جهة رسلهم الذين قلدوهم امر دينهم فإذاً النبوءة مضافة الى البعث والبعث مضاف الى النبوءة لانه اذا ثبتت النبوءة ثبت البعث ، واذا ثبت البعث ثبتت النبوءة.

(١) سقطت بنسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

وهكذا الثواب والعقاب وإثباتهما من دعوة الانبياء والنبوءة اوجبّها وأظهرتها حتى وقعت من اجلها الرغبة والرهبة[1] والاستدلال بإثباتهم ابعد وأصعب من الاستدلال بالبعث ويكون كثير من الناس مقرين بالثواب والعقاب من جهة رسلهم الذيـــن قلدوهم امر دينهم ، فإذاً النبوة مضافة الى الثواب والعقـــاب ، والثواب والعقاب مضافان الى النبوءة لانه قد ثبتت النبوءة بذلك .

وهكذا الشرائع المختلفة مثل الصلاة والزكاة وجميع الاعمال الحسنة انما هي مضافة الى النبوءة ، والنبوءة أوجبتها وأظهرتها ، فلو لم تكن النبوءة موجبة لاستعمالها لكان حال الناس في باب الاهمال كحالة البهائم والانعام سواءً فلمّا وجدت النبوءة وجدت الاعمال الحسنة لازمة على الجوارح في كل وقت ، وتكون عبادة الله جل جلاله قائمة في العباد[2] والبلاد ، فإذاً النبوءة مضافة الى الاعمال الحسنة ، والاعمال الحسنة مضافة الى النبوءة ، واذا ثبتت الاعمال ثبتت النبوءة ، واذا ثبتت النبوءة ثبتت الاعمال الحسنة .

ثم وجدت وقوع الصلاح وكف الناس بعضهم عن بعض من جهة العقل الموجب لذلك كان وجوده قليلاً لان وجود الخير من الناس المستعمل عقله فيما اتى وندر غير كثير ووجدنا اناساً كثيرة يكفون عن الناس بإثارة النبوة والاقرار بان الانبياء موجودين فاذاً النبوءة مضافة الى كف الناس بعضهم عن بعضهم وكف الناس بعضهم عن بعض مضافاً الى النبوءة .

وان المضاف ينقسم قسمين : النظير وغير النظير ، امّا النظير فكالشريك والشريك كالصديق والصديق كالعدو والعدو كالسيد ، والضعيف كالنصف ، كذلك النبوءة فيها النظير وغير النظير فالنظير كالنبي وان النبي القائم في الزمان مضاف الى النبي الماضي اذا اوعز الى امته الاقرار به والنبي الماضي مضاف الى النبي القائم في الزمان اذا بشر امته بمجيئه ، وامّا غير النظير فكإضافة النبوءة الى الاقرار بالصانع والاقرار بالبعث والثواب والعقاب والاقرار بالصانع وبالبعث والثواب والعقاب مضافة الى النبوءة فقد يثبت ان النبوءة ثابتة من جهة الإضافة .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت في نسخة س البعاد .

الفصل الثاني عشر من المقالة الثالثة :

« في اثبات النبوءة من جهة الافعال »

ان الافعال التي دون الفلك لا تكون الاّ بالحركات والافعال وعددها ثلاثة : فعل طبيعي وفعل ارادي وفعل ناموسي شرعي ، فأمّا الفعل الطبيعي فانه في كل وقت كنبض[1] العروق وما اشبهها ، وامّا الارادي فانه في بعض الاوقات دون البعض عند وقوع الحاجة اليه كإظهار الصناعات وامّا الناموسي فانه شبيه بالفعلين اللذين ذكرناهما من الطبيعي والارادي ، وذلك ان منه ما يجب ان يفعل في وقت دون وقت كالفعل الارادي ومنه ما لا يزول عن ذلك الوقت الآخر كالفعل الطبيعي وهي الاعمال الواجبة على الجوارح ، والطبيعي هو لقوام الابدان ، والارادي هو لجميع مصالح الابدان والفعل الناموسي انما هو لقوام الأرواح ولجميع مصالحها جميعاً ، فإذاً الفعل الناموسي اعم نفعاً وأظهر حكمة من الفعل الطبيعي والفعل الارادي ايضاً فان وجدنا الافعال دالة على الفاعلين وعلى مقدار فضل الفعل وشرفه يكون فضل الفاعل وشرفه فانه متى وجدنا قصرًا اميناً وكتاباً مكتوباً فان بناء القصر وكتابة الكتاب يدلان على نفس الباني والكاتب وعلى مقدار الجودة البنائية ، والكتابة على مقدار شرف الكاتب ، كذلك نقول انّا متى وجدنا اهل ملة ظاهرة قد امتلأ العالم منها ومن منتحليها علمنا ان لها صاحباً قد اسسها وبناها وجمع الناس تحتها وهو الرسول الى اهل تلك الملة فعلى قدر ما يكون شرف صاحبها ، ولمّا وجدنا الاسلام ملـــة ظاهرة وقد امتلأ العالم من منتحليه علمنا انه فعل فاعل ، وعلى مقدار شرف ملة الاسلام على سائر الملل يكون شرف صاحبه على سائر الرسل .

واذا اردت وفقك الله للخيرات ان تقف على شرف النبوءة وفضلها فانظر الى افعالها كيف تبقى بعد مفارقة صاحب الملة للعالم وقد تأثرت في نفوسهم قبول ملة اكثر من تأثيره في نفوس القوم الذين شاهدوه وكذلك تأثيرها في نفس القرن الثالث اكثر من تأثيرها في نفوس القرن الثاني وليست الافعال الطبيعيّة باقية ما دامت الطبيعة قائمة على حالتها ، فاذا زالت الطبيعة عن جهتّها انقطعت افعالها ، فلا تظهر تلك الافعال الاّ بوجود الطبيعة التي كان وجود الافعال بوجودها ، فكذلك الافعال

(١) في نسخة س وردت كنبط .

الارادية مثل الباب والمنجور[1] والقصر المبين فانها اذاً مرسلة رسلاً ليكون لتلك الافعال الارادية التي كانت من النجّار اثر باق متحد بالطين والخشب فلا يظهر منها قصر وباب الاّ بوجود باب آخر ونجّار اخر ولا يحتاج في فترة الافعال الناموسية في القرن الثالث من دون صاحب الملة الى وجود صاحب الملة ، فإذاً الافعال الناموسية اشرف وأفضل من الافعال الطبيعية والافعال الارادية ، وكما ان الفعل يكون اولا من الفاعل وهو قوته وقدرته مع سائر قواه ثم يكون المفعول في الاثر وهو الذي صار المفعول بقبول ذلك الاثر من الفاعل على قيمة فاق بها على سائر من لم يقبله كذلك نقول ان النبوءة تكون اولاً في النبي وهي قوته وقدرته التي بها يصنع الشريعة ويقبل الوحي والتأييد من الأصليين ثم يكون من قوته وهو اثره الذي صار لأمته بقبول ذلك الاثر منه قيمة فاق امته بها على سائر من لم يقبل ذلك منه الاّ ان الفاعل انما يظهر شرفه اذا ظهر فعله كذلك يكون للنبي في اظهار النبوءة[2] المتأثرة في قلبه من وحي الله تبارك وتعالى آلات بها يمكنه اظهار النبوءة وهي الاعمال الشرعية والاقاويل المؤلفة المنطقية ، ثم ان لكل فاعل اذا اراد ان يفعل شيئاً ما ان يزيد فيه او ينقص منه الى ان يتم عمله كذلك يكون للنبي ان يزيد في الشريعة ما شاء فيثبتها او ينقص عنها ما شاء الى ان تكمل شريعته فيه على الحقائق كما قال جلّ جلاله : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ وهذه خاتمة المقالة الثالثة ... والحمد لله الموفق ... والشكر للملهم .

(١) في نسخة س وردت المجنور .
(٢) وردت في نسخة س الانبياء .

المقالة الرابعة

في اثبات النبوءة من جهة الأشياء الروحانية

الفصل الأول من المقالة الرابعة :

« في ان في نفس الحكمة وجوب الرسالة »

ان من الحكمة اختيار الاصلح للكل والاجدر للنفع عليهم ، كما كان من الحكمة ارقام الافضل من الدرجة الدنيا الى الدرجة القصوى لتكون الفضائل المفاضة بها اعني الحكمة موجودة فيمن انتهت اليه صفوة العالمين وهو الانسان الصافي المؤيد بروح القدس ، فإذاً اختيار الرسل مع كثرة ما ظهر من نواميسهم لهذا الخلق العظيم وسبكون البر والفاجر على أقاويلهم وكثرة المنافع المجدية عليهم من جميع احكامهم وشيئاً من الحكمة البالغة وأرقاء الرسل عن درجة المشاركين معهم في الصورة والشخص الى الدرجة الثانية المقدرة لهم لاستقرار الفضائل المضافة من نور كلمة الله تعالى ايضاً من الحكمة ، فإذاً وجوب الرسالة لظهور الرسل من الحكمة[1] ، ولمّا كانت الرسالة هي التي شبهت الحكمة من جهة تسمية العلم والعمل فان الحكماء قسموا الحكمة الى قسمين : وهما العلم والعمل كذلك الرسالة منقسمة الى قسمين : العلم والعمل على الشريعة الذي دعا الرسول اليه وحث الناس على استعماله ووعد بالثواب عليه في قوله : ﴿ قُلْ انَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ والعلم الذي فرض على الخلق طلبه ومدح صاحبه وهجا تاركه في قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

(١) في نسخة س وردت الاحكام .

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ ، فلو لم تكن الرسالة في نفس الحكمة ما اشبهها كل هذا التشبيه ، وان نظرت في اقسام العلم والعمل وجدت الرسالة توجب مثل تلك الاقسام بعينها .

وان الحكماء قالوا ان العلم ينقسم الى ثلاثة اقسام : احدها علم اللاهوت وهو المسمّى عندهم العلم الاعلى وهو معرفة الله عز وجل ومعرفة ملائكته ، والثاني العلم الأوسط وهو معرفة علم التنجيم وحركات الاجرام العلوية ، والثالث العلم الادنى وهو علم الطب والصناعات ، ثم قسموا العمل ايضاً ثلاثة اقسام : منها سياسة العامة وسياسة الخاصة وسياسة الحاقة ، كذلك الرسالة أوجبت معرفة الله جل جلاله ومعرفة ملائكته والايمان بهم وأوجبت ايضاً معرفة السموات والنجوم والارض ، ومدح المتفكر فيها في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ وكذلك أوجبت معرفة الابدان وما فيها من المنافع والمضار في قوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ وكذلك أوجبت سياسة العامة مثل تعييد الأعياد والجمعات والجماعات والاجتماع بمكة عند المشعر والحرام وأوجبت سياسة الحاقة وهو تأديب الرجل اهل بيته وأخذ نواصيهم اذا خرجوا عن الطاعة . كما قال جلّ جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ يعني علّموهم وأدّبوهم وأوجبت سياسة الخاصة وهي سياسة المرء نفسه مثل قص الشعر وتقليم الاظافر والغسل والتطهير (١) والتطيب والامساك عن الطعام والشراب في بعض الاوقات دون بعض فاذاً كانت الرسالة توجب ما اوجبته الحكمة من قسميها ومن اقسام كل قسم كانت الرسالة اذاً في نفس الحكمة اذ لم تخالفها في شيء من الاشياء فاعرفه.

(١) في نسخة م وردت والطهر .

وأيضاً فان الحكمة هي التي تمنع الانسان عن اشياء كثيرة ممّا تهواه نفسه وتأمره باشياء كثيرة ممّا تكرهه النفس ، ثم وجدت الرسالة تفعل مثل هذا الفعل وذلك انها تأمر الانسان بالطاعات واستعمال الجوارح بالحمل على النفس وتنهاه عن المعاصي والاشياء اللذيذة المشتهاة فعلم انها كانت في نفس الحكمة اذ نحت نحوها في باب الاوامر والنواهي (١) ، ومن شأن الحكمة ان تزهد المرء في الدنيا وتريه استحالتها وتغيرها في احوالها وأزمانها المسعدة والمنحسة وترغبه في الآخرة وتريه شرفها وبقاءها وبقاء صورها وكثرة نعمها وبهجتها كذلك الرسالة تزهد الخلق في هذا العالم وترغبهم في دار البقاء وتقرر لديهم فضلها وشرفها على الفانية الزائلة . كما قال جلّ جلاله : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾.

فاذاً الرسالة توجب ما اوجبته الحكمة اذ وجوبها في نفس الحكمة وان لم يكن وجوب الرسالة في نفس الحكمة فلا وجوبها اذاً في نفسها وليس من لا وجوبها بممكن ان تظهر شيئاً من هذه الفضائل التي ظهرت بوجوبها في نفسها وهي اذاً اعني الحكمة في نفسها وجوب عدم الفضائل وليس في نفس الحكمة الاّ ما يوجب وجوب الفضائل في نفس الرسالة فإذاً وجوب الرسالة في نفس الحكمة ولا وجوبها الذي يعدم الفضائل في نفس الحكمة فان قال قائل: وما الفضائلَ الموجودة في نفس الرسالة ؟ قيل له: ان كانت الحكمة هي التي أوجبت اظهار الاشخاص غير المتجزئة وعنايتها في الحي الناطق أوكد وأظهر من عنايتها في سائر الاشخاص الحيوانية (٢) والنباتية ، ثم غير ممكن ان يظهر هذا الحي الناطق لا من جهة الحكمة وقوتها وكان ثباته في هذا العالم بعد التكوين والظهور من جهة سياسة الرسل عن السنة الرسل كان وجوب الرسالة الى سياستها تثبيت البقاء للاشخاص في نفس الحكمة اذ ظهور الاشخاص من جهة التكوين لم يكن الاّ من قبل الحكمة وإبقاء الشيء بعد صنعته احق والقدرة فيه أوسع فإذاً الرسالة في نفس الحكمة فإن جاز ان تقول ان وجوب الرسالة ليس في نفس الحكمة مع ظهور فضلها وشرفها وحفظها وسياستها للحي الناطق الذي هو الانسان جاز ان يقول قائل: ان وجوب الانسانية ايضاً ليس في الحكمة مع ظاهر فضلها وشرفها وحفظها وسياستها للحيوان غير الناطق فلمّا امتنع

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

واستحال ان يكون ظهور الانسان غير واجب في الحكمة لسياسة من دونه من الحيوان وامتنع ان يكون ظهور الرسالة ايضاً غير واجب في الحكمة لسياسة من دونها من الحي الناطق الذي هو البشر فقد ثبت ان وجوب الرسالة في نفس الحكمة كما كان وجوب الانسانية في نفس الحكمة .

ونجد بين الرسالة والحكمة تشابهاً من وجه آخر وذلك ان الحكمة منقسمة الى العلم والعمل ، ثم ان العلم منقسم الى العلم الاعلى والعلم الأوسط والعلم الأدنى وثم ان العمل منقسم الى سياسة العامة وسياسة الحاقة وسياسة الخاصة ، كذلك الرسالة منقسمة الى العلم والعمل وعلم الرسالة منقسمة الى ثلاثة اقسام: احدها: التأويل وهو شبيه بالعلم الاعلى ، والثاني: علم الكلام وهو شبيه بالعلم الأوسط والثالث: علم الفقه وهو شبيه بالعلم الادنى ، وكذا العمل ينقسم الى قسمين : احدها : عمل في الاموال وهو شبيه بسياسة العامة والثاني: عمل على الابدان خاصة وهو شبيه بسياسة الخاصة. فإذاً النبوة واجبة في نفس الحكمة على ما قدمنا عليه القول ولا خلاف بين اهل العقل وان كل شيء كان من شيء فإنه يشبهه في جميع الوجوه ولهذا المعنى استشهد ناطقنا عليه السلام بالآفاق والانفس التي لا يشك احداً في انها بالحكمة ابدعت وخلقت فلو لم تكن في الحكمة لوجوب رسالته شاهدة ما استشهد بها فلمّا وجدناه يستشهد بكل شيء من العالم والانفس على صدق نبوته ولم يتهيأ لاحد ان يرد عليه قوله لو يجتهد في دعواه شيء يكذب استشهاده بهما علمنا ان وجوب رسالته في نفس الحكمة اظهر من وجوبها في نفس العالم وقد امره الله تعالى ذكره ان يدعو الخلق بهـا في قوله : ﴿ أدْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وكما ان في الحكمة كفاية لكل مطلب ولا تعجز الحكمة عن اعطاء كل ذي حق حقه من غير بخس وتضع الاشياء مواضعها التي تليق بها فتنزلها منازلها لتبلغ الاشياء مبلغها وغايتها فلا تضيع الحكمة ولا تبطل الصنعة كذلك الرسالة فيها كفاية لكل وقت وزمان ولا تعجز الرسالة عن وضع اشياء ناموسية شرعية لصلاح الخلق على مقدار الوقت والزمان ليكون البشر تحت ظل سياستها باقياً وينال ببركتها ما يسعد به في اولاه وعقباه وقد خاطب الله تعالى ذكره بهذا المعنى الناطق عليه السلام اذ

جعل رسالته كفاية لاهل دوره والناشئين في ملته فقال : ﴿ وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني ان في رسالتك التي ارسلت بها كفاية لمن تنذرهم من الطاغين الجاحدين ولمن تبشرهم من المعتبرين المؤمنين فإذاً كانت الرسالة مثل الحكمة في انها كفاية لكفاية الحكمة وكان وجوب الرسالة في نفس الحكمة وكما ان الحكمة يقال في الصنعة ويقال في الكلام ما اكثر حكمة هذه الصنعة وما اكثر حكمة هذا الكلام كذلك الرسالة توجد في الوضع والشريعة[1] وتوجد في الكلام والتنزيل فيقال ما اكثر حكمة هذا الكلام المنزل على قلبه فإذاً الرسالة توجب الحكمة من هذا الوجه وعلم ان وجوبها في نفس الحكمة وبان ان في نفس الحكمة وجوب الرسالة .

الفصل الثاني من المقالة الرابعة :

« في ان أول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع سبحانه وتعالى »

لو سبق العقل شيء دون المبدع ومعرفة جلّ جلاله لم يكن عقلاً ولا استحق اسم العقلية ، فان العقل انما قام اولاً بابداع المبدع ليعرف من دونه اولا سبحانية عن صفات كل موصوف وسمات كل منعوت ، فكان نفي الصفات والإضافات عن المبدع جوهرية العقل التي حدثت عن الابداع ، وإثباته لمن ابدعه وتعريفه لمن دونه من التالي والحدود العلوية والسفلية بان جوهريته التي هي النفي لم تكن لتعطيل الالهية عن المبدع بل تثبيته مجرداً عن صفات المبدعات والمخلوقات فلم يسبق هذا التعريف في العقل شيء بل هو اول رسالة يؤديها عن المبدع الى الخلق ليعبدوه حق عبادته وينزهوه عن سمات بريته ولا يشركوا به من دونه في ربوبيته ، ويدلك على ذلك فعل الناطق عليه السلام الذي هو خليفته ، انه هو خليفة السابق في العالم الجسماني وان اول رسالته التي اداها الى الخلق شهادة ان لا اله الاّ الله قبل سائر رسالاته فلو كان شيء افضل من تعريف الخلق معرفة الله جلّ جلاله لكان الناطق عليه السلام يبدأ به فلمّا قدمها على سائر رسالاته ادّاها الى الخلق وهو خليفة السابق علمنا انه احتذاء بفعله فعل السابق اذ اول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع اذ لم يسبق هذا التعريف شيء في الفضل والشرف ، فقد

(١) سقطت في نسخة س .

ظهر ان اول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع وكما ان الأولية سابقة ، في العقل لم ينلها غيره وكانت اوليته سابقة على كل ايس عند التعريف فلا يمكن توهم معروف من جهة العقل الاّ ان تكون معرفة اوليته مقدمة عليه غير مؤخرة عنه فالذي جاد بالأولية عليه وحظرها على غيره اولاً بان يكون تعريف جلالته عند المخلوقين من جهة السابق مقدماً على كل تعريف .

فإذا اول رسالته معرفة من ابدعه وكما ان النفس معلولة العقل ثم يكون اول ما تقدمه من المقدمات لإدراك المعلومات من الثواني المستنبطة انما هي الأوائل العقلية وما لم تتقدم الاوائل العقلية في ادراك ثواني لم يمكنها ادراك الثواني من جهة الاستنباط كذلك السابق ما لم يؤدي من نفسه اولاً معرفة المبدع من جهة النفي والإثبات اللذين بهما قوام التوحيد لم يكن لرسالته التي يؤديها قوام البتة الاّ بعد إداء تلك الرسالة وهي معرفة المبدع ، اذاً فأول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع اذ ان معلوله الذي هو أنقص منه انما ابتدأ في اداء رسالته في باب الادراك بالأوائل العقلية التي هي علته فاعرفه ، ولو ادّى العقل شيئاً من رسالته قبل معرفة المبدع لوجد شيء بسيط أو مركب لا يدل على وحدانية المبدع وتنزيهه عن سمات المربوبين وليس شيئاً من البسائط والمركبات الاّ وفيه دلالة على تقديس الخالق والمثل في ذلك انّا لو نظرنا في ادنى مخلوق محسوس طبيعي فانّا لا نحيط بكليته وما فيه من الوزن والمساحة والطبع والكيفيات والعلل والأيسيات والخواص بل هو فيه ما وراء معرفتنا وتجاوز علمنا وان الذي ادركنا منه فانما هو نصف انفسنا ولطافة اذهاننا بصفاء انفسنا فعلمنا ان الذي هو وراء معرفتنا انما هو اصفى من صفوتنا والطف من لطافتنا الى ان يبلغ المعارف الى تقديس المبدع الحق .

وقد قال جلّ جلاله مبيناً عمّا اوردناه في هذا الفصل: من ان اول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع وان ما من شيء الاّ ويسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم يعني ليس شيئاً طبيعياً ولا روحانياً الاّ وفيه تسبيح المبدع وتقديسه من جهة حمد الله وهو السابق ، ولكن ليس لنا من القوة والصفوة ان نعلم وجه ذلك فقد ثبت ان اول رسالة يؤديها العقل انما هي معرفة المبدع سبحانه .

الفصل الثالث من المقالة الرابعة :

«في اثبات النبوة من جهة العقل»

ان العقل هو الجوهر المحيط بجميع الاشياء المبروزة فيه والحاكم عليها والقاضي بينها وصار الدهر في افقه ثم وجدنا الرسول محيطاً بجميع الكائنات الموجودة في دوره كلها والحاكم على اهل دوره والقاضي بينهم وصار الزمان مثله في افقها ثم كانت الرسالة مثبتة من جهة العقل ولهذا المعنى اخبر الرسول عليه السلام عن إحاطة رسالته بجميع الكائنات في قوله: ﴿رويت لي الارض فأوريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما رويَ لي منها﴾ وكالاخبار المروية في ذكر الاحداث التي تجري من قبل امته من بعده ولمّا كانت تمامية العقل ان تنبجس منه ثانية ليظهر بانبجاسه صور المركبات والمطبوعات التي بظهورها تمت الحكمة وظهرت الفضيلة اذ لم يكن في التأييد المحض الذي هو ذكر السابق تمامية الشرف متصورة من جهة الزوجية التي هي المقصود من وحدة الباري جلّ جلاله ، فلمّا انبجست منه النفس ظهرت الفضائل والشرف من جهة الزوجية اذ تجسم التأييد المفاض عليها من السابق من جهة نظم المركبات والمصنوعات ثم وجدت الرسالة بتماميتها ان ينبعث من قبل الرسول ثم اساسه ليظهر لانبعاثه صور الحقائق والتأويلات التي بظهورها تمت الحكمة وظهر الدين الخالص اذ لم يكن في التأليف المحض الذي هو ذكر الناطق تمامية الشرف مقصورة من جهة الزوجية المركبة التي هي المقصود من وحدة الباري تقدست عظمته فلمّا انبعث منه أساسه ظهرت الفضائل والشرف المفاضة عليه من جهة العقل اذا وافقته كل هذه الموافقة .

وان اردت اراد الله لك الخير ان يتضح لك في هذا الباب ، فانظر الى سقوط الشرائع عمن عدم العقل لان الرسل صلوات الله عليهم لمّا علموا ان الشريعة عقل مجسم قد سلك طريق التركيب ثم استقر على التأليف ولم يلزموها الاّ لمن كانت غرائز عقولهم صحيحة وأسقطوها عن عادميها لعلمهم بان الرسالة كانت عقلاً لها حدود أربعة شرقي وغربي وشمالي وجنوبي فحدها من مشرقها ما اتصل بالمخصوص بالرسالة من تأييد السابق ومن مغربها ما اطلع على سرائر التراكيب من قبل التالي ومن شمالها ما امر بتأليف الشريعة التي شملت الخلق ومن جنوبها ما امر به بإقامته الاساس ليقع تأويله المجانبة بين اهل الحق والباطل ومن قبله يصح الاجتناب عن

التشبيه والتعطيل ، قال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ فالرجس من الاوثان على التشبيه ، وقول الزور على التعطيل .

ولنذير لما وصفناه دائرة مشتملة على هذه الصورة لتظهر ذلك ونبين ان افضل الرسالة اصلها عقل وقد سلك هذا الطريق المستقيم ثم استقر على التأويل ولم يتعداه. وهذه صورتها :



وان الذي يعدم عقله فيها لا يأمن على بدنه من ان تسقطه المهالك فلا يشعر حتى يتوسطها ولا على ماله فان ماله يحجر عليه ويمنع التصرف فيه الا ان تزول عنه العلة ويرجع اليه عقله ، كذلك الرسالة منزلتها هذه المنزلة لأن لا يكون للمنكر لها عصمة في دمه وماله والمقر بها معصوم الدم والمال وهكذا من جهة الطبع فـان المريض مرجو ما لم يعدم عقله فإذا اعدم عقله كان عدمه من العلامات الردية التي بها حتف البدن فإذاً النبوءة ثابتة من جهة العقل ، ولمّا كانت النبوءة خليفة العقل في العالم الجسماني كانت دعوى الانبياء ودعوتهم الخلق الى كلام الله المنزل عليهم لانهم علموا ان العقل قد ظهر من كلمة الله من غير واسطة فأضافوا النبوءة والرسالة الى كلام الخالق جلّ جلاله وصارت النبوءة علة ما بعدها من الوصاية والامامة والادلاء وحملة العلم كما صار العقل علة ما بعده فمن التالي والهيولى والصورة والتركيب ثبتت النبوءة من جهة العقل .

الفصل الرابع من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة النفس »

لمّا كانت النفس منقسمة الى ثلاث انفس : وهي النامية والحسية والناطقة ، وان لكل نفس منها اشخاص تحل فيها ، فان النامية منها تحل في اشخاص النبات والحيوان والناس ، والحسية لا تنزل في النبات بل تحل في الحيوان والانسان ، والناطقة تحل في الانسان دون الحيوان والنبات ، ثم وجدت الرسالة في اول امرها تشبه النامية في انها تزداد في كل يوم اتباعاً وانصاراً ويعلو امرها ويفوق شأنها الى ان يظهر شرفها وبهجتها كالنفس النامية اذا حلّت في شخص من الاشخاص سواء أكان نباتاً او حيواناً فانها تنميه وتكثره الى ان يظهر جثة قيّم به المقصود من الحلول فيه ثم لا يزال ذلك الشخص في اضمحلال ونقصان(١) الى ان يعفو اثره كذلك الشريعة المخصوصة بالرسالة اذا تمت وظهرت فلا تزال في انحلال وانتقاص الى ان يأتي وقت نسخها وتبديل غيرها وكذلك الرسالة فان افضلها واشرفها رسالة الاسلام التي اشبهت النفس الحسيّة ايضاً وذلك ان الاسلام بناءه على خمسة ابنية وهي الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج كذلك الحسيّة قد أظهرت ذاتها من جهة البصر والسمع والشم والذوق واللمس فصارت هذه المشاعر الخمس مبادئ الافعال ومفاتيح العلوم وكذلك الأبنية

(١) سقطت في نسخة س .

الخمسة من الشريعة قد صارت اعمالاً مفروضات ومفاتيح العلوم والتأويل وهكذا الرسالة قد اشبهت الناطقة اذا اتت بالقرآن المعجز الذي لا يخل شيئاً من ضروب الكلام مثل الامر والنهي ومثل الخبر والاستفهام والمنة والسوآل والنداء والدعاء والترغيب[1] والترهيب وسائر ما يوجد فيه ممّا هو من ابنية المنطق ، فلمّا اشبهت الرسالة في جميع أقسامها اقسام النفس وقواها وأفعالها دلّت على ان النفس قد اثبتتها والرسالة قد اوقفتها ولائمتها ، وللنفس في الطبيعة من الفعل ما لا يخفى ذلك على اهل العلم حتى صيرتها متضادة في جوهرها مستحيلة في جملتها غير ثابتة على حالها بل ترى في متولداتها ما صار في غاية الكدورة بحيث لا ينتفع به انتفاعاً كثيراً وتوجب الرسالة هذا النحو في الطبيعيات فاستطابت بعضها فحللتها واستخبثت بعضها فحرمتها على ان الاستحالة فيما شرعته الرسالة موجودة اذ تصير الحلال حراماً والحرام حلالاً والامر نهياً والنهي امراً ، فتعلم من هذه الجهة انها ثابتة من جهة النفس اذ شبهتها من هذه الوجوه التي ذكرناها .

وكما ان النفس الناطقة لها خمس من الحواس روحانيـــة والظاهرة من الحواس جسمانية ، فالروحانية للعالم الروحاني واستخراج جواهره والجسمانية للعالم الجسماني وقوام مصالحه ومنافعه ، وكذلك الرسالة متوسطة بين حدود عشرة : خمسة روحانية وخمسة جسمانية ، فالحدود الروحانية: على الأصلين والجد والفتح والخيال وهم اسباب بهم يكمل حد الناطق وبهم يصل الى حظه من الوحدة ومن قبلهم يطلع على خزائن العلوم الملكوتية والحدود الجسمانية: على الاساس والمتم واللاحق واليد والجنـــاح وهم اسباب بهم يكمل دعوته وعليهم يدور رحى الدين ومن قبلهم يستقيم امور المرتادين واليهم الرجوع في المعضلات فقد ثبتت النبوءة من جهة النفس اذا وافقتها في القسمة فاعرفه .

والنفس علة الحركات الطبيعيّة ومن قبلها حدثت الحركة الكريّة في الجسم المستدير المحيط[2] بجميع الاجرام المتصرفة في امكنته التي من جهة حركته حدثت الاختلافات بين العالم الطبيعي ، كذلك النبوءة علة الحركات الدينية ومن قبلهـــا حدثت الحركات الملكيّة في دوره ووقعت الاختلافات بين الامم في قبول النبوءة

(١) في نسخة س وردت الرغبة .
(٢) في نسخة س وردت المحاط .

وظهر الاضطراب من جهة تضاد الامم بعضها بعضاً ، ومخالفة بعض الامة بعضها في اصول ملته التي ينتجها وفروعها فاعرفه ، ولمّا كان العالم الطبيعي بلا اختلاف موضوعاً في افق النفس والنفس علته كان واجباً ان يكون السمات اللاحقة ، مثل الكور والدور والقران الاصفر ، انما لحقته من اجل بدء علته عند افاضتها عليه فتكون افاضة النفس في الدور الاعظم على الطبيعة الكلية اضعاف افاضتها عليه في الدور الاكبر وكذلك افاضتها عليها في الدور الاكبر اضعاف افاضتها عليها في الدور الاصغر كذلك النبوءة لها سمات لاحقة بها مثل الرسول[1] والوصي والمتم واللاحق ويكون الذي يناله الرسول اضعاف ما يناله الوصي وما يناله الوصي اضعاف ما يناله المتم وما يناله المتم اضعاف ما يناله اللاحق ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهـــة النفس .

الفصل الخامس من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة الاعداد »

لمّا كان العدد ينقسم الى قسمين : هما الفرد والزوج وكان الفرد لا ينقسم في ذاته بقسمين ممّا يلي العدد بل يكون احد قسميه فرداً والآخر زوجاً والزوج ما له قسمة في ذاتـــه وينقسم الى قسمين مماثلين للعدد كذلك الرسالة قد انقسمت الى شهادتين : شهادة الله المتعالي بفردانيته عن سمات المربوبين وليست له شيء ممّا اظهرته وحدته مماثلة ولا مساوية بل يكون احد الأصلين متحداً بالوحدة اذ هو المخصوص بالأزلية والوحدة المحضة التي لم يشاركه في نيلها غيره والاصل الآخر لم ينل الوحدة بخاصيته الأولية المحضة حتى اذا ازدوج بعلته الذي هو السابق فهو ابداً زوج وسابقه لنيله من جهة علته فرد والشهادة الاخرى التي أوجبت من جهة الرسالة هي الشهادة لنفسه وتؤدي الشهادة لوصيه بالوصاية ، والزوج ينقسم الى قسمين مماثلي العدد اذ هما اعني الاساسين متفقان من جهة دعوتهما لان لكل ظاهر باطن ولكل حق حقيقة ثم العدد ينقسم الى أربعة اقسام : الى الفرد المحض والى الزوج المحض والى الفرد المركب والى الزوج المركب فالفرد المحض[2] ممّا لا نظير له وهو الاثنان

(١) في نسخة م وردت الرسل .
(٢) في نسخة س وردت المحضر .

والفرد المركب والزوج المركب ممّا لها نظير كثير من الاعداد بلا نهاية كذلك الرسالة قد أدّت من نفسها اولاً شهادة الفرد المحض وهي إضافة الخلقة جميعها الى امر الله تبارك وتعالى الذي هو الواحد بالحقيقة بقوله: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ثم شهادة منها للزوج المحض الذي هو الاثنان بالحقيقة بقوله: ان اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فأمره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وشهادة منها للافراد والأزواج المركبات وهو ما يوجد في انواع الشرائع شهادة لكل عدد من الافراد والازواج المركبات اذ منها داران فان اقلها الثلاثة وان بعض الصلوات مبنيّة على ثلاث ركعات(١) كالمغرب والوتر مثل حالات الصلاة على الوجوه الثلاثة من الانتصاب والانحناء والاضطجاع كذلك الوضوء جعل كماله في ثلاث مراتب ، وجعل طلاق النساء ثلاث ووجوب الصدقات في ثلاث واجناس من الحيوان والقرود الثلاثة في عدة المطلقة ثم الاربع موجودة في الفرائض الاربع من الوضوء وفي الصلوات الثلاثة من الظهر والعصر والعشاء الآخرة ونكاح الاربع من الحرائر ثم الخمسة موجودة وفي وجوب الزكاة من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والحبوب وفي عدد الايام الستة التي خلق الله عز وجل الارض والسموات فيها ، ثم السبعة موجودة في الطواف السبع في الحج وعدد الآيات السبع في فاتحة الكتاب التي تقرأ في كل ركعة وفي عدد ابواب جهنم وفي تقسيم القرآن على سبعة اسباع سواء ، ثم الثمانية موجودة في المقدار الذي يجب على الحبوب وهي الامناء الثمانون من ثمانمائة وفي الاصناف الثمانية الذي أوجب الله دفع الزكاة اليهم ، وفي الابواب الثمانية المفتوحة للجنة وفي الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش الى سائر ما يطول الشرح بذكره ان اخذنا فيه وهذا مقدار لمن يريد الإحاطة به بدقة النظر والفكرة الى آخر المعدودات الطبيعيّة .

فلمّا وافقت الرسالة الاعداد من جهة التقاسيم والاعداد موضوعها موضوع حقيقي علم ان الرسالة ثابتة وانها حق وليس شيء من الاعداد سواء كان مركباً فرداً او زوجاً مركباً الاّ وهو موسوم بسمة الواحد فيقال ثلاثة واحدة واربعة واحدة وخمسة واحدة الى سائرها كذلك ليس شيء من الموضوعات الشرعية الاّ وهو مقصود طاعة الواحد المتعالي عن سمات المربوبين والعدد من اقسام الكمية تنقسم الى سبعة اقسام:

(١) في نسخة س وردت ركعتان .

خمسة منها متصلة: وهي الخط والسطح والجرم والزمان(١) والمكان واثنان منفصلان وهما العدد والقول كذلك الرسالة مشتركة بين سبعة نفر: وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والقائم صلوات الله عليهم والاثنان المنفصلان على الطرفين الابتداء والانتهاء وهما آدم والقائم عليهما السلام ، فالعدد على اول النطقاء اذ قد انفصل من دور الكشف ووقع في دور الستر ، والقول على صاحب القيامة وهو ايضاً منفصل لان القائم على ذكره السلام قد انفصل من دور الستر ووقع في دور الكشف والخطر على نوح اذ هو الذي خطّ تأليف الشريعة والسطح على ابراهيم عليه السلام اذ هو الذي سطح في عقبه الامامة والجرم على موسى المتوسط بين النطقاء السبعة والزمان على حد المسيح الذي هو علامة القائم المستعان على الازمنة ، والمكان على حد محمد صلّى الله عليه وآله وعليهم وعلى ملته يمكن الشرائع والاديان وهذه دائرة موافقة لهذه التقاسيم فاعرفه انشاء الله تعالى :

وان بعض الاعداد رسل الى بعض بمعنى ان كل عدد يخبر عن نفسه لعدد آخر معناه وقسمته كالخمسة تخبر العشرة انها نصفها وتخبر الخمسة عشر انها ثلثها والعشرين انها ربعها والخمسة والعشرين انها ثلثها وخمسها وجذرها ايضاً وكالستة انها تخبر الاثني عشر انها نصفها والثمانية عشر انها ثلثها والاربعة والعشرين انها ربعها والثلاثين



(١) سقطت في نسخة س .

انها خمسها والستة والثلاثين انها سدسها وجذرها ايضاً وهكذا جميع الاعـداد . كذلك الرسالة يخبر لصاحبها انه أولهم او ثانيهم او ثالثهم او رابعهم او خامسهم او سادسهم او سابعهم او يخبر نسبته الى الماضي والباقي والعدد مربوط بالاصول الأربعة التي هي الآحاد والعشرات والمئات والالوف ، كذلك الرسالة مربوطة بالاصول الأربعة التي هي السابق والتالي والناطق والاساس فالآحاد منها نظير السابق المتحدة بالوحدة والعشرات منها على التالي الذي من جهته وقع التركيب اذ العشرات تركيب من الآحاد والمئات منها على الناطق الذي من قبله حدثت مائية الشريعة دون الكمية ، والالوف على الاساس الذي من جهته وقعت الالفة بين التأييد والتركيب والتأليف ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة العدد ، وبعد الالف من الاعداد فانها تتكثر بلا نهاية وليس للانسان احاطة بنهايتها وتعسر الوقوف عليها كذلك محصول الرسالة الى القائم عليه السلام ومنه الى العالم الروحاني وثواب الآخرة غير معدود ولا معلوم[1] ولا محدود وليس لاحد ان يقف على كيفية ما يلحق المؤمن من ثواب الله تعالى ذكره ، فإذاً الاعداد قد اثبتت النبوءة من جهة الموافقة فاعرفه .

الفصل السادس من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة الفكرة »

ان الفكرة آلة من الات النفس تستعين بها على الإحاطة بالمعلومات ، وبها تكتسب العقل المكتسب ثم تكون الفكرة في ذاتها مقصورة على الإحاطة بما يحصره قصد التفكير وشوق القصد في غريزتها ثابت ، ثم لا يمتنع على من فوقه بالدرجة والصفوة درك ما قصرت فكره من دونه عن دركه الى ان يبلغ اقصى غاية امكان الدرك من جهة الاستدلال وتجاوز الإحاطة به عن مقدار البشر وديمومة الشر من باقية الى درك ما جاوز مقدار البشر من جهة الاستدلال فوجب ان يكون في نوع الانسانية من يمكنه درك ما قصده شوق التفكير لا من جهة الاستدلال لأن لا يكون الشوق عبثاً وباطلاً فصار المدرك لا من جهة الاستدلال بل من جهة البحث والألهام رسالة وسمي المخصوص بها رسولا وانما وسم المدرك والملهم لا من جهة الاستدلال رسولاً لانه لم يلهم ما خطر على من شاركه في النوع والصورة لا ليجدي نفعه على

(١) سقطت في نسخة س .

المحظورين عنه ولا سبيل الى نيلهم جدواه الاّ باختراع الملهم بـه اوامر ونواهي[1] وطاعات موقتة لهم للصلاح في اولاهم وعقباهم ، فلمّا امتنع الرسول عن اداء الرسالة دون ان يقرنها الى الطاعات كانت اجابة الطاعة عليهم رسالة اليهم وكما ان الفكرة اذا ادّت ما عملت فيه الى حراقة الحفظ امكن اللسان العبارة عنه كذلك الرسالة اذا قدمت في قلب الناطق واستقرت فيه وجب عليه ان يؤديها باللسان كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

وايضاً فان الفكرة اذا صعدت في التفكير في حال الموسومين بالرسالة والنبوءة وجدتهم قوماً يرجعون الى كثرة الانصار والاتباع فارتابت في امرهم وصدقهم البعض وكذبهم ، فان حكمت عليهم بالكذب كان لها صعوداً آخراً في تحقيق ما لديهم فتقع في صعودها على وجود قوم ليس شيء من مكارم الاخلاق الاّ وهم آخذون به ولا من مساوئها الاّ وهم تاركون له مع ما تشاهد من قوتهم ، وقوة مللهم ، وصلاح الخلق من جهة نواميسهم وانتفاعهم بسياساتهم ايصلح لنا ان تثبت على تحقيق كذبهم ام لا يجوز لها دون الرجوع عنه فان صلح ذلك فبما تحقق الفكرة ما تحققه وان صلح لها هذا التحقيق وأمكن ان يكون ما تحققه باطل وما تبطله حقاً فأذاً الفكرة تحقق النبوءة وتثبتها ولا تنكرها .

وكما ان الفكرة تختلف بحسب الازمنة والاوقات والامكنة والافعال ، فان الفكرة في اقبال الشتاء للتدفئ والاستكانة ، وفي اقبال الصيف للتبرد والاستحصار ، وعند غلبة الحرارة للتسكين ، كذلك الرسالة تنمس النواميس على هيئة الزمان الذي يليق به فتحرم المحلل وتحلل المحرم وتكره المحبب وتحبب المكره وتجعل الناسخ منسوخاً والمنسوخ ناسخاً كل ذلك امر العزيز الغفّار ، كما ان الفكرة منها خبيثة ومنها صحيحة مستقيمة[2] كذلك الرسالة على نوعين: نوع منهم كاذبون مبتدعون مخترعون مثل زرادشت وماني ومردي وبهافريد وموقون وديصان ، ونوع منهم صادقون محقون وهم مثل الذين دارت عليهم رحى الدين .. فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الفكرة فاعرفه .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

الفصل السابع من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوة من جهة الحفظ »

ان كل حفظ فانما يثبت بثبات الحافظ له، فإذا ابطل الحافظ بطل الحفظ. ولو وجد حفظ بعـد بطلان الحافظ محفوظاً في نوع مشاكل للحافظ كان ذلك الحفظ صريحاً سريعاً وكل حفظ دونه فانه هو مجاز بالقياس الى هذا الحفظ ، فلمّا وجدت النبوة محفوظة عند النبي عليه السلام ، ثم لم تبطل بعد غيبته ، بل قام لها من المشاركين له في النوع عدد كثير يحفظونها ويجتهدون في المحفوظ عندهم كاجتهاد المكرم بالنبوة علم انها ثابتة من جهة الحفظ وقد منّ الله عليه صلّى الله عليه وسلّم فقال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ يعني نزلنا الذكر على قلبك وبعد غيبتك تحفظه على امتك من جهتين : من جهة الائمة والأولاد الذين يقومون بنشر دعوتك ظاهراً وخفياً ومن جهة المرتادين الذين يجتهدون في طلب ما يلقى اليهم من اسرار الملكوت وقد قيل ان اللوح المحفوظ ، لوح قد نقش عليه جميع الكائنات التي كانت وتكون الى يوم القيامة وكلما يظهر في العالم فانما يظهر موافقاً للمنقوش عليه كذلك الرسالة قوة محفوظة قد نقش الله فيها جميع الشرائع والاوضاع التي بها يكون مصلحة العباد وليس يظهر شيء من الاحكام والحدود الاّ موافقاً لمرضات الرسول ، وقد اكّد الله شرف القرآن اذ أضافه الى اللوح المحفوظ فقال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ لان الله عز وجل علم ان القرآن اقصى ما يبلغه دقائق الكلام بلاغة وإداء وحكمة وبعدا من ان يلحقه تناقض واختلاف ، بل القرآن به يتألف كل مختلف ويتفق كل متناقض ، وما كانت سبيله هذا السبيل ومنزلته هذه المنزلة كانت خزانة الحفظ محيطة به وحروف الإضاعة مرفوعة عنه، فإذاً النبوة ثابتة من جهة الحفظ فاعرفه .

وضد الحفظ النسيان فهو يتمكن في النفس فيزيل الحفظ عنها بل يكون الذكر قوة موهوبة للنفس ليزول النسيان ويتجدد الحفظ الاّ ان الذكر فيـه من التعب والنصب اكثر ممّا في الحفظ ويكون استر وأخفى منه ايضاً ، والنسيان غير منعوت ولا ايضاً بذي فضيلة كذلك الرسول اذا الّف شريعته وأودعها خزانة الحفظ وأقام من يقوم بذكرها وذكر حقائقها في امته ، فان الضد يحتال في زوال الامر ممن

جعله الله اليه دليلاً ولا يمكنه ذلك لقوة القائم مقامه لأن القائم مقامه يمسه من التعب والنصب في نشر دعوته من جهة امة الرسول ما قد علمه من البر ، امّا الفاجر فيكون امره مستوراً عن غير اهله كستر الذكر وخفائه ولا يكون للاضداد الجالسين مكانه فضائل معروفة يستحقون بها تلك المرتبة ، كما لم يكن للنسيان فضيلة معروفة، بل النسيان سبب عدم الفضائل ، فإذاً النبوة ثابتة من جهة الحفظ فاعرفه .

والحفظ يعمل في اشياء اخرجها الحافظ بلطافة فكرته ويعمل فيما ادته اليه الحواس الخمس من المبصورات والمسموعات والمشمومات والمذوقات(١) والملموسات، ويعمل فيما اخرجه غيره من المعلوم كذلك الرسالة تعمل فيما وهب لها من حكمة ربها ، وفيما اتصل الى الرسول من الحدود الخمسة الروحانية ، ويحكي عن اخبار الرسل الماضية وعمّا يكون بعده ، فإذاً النبوة ثابتة من جهة الحفظ فاعرفه .

الفصل الثامن من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوة من جهة الذكر »

ان الانسان يذكر بالعقل احوال الخلقة من الابتداء الى الانتهاء ، فان الذكر قوة موجودة في الانسان بما يمكنه الحكاية عن صور العالمين وما فيهما من الاحوال والاسباب ويذكر كيفية كونه وتركيبه ، والى ماذا يئول حاله وحال مواليده ، وكيف تطري عليه الاستحالات وهو الذي يذكر اولاً بان لا بد لهذا العالم من صانع حكيم قادر(٢) وهو الذي يريه ان خليقته ليست لعبث ولا لجزاف ولذلك فان الرسالة قوة موجودة في نفر من الناس يذكر شأن الخالق وعظمته وجلالته وعلو مرتبته وسمو رفعته وبعده من التشبه بالمخلوقين ، ويصف الخالق بالاسماء الحسنى ، ثم تذكر حال الخلقة من السموات والارض وما بينهما من المواليد وهو قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ ثم يذكر خلقة الانسان قوله: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ وقوله: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ فإذاً الرسالة ثابتة من جهة الذكر فاعرفه، وفي الرسالة قوة عجيبة اذ ان فيها ذكر ما حصرته الازمنة الماضية والزمان المقيم وما تبصره الازمنة الآتية، فأمّا ذكر زمانه والزمان الذي قبله، فقوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي، وامّا ذكر الازمنة الآتية فقوله: ﴿ يوم تشقق السماء ﴾ ﴿ يوم تمور الأرض موراً ﴾ ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ ﴿ ويوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ ﴿ ويوم ترجف الراجفة ﴾ ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ وما اشبهها، فقد وافق النبوءة من هذه الجهة.

وبين الذكر والرسالة تشابه بما يخبر وذلك ان الذكر ابداً للطرفين والمتوسط، فامّا المتوسط المعتدل فعلى ما يقع عليه، ومثال ذلك ان الانسان يذكر ما يشاء هذا امّا سروراً عظيماً او مصيبة عظيمة وهكذا امّا برداً شديداً وامّا حرّاً شديداً وكذلك امّا قحطاً مسبغاً وامّا خصباً مشبعاً، فامّا الحال المتوسط بين السرور والغم وبين القحط والخصب وبين الحر والبرد فعلى ما يذكره، كذلك الرسالة امّا في ذكر اقوام قد بلغوا من الضعة[1] والدناءة موضعاً سافلاً فتذكرهم بالرزائل والمثالب، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الذكر.

والذكر في الانسان انما يتجدد ويقوى اذا ضيّع الرجل شيئاً من اسبابه، او اهمل شيئاً من اموره، واستخف بشيء من احواله، فحينئذ يستيقظ الذكر فينبهه عمّا اقدم عليه من الإضاعة والاهمال والاستخفاف ويذكّر له الاحوال الماضية ليعتبر بها ويسترشد فيها فيكون ذلك ردعاً وورعاً له في المستأنف عمّا اقدم وأضاعه وأهمله كذلك الرسالة انّما تتجدد على الخلق اذا ضيّع الناس شريعة الرسول الماضي وأهملوها واستخفوا بأحكامها فتجدد لهم الرسالة من الرأس وتوجب عليهم احكامها شرائع أوكد ممّا ضيعوا وأهملوا، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الذكر، ومن شدة تشابه الرسالة عبّر عنها بالذكر كقوله: ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم

(١) في نسخة س وردت الضعف.

له منكرون ﴾ وقوله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

وان الذكر غاية قوى النفس الناطقة لان النفس الناطقة اذا ذكرت شيئاً فانها لا تذكره الأ بعد ان اعملت فيه القوى النفسانية من الخط والفكر والحفظ[1] والعقل والذهن، وقد تعمل للشيء هذه القوى بأسرها او بعضها فلا يكون له ذكر لان الرجل ربما خطر بباله شيء فلا يذكره وربما خطر وتفكر وحفظ وعقل فلا يذكره، فامّا اذا ذكره فلا بد له ان يكون ذهنه وعقله وحفظه يتفكر فيه ويخطر بباله، وكذلك الرسالة اقصى غاية مراتب البشر لان الرجل اذا اكرم بالرسالة فقد اكرم بالمراتب التي فيها من الوصاية والإمامة واللاحقية والجناحية الى سائر الحدود، وقد يكرم الرجل ببعض ما وصفناه او بكله، ثم لا ينال الرسالة، فأذاً النبوءة ثابتة من جهة الذكر.

وان القوة المذكورة قوة مزدوجة بها لا يفارقها، واذا فارقها بطل فعلها اعني القوة المصورة فان القوة المصورة تعينها في حفظ المذكورات وتصور الخير والنفع على محض المذكور، فإذا فارقتها فلا يرد عليها سائر القوى من الخطر والفكر والحفظ والعقل والذهن، كذلك الرسالة مقرونه بالوصاية التي لا قوام لها بها وهي اعني الوصاية تعينها في وضع الاشياء مواضعها فإذا فارقت الرسالة الوصاية لم يكن للرسالة نجوع في قلوب قابليها، واذا قارنتها وأولت عن متشابهاتها استقر امرها وشرف فعلها، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الذكر فاعرفه انشاء الله.

الفصل التاسع من المقالة الرابعة:

« في اثبات النبوءة من جهة المحبة »

ان محبة الرسل راسخـة في قلوب اتباعهم اكثر من محبتهم لأولادهم وأهاليهم واصدقائهم وآبائهم وامهاتهم، يؤثرون التعصب لهم على التعصب لانفسهم ومـا دونهم، والقلوب جبلت على حب المحسنين وبغض المسيئين فيجب ان يكون احسانهم اليهم مقدماً على محبتهم لهم وليس من متقدم على احسانهم شيئاً ظاهراً سوى الشرائع المكشوفة والحقائق المستورة، فلو كانت من اختراعاتهم لم يجب بها المحبة لكنها

(١) سقطت في نسخة س.

لمّا كانت من جهة رسالة الخالق عز وجل نجع ذلك في قلوب اتباعهم ورسخت المودة فيها لهم ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة المحبة .

وايضاً فان الفضل موجود في الشيء من غيره لا يكون الاّ من جهة المحبة وذلك ان الرجل اذا وهب ولده او اهله او صديقه شيئاً من العطايا والمواهب فانه لا يفعله الاّ من جهة محبته لهم وإيثاره اياهم ، فلمّا وجد في نفر من الناس فضل عدم ذلك الفضل من غيرهم من المشاركين لهم في النوع والصورة وهو الرسالة والنبوءة علم ان وجوده فيمن وجد فيهم لتقدم المحبة لهم من المفضل عليهم فقال عز وجل يخاطب بها صفيه موسى عليه السلام: ﴿ وألقيت عليك محبة مني﴾ يعني ورقيتك بمحبتي لك الى درجة الرسالة ، ومن شأن المحبة ان تكون بلقاء المحبوب ، فأمّا بعد فقد المحبوب فان المحبة لا توجد بل ربما كره الرجل ان يرى من اثار محبوبه شيئاً ، وان رآه جزع عليه وربما ترك من المأكول والمشروب ما يعلم ان محبوبه يميل اليه ويواظب عليه ، ومحبة الرسل بخلاف ذلك فــان اممهم الذين لم يعاينوهم اشد حبّاً لهم ممن يعاينوهم ويشاهدوهم ، وتراهم عاكفين على اثارهم واخلاقهم من غير جزع عليهم ، فأذاً محبتهم للرسالة التي أدوها اليهم لانفسهم ، والرسالة موجودة فيهم غير زائلة عنهم فهم يحبونها ولا يملون من المداومة على اثارهم فإذاً النبوءة ثابتة من جهة المحبة والرسالة مشابهة تشابهاً عجيباً وذلك ان الرسالة ربما تتأكد بين البعيدين وبين القريبين ولا تعمل في القريب وذي اللحمه وان الرجل ربما ابغض ولده وأخاه فلا يحب مواصلتهما بوجه من الوجوه وأحب مملوكه الذي جلبه من السند والترك وتقع الإلفة بينهما فينفع هذا السندي من ماله ما لا ينفع به ولده وأخاه كذلك الرسالة ربما وقع لها قبول من الأبعدين ونفور من الاقربين وربما ينجع في قلوب الامم الذين هم بالبعيدين عنها ما لا ينجع في قلوب الامم الذين ليست بينهما واسطة. فإذاً النبوءة ثابتة من جهة المحبة .

وان المحبة تورث الإلفة وترفع الشحناء(١) والعداوة ، وقد تكون بين الرجلين عداوة وفرقة فإذا وقعت بينهما المحبة من اجل احسان يظهر من احدهما الى صاحبه صارا بعد العداوة والافتراق مؤتلفين وبعد المباينة مجتمعين كذلك ترفع الرسالة العداوة اولاً وتوقع الإلفة كما حكى الله عز وجل عن إلفة القوم الذين كانوا قبل محمد صلّى

(١) في نسخة س وردت الشحنة .

الله عليه وآله متعادين مختلفين فقال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يعني بالرسالة والدليل على ان النعمة ههنا هي الرسالة من كتاب الله قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ فإذاً النبوءة ثابتة من جهة المحبة .

الفصل العاشر من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة الغلبة »

لمّا كان اسم الله جلّ جلاله بالغلبة اظهر الأيسيات لا من أيس حتى أيسها وسماها كما شاء مبدعها وموّيسها فلم يعجز عليها الابداع عن اظهار الأيسيات افضلها وكلها اظهره امر الله تعالى فانما يظهره في مبدع ومخلوق ومكوّن ومركب ، ولم يكن لغلبته من القوة ان يظهر ذاته حتى اخرج الرسل بكثرة الوسائط التي تقدمتهم فلمّا اخرجهم اظهر ذاته بالغلبة الإبداعية من جهتهم فصاروا اعني الرسل معبرين عنه مرة بالامر والنهي ومرة بالكلام اذ هو كلمة الله امّا عبارتهم عنه بالامر والنهي فمثل الشرائع المفروضة عليهم امّا امرًا وامّا نهياً وامّا العبارة عنه بالكلام فمثل المنزل عليهم كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وسموها كلام الله تبارك وتعالى فصاروا اعني الرسل قادرين على اختراعات الأوضاع الناموسية بالغلبة المتحدة بهم عن امر الله جلّ جلاله فقال عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني امر الله غالب على كل شيء، وقال في غلبة الرسل: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ اي انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون .

ولولا الغلبة الموهوبة لهم من الله تبارك وتعالى اضعافاً لما امكنهم سياسة الخلق

وسلب الممالك التي قوتها في الظاهر اضعاف قوة اصحاب الملة حتى اذا امعنت النظر وجدت العالم باسره جارياً تحت احكام الرسل ومبسوطاً بسياساتهم وذلك انك لا تجد صنفاً في العالم الاّ وأهله متعلقون بحبل احد الرسل متوسمون برسمهم راغبون في ثواب مواعيدهم راهبون[١] من عقاب وعيدهم ، فرسالاتهم غالبة عليهم اناء ليلهم ونهارهم وتجد من دون الناس مربوطين بتلك الغلبة وذلك ان العالم امّا معادن وامّا نبات وامّا حيوان وامّا انسان والناس على ما وصفناهم من تعلقهم بحبل الرسل وجارون تحت حكمهم من غلبة الرسالة التي نالوها ، وامّا الحيوان فان الغلبة لم تهملهم بل أحاطت بهم وذلك مثل القرابين التي أوجبوها على بعض الحيوان في بعض الاوقات ، ومثل إباحة قتل المؤذيات من الحيوان مثل الحية والعقرب والكلب العقور[٢] وما اشبهها ، ومثل ايجاب الزكاة على بعضها ، ومثل اشراكهم بعضاً في الغزو والجهاد ، اذ جعلوا للفارس سهمين وللراجل سهماً ، وكذلك أوجبوا على النبات الزكاة وسنوا التطيب ببعضه والتدخن ببعضه ، وكذلك المعادن قد استعملوها في تعليق الجواهر في المساجد والبيع والكنائس وما اشبهها ممّا وصفناه ، وأوجبوا الزكاة على بعضها ، فأي غلبة اظهر من الرسل اذ لم تدع شيئاً الاّ وقد أحكمته وأظهرته والفرق بين غلبة الملك وبين غلبة الدين معلومة ، لان غلبة الملك بالدول وغلبة الدين بنقض الاديان والملك التي تقدمته ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الغلبة .

الفصل الحادي عشر من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة السعادات »

ان السعادة تنقسم الى قسمين : قسم منها للدنيا وقسم منها للآخرة ، والسعادة الدنياوية مثل صحة البدن وكثرة المال والأولاد وإصابة الرئاسات ، وامّا السعادة التي للآخرة والخلاص من العقاب والوصول الى الثواب فوجدنا جملـة انواع السعادات مربوطة بالرسل وغير متوهم لها البقاء الاّ بهم وذلك ان البدن انما عصم دمه من اجل قبول الدين ثم دامت له الصحة بأنواع من تداوي الرسل منها ما لم ينله من جهة وجوب الصوم ،لان الصوم اشرف الاستفراغات التي ينتفع بها البدن ويكتسب الصحة

(١) في نسخة س وردت راغبون .
(٢) في نسخة س وردت المعقور .

ومنها ما ينله من جهة الطهارات الموجبة على البدن في بعض الأوقات دون البعض ، فإن الطهارة تنقي الوسخ وتنقي الوسخ حدوث السرور وتقوية الحرارة الغريزية ،وان من بعض الطهارات حدوث قوة الغضب الذي منه تكون قوة الجلد والبطش وقوة الحركات الارادية[١] ، ومنها ما نيله من جهة الصلوات الموجوبة في الاوقات المعلومة ، فان الصلاة موضوعة على الحركات المعلومة للبدن فيها من اكتساب الصحة غير يسير ومنها ما ينله من جهة الزكاة والصدقات ، اذ بالزكاة يصير شقي الجسد الى السعادة لان الرسل صلوات الله عليهم لمّا علموا ان المواليد على ضربين : ضرب منها ما نال بالسعادة عند مولده فاستغنى بإضافة السعادة عن الجهد في جميع ما يصلح به حاله وضرب منها من اقعدته شقاوة الجد عن الظفر بما يحتاج اليه بمصلحة بدنه ، فوظفوا بأمر خالقهم على اموال اصحاب السعادة وظائفاً معلومة وأمروا بتفرقتها بين الفقراء لينالوا من السعادة ببركة الرسل ما حرموه من جهة الولادة ومنها ما ينله من جهة وجوب الحج لان الحج يحتاج فيه الى قطع هوية مختلفة ومشاهدة اقوام متباينة اراؤهم فربما ينـال الحاج بسلوكه في هواء يخالف هواء بلدته ما يكون به زوال بعض الاسقام عنه التي اكتسبها في بلدته ، وربما استنبط من الآراء ما به ليصل الى الطريق المستقيم ، فهذا نوع من أنواع السعادات الدنيوية وهو البدن .

ثم النوع الثاني المال ، فان بالرسل صلوات الله عليهم عصم اموال الناس وبهم ينال البركة فيها والكثرة منها وذلك ان الرسل صلوات الله عليهم لمّا أوجبوا الزكاة على الجوهرين الذهب والفضة ، فان اصحاب الذهب والفضة لمّا استيقنوا بوجوب وظيفة مفروضة على ما بأيديهم اجتهدوا في التجارة فيها ليفضل لهم ما يمكنهم اخراج الزكاة عنه فربما ربحوا على المال من خوف الزكاة اضعاف ما لزمهم منها فتكثر بذلك أموالهم ، وكذلك اصحاب المواشي فقد اجتهدوا في النتاج وحفظ مواشيهم ليحصل لهم ما يقوم بفرائضها فربما زادت فيها زيادة كثيرة بما يفضل على الفرائض اضعافها ثم الغزو فيه من اضالة الغنائم ما فيه فهذا في النوع الثاني من انواع السعادة الدنيوية.

ثم النوع الثالث الأولاد والابوة والبنوّة وكلها هو يألفه النكاح الذي وضعـه الرسل ، فلو كان الامر فيه جائزاً على السفاح دون النكاح كان فيه ابطال الابوة

(١) وردت في نسخة س الادارية .

والبنوّة واهمال البشر كاهمال الحيوان غير الناطق وبطلان النسب ، فهـذا النوع الثالث من انواع السعادة الدنيوية .

ثم النوع الرابع من انواع السعادة والعز والرئاسة ، فهل تجد في العالم شيئاً من الرئاسة الاّ من جهة الرسل ، وذلك ان العالم باسره رؤساؤه الذين بأيديهم الاحكام والملك جارون تحت احكامهم امّا براهمة وامّا سوابده وامّا اساقفة وامّا جواليت وامّا علماء وامّا فقهاء وهؤلاء كلهم من جهة الرسل في سعادتهم تجري لهم من قبلهم فلولاهم لكانوا ناسبوا الناس ، فهذه انواع السعادة الدنيوية .

وامّا السعادة الآخرية فانها مجموعة في شيئين: في الخلاص من العقاب والوصول الى الثواب ، ووجدنا الناس باسرهم مقتدون برسلهم يستعملون اشياء ويتركون اشياء مستيقنين بانهم باستعمالهم ما يستعملونه وتركهم ما يتركونه ويتخلصون به من العقاب ويبلغون الثواب وما سوى المعتقد لملل الرسل فلا هم يرجعون ثواباً ولا هم يخشون عقاباً كالانعام المقتصرين على مأكولهم ومشروبهم ومنكوحهم تهم أضل منهم ، لان الانعام لم تنكر ما انكره هؤلاء المعطلون الجاحدون، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة السعادات.

الفصل الثاني عشر من المقالة الرابعة :

« في اثبات النبوءة من جهة الكرم والشرف »

اذا كان الانسان اشرف العالم وكان كل جامع شيئاً من مواليد العالم سوى الانسان يستحق ان يسمّى شريفاً ، فالجامع لنوع الانسان بتملكه عليهم اشـد استحقاقاً لان يسمّى شريفاً وقد وجدنا من دون الرسل صلوات الله عليهم المستحقين لاسم الشرف انما هم الاقوام استحقوا نيل هذا الاسم من اجل ان بعضهم جمع ياقوتاً وزمرّداً وذهباً وفضة وبعضهم جمع مواشياً وبعضهم جمع ثياباً وأواني ، وبعضهم جمع مزارع وكروماً ، وبعضهم جمع دوراً وقصوراً ، ولم يكن فيهم من امكنة التملك على البشر ولا القهر لهم ولا الغلبة عليهم ، ووجدنا الرسل صلوات الله عليهم والقهر لهم وانهم صاروا عندهم بمنزلة الشيء المجموع عند الجامع له فعلمنـا ان فضل شرفهم على شرف من دونهم كفضل البشر على سائر مواليد العالم ، ولمّا كان ذوي الانساب اشرف ممن عدمها ولم يوجد غير الرسل من لهم من الانساب القديمة والاحساب الخطيرة ما لهم علم انهم اشرفهم وأمجدهم انتسبوا اليها فإذاً النبوة ثابتة من جهة الشرف.

فقد وصف الله تعالى ذكره كتابه المنزل عليهم بالكرم فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ لعلمه جلّ جلاله ان القرآن المنزل عليهم قد اعطى كل شيء حقه وقسمه من غير بخس ، ووضع كل شيء موضعه وانزله منزلته لان الكرم هو البذل للمستحق على قدر استحقاقه؛فالقرآن المنزل عليهم قد اعطى كل شيء من امره ونهيه وحلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه حقه ، حتى لو اتعبت النظر فيه وحاولت إزالته عن تلك الجهة ضرب الامتناع فيه بسهامه فالمكرم بمثل هـذا الكتاب احرى بان يسمّى كريماً، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الكرم ، فان كان كل من يبذل شيئاً من امتعة هذا العالم لطالبيه استحق ان يسمّى كريماً ، فالذي يبذل من ذخائر العالم البسيط اولى بان يسمّى كريماً، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الكرم والشرف .

وان كان شرف كل انسان على مقدار شرف ما يبلغه ان كان من اهـل الصناعات فبمقدار صناعته وشرفها يكون شرفه وان كان من اهل السوقة فبمقدار بيعه وشراه ، وان كان من التجار فعلى مقدار كياسته وسعيه ومقدرته فيا يتجر به ، وان كان من الملوك فبمقدار علمـه ومرتبته وان كان من الاساورة فبمقدار شجاعته وبسالته ووجدنا الرسل صلوات الله عليهم تعلقهم بالاله الذي هو فاطر السموات والارض ورازق الخلق ومدبرهم ومحييهم ومميتهم فلم يكن احد اشرف منهم اذ امكنهم القبول عن الخالق من الوجوه التي امكنتهم ولولا ذلك التعلق الجليل لم يكن لأقاويلهم نجوع في قلوب الخلق بعد مضي ايامهم ودروس ابدانهم ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الشرف، وكل شرف دون شرف الرسالة فأنما هو بالمجاز وشرف النبوءة حقيقي وذلك ان المستحق لاسم الشرف من اجتمعت فيه الفضائل كلها او بعضها وليس من اهل اليسار والشرف والثروة لإحتوائهم على حطام الدنيا ومتاعها اذ هم منها في كل ساعة على حد فراقها وليسوا بآمنين على ما جمعوه أن تكون لهم فضيلة النبوءة والنبوءة فضيلة حقيقية ثابتة غير زائلة اذاً هي امّا علم وامّا شجاعة وامّا زهد وعلوم الانبياء بعد مفارقتهم الدنيا في زيادة ، وهي الاستنباطات التي استنبطتها اممهم بعد لحوقهم برضوان الله وكذلك شجاعتهم في نماء وقوة ، وهي محاربة اممهم المخالفين بعد منقلبهم الى ثواب الله وكذلك زهدهم في زيادة وهو اجتهاد اممهم بعد صعودهم الى كرامة الله في رفض الدنيا اقتداءً برسلهم فإذاً فضائلهم حقيقية غير مجازية .

ولمّا كان مالك العالمين هو الله جلّ ثناؤه ، وفضل العالم الاعلى على العالم الادنى ظاهر غير مدفوع ، وليس من الكرم بذل الأدنى دون الاعلى بل من الكرم ان يبذل الرجل انفس شيء عنده ، فلو كان الله تعالى وهب لخلقه هذا العالم الادني ولم يهب لهم العالم الاعلى لم يكن ذلك كرماً بل سخاءً وحاشاه عن ذلك ، وليس يمكن ان يهب الله عبده شيئاً من العالم الاعلى الآ من جهة الرسل الذين بصفوتهم وشرفهم صعدوا الى العالم اللطيف بانفسهم الزكيّة فحملوا من اللطافة الروحانية والامتعة النورانية ، وأدوا ذلك الى الخلق ليظهر لهم بذلك كرم الخالق تعالى فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الكرم .

وان لم تكن النبوءة شرفاً كانت خسة واذا كانت خسة وحاشاها من ذلك فالذين لزمهم خطاب النبوءة فإنما هم البشر وهم الذين قبلوها وتعلقوا بها فالبشر اذاً هم احسن مواليد العالم اذا لزمهم خطاب النبوة من دون سائر مواليده وليس البشر الآ افضل مواليده فلم يلزمهم الآ خطاب ما هو الافضل والاشرف وهو النبوءة ، فإذاً النبوءة افضل شيء وأشرفه ، ولمّا كان الملك شرفاً لذوي المملكة بلا اختلاف وانما هو قوة دنيوية منتقلة بين الناس ، وعلى مقدار الاتفاقات ثم وجدت النبوءة محتوية على ملك الدين والدنيا ، والدين انما هو للآخرة فمن نالها احرى ان يكون شريفاً لإحتوائه بها على الآخرة والدنيا ، فإذاً النبوءة ثابتة من جهة الشرف والكرم فاعرفه ... وهذا هو آخر فصول المقالة الرابعة من كتاب اثبات النبوءات والحمد لله الموفق والشكر للملهم .

المقـالة الخامسـة

في أنّ الأنبيـاء كانوا متفقين في الحقائق وإن كانوا مختـلفين في الظواهر

الفصل الأول من المقالة الخامسة :

« في ان قبول الانبياء من معدن واحد وان اختلفت أوضاعهم »

لمّا استقر من العالم التركيبي على الفرد المركب والزوج المركب وان الفرد المركب يحكي عن الكمية التي هي الطول والعرض والعمق ، والزوج المركب يحكى عن الكيفية التي هي الحرارة والبرودة[1] والرطوبة واليبوسة ، وقد ازدوجا اعني الفرد المركب والزوج المركب ، فكان من ازدواجها الامهات الأربع التي يجمع كل ركن منها بين الكيفيات والكميات وكانت صورة المواليد مستخلصه من هذه الاركان بحركة الدوائر المحدقة بها ولم يجب من اجل اختلاف الاشخاص الجزئية والأنواع الطبيعية ان يكون قبول كل واحد من شخص او نوع لا من هذه الاركان الأربعة بل قبولها كلها منها مع وجود الاختلاف العام فيها كذلك استقر امر العالم البسيط على الزوج البسيط الذي هو الاصلين فكان احدهما تاماً بفعله وتاماً بقوته والآخر ناقصاً بفعله تاماً بقوته لان صورة الأصلين انما هو واحد مزدوج بواحد ، فالواحد المزدوج به هو التام بفعله وقوته والواحد المزدوج به ناقص بفعله تام بقوته لانه لو لم يكن ناقصاً بفعله لازدوج بواحد آخر قبل ان يزدوج به واحده الذي سبقه ، فلمّا لم يمكنه الأزدواج لما سبقه واحده بقي ناقصاً بفعله تاماً بقوته ، ولمّا كان واحده الذي سبقه امكنه الازدواج بما تلى واحده الآخر ثبت تاماً بفعله وقوته فاستقرا من العالم البسيط

(١) سقطت بنسخة س .

على هذين الجوهرين الموسومين احدهما التام بالقوة والفعل والآخر التام بقوته الناقص بفعله ولم يوجد في الاشياء البسيطة هذه القسمة الأ في العقل والنفس لان العقل أبدع فازدوج بالنفس ليلهمها ويؤديها والنفس لا تزدوج ما بعدها ازدواج بساطة ثم وجدت دعوى الانبياء صلوات الله عليهم انهم عاينوا العالم البسيط وقدروا على مخاطبة الروحانيين فوجب ان يكون لهم ايضاً اتصال بهذين الجوهرين اللذين صارا ركنا العالم البسيط ولم يجب من اجل اختلاف أوضاعهم ان يكون قبولهم من غير معدن واحد لما لم يجب لاختلاف الاشخاص المتجزئة والانواع الطبيعية ان يكون قبولهم الأ من هذه الاركان الأربعة التي فيها بنية العالم المركب ، فإذاً قبول الانبياء من معدن واحد وان اختلفت أوضاعهم .

وهكذا اللغات المختلفة بالعبارة من السندية والهندية والتركية والفارسية والزنجية والعربية مخارجها من آلات وأدوات متفقة مثل الحلق واللهات واللسان والشفتين وما اشبهها وليس يجب من اجل اختلاف اللغات ان يكون لكل لغة آلة واداة خلاف آلة اللغة الاخرى كذلك لم يجب ان يكون لكل رسول معدناً منه يقبل رسالة الخالق وان اختلفت الأوضاع وتباينت الشرائع بل لهم معدن واحد به يتصلون وعنه يوردون واليه يدعون ، وان جميع المهن والصناعات التي يعملها الانسان ويخترعها فانما هي بجملتها الصنع والاشكال والصور مباثنة القصد كمهنة النجارية والحدادية والبنائية فانها بصنعتها كلها مختلفة وأدواتها التي تتم بها الصنعة غير متفقة وقصد كل واحد فيها غير قصد صاحبه ثم يستوي جملتها في السمة التي يوسم واحدة منها ، والعمل والقوة التي تظهر جميع المهن[1] والصناعات واحدة وهي حركة القلب مع اختلاف صورها وأدواتها ، فلمَّا لم يمتنع للمهن المختلفة بالصورة والقصد ان يكون مبدأها مبدأ واحد وهو حركة القلب لم يمتنع ان يكون قبول الرسل من معدن واحد وقصدهم قصد واحد وهو عبادة الخالق وان اختلفت أوضاعهم وتبائنت شرائعهم .

ولو لم يكن قبولهم من معدن واحد لم يجز شهادة بعضهم لبعض اذ الشهادة بعد العلم والمعرفة تثبت ، فلمَّا وجدنا الآخر منهم يشهد لمن تقدمه بالنبوءة والرسالة وصدق الدعوى علمنا ان شهادته لمن تقدمه حق لانه عاين اتصاله بالمعدن الذي اتصل به الشاهد ولو كان له ايضاً معدن خلاف معدن صاحبه لم يعاينه ، واذا

(١) في نسخة س وردت المهنات.

لم يعاينه لم تثبت شهادته ، فلمَّا كانت الشهادة من بعضهم لبعض جائزة ثبت ان قبولهم من جهة العالم الطبيعي المركب ولا يمتنع دركها من جهة العالم الروحاني البسيط ، فإذاً قبولهم من ذلك العالم الاعلى الشريف هو من معدن واحد لاتصال حد النطقاء والاسس والائماء اليهم على مقدار صفوتهم ثم يدعو الخلق الذين دونهم بالمرتبة الى التفكر في خلقة السموات والارض وفي خلقة انفسهم لمَّا علموا صلوات الله عليهم ان فيهم قوة امكان التفكر ، فإذاً قبول الانبياء من معدن واحد وان اختلفت اوضاعهم .

ولا تجد العدد كالأسطقس لجميع العلوم من الرياضيات فما دونها من الصناعات وأشرفها صناعة الطب لان صاحب الهندسة محتاج الى عدد ما يهندسه ويقدره ، وصاحب التنجيم محتاج الى حفظ عدد ما يتحرك فيه من الكواكب من درجها ودقائقها ، وصاحب الموسيقى محتاج الى تحصيل عدد ما يؤلفه من الالحان والنغم كذلك الطبيب محتاج الى الاشراف على عدد المجاري وعدد حركة النبض لزوال المرض او لزوال الصحة وهكذا كل صانع محتاج الى عدد ما يقدره من النظم والتقدير في إقامة صنعة ولو لم يكن منكراً ان يكون من انتساب هذه العلوم المختلفة والصناعات المتباينة الى العدد بمنزلة واحدة والعدد محيط بها كذلك ايضاً ليس بمنكر ان يكون قبول الانبياء من معدن واحد وان اختلفت اوضاعها .

الفصل الثاني من المقالة الخامسة :

« في كيفية قبول الرسالة من المرسل »

ان القبول قبولان : قبول سمع وقبول وهم ، فالقبول السمعي يكون بالكلام والقبول الوهمي يكون بالخطرات ، والكلام يكون من متكلم فيه آلات الكلام ، والخطرات من متفكر فيه خزائن العقل فلو كان قبول الانبياء الرسالة بالآلة السمعية وجب ان يكون المؤدي اليه متكلماً فيه آلات الكلام هو أمثالنا وأشكالنا ، واذا ثبتت المثالية والشكلية فيه دخل الفساد عليه من جهتين : احدهما انه يحتاج الى قبول سمعي من مؤدي ذي آلات وذلك الى آخر وذلك الآخر الى آخر بلا نهاية فتبطل وترجع الى قبول وهمي ، والجهة الاخرى ان الامة باسرها قادرة على قبول السمع ، فأي حاجة الى متوسط يقبل مسموعاً ثم يؤدي الى الامة ، هل هو الافضل لا يحتاج

اليها ، فصحّ من هذه الجهة ان قبول الرسل قبول وهمي يخطر في افئدتهم ما ارسلوا به ثم يؤدون الى الامم بلسانهم ولغتهم ، يؤكده قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ يعني لم يكن فيما عاين بفؤآده من الخطرات الالهية كذب .

فان قال قائل: فما الفرق بين خطرات الامة وخطرات الرسل؟ يقال لهم ان خطرات الامة اذا كان فيها سوء المزاج ما انكرها الخاطر ان تعوض خطراته بخطرات اخرى، وان يبلغ خطراته الى غاياتها التي من اجلها تبعث الخطرة وربما انها ورثته الخطرة الاولى حزناً وندامة وغمّاً لمّا حركت تتوق الخطرات الاخرى فيما لا يحق في نفسه قوة الإحاطة الاخرى ، وخطرات الرسل خطرات مقدسة عن ان يجول فيها وناله لما فيهم من اعتدال المزاج وعصمة النفس فلا يتعب المقرب بهذه الخطرات لما في كل خطرة من خطراتهم ما يستحق فيها خطرات الامة ، وان اردت اراد الله بك الخير ان يتضح لك هذا المنهاج ، فانظر الى ما احتوت على شهادة لا اله الاّ الله ، هل يخلو عنها خطرة من خطرات الامة ، اذ ان جميع ما يخطر في بال الامة من الطبائع امّا الموجبات وامّا السالبات ، فالنصف من الشهادة الذي للأثبات على من قد تحتوي على قضاياهم الموجبات ، والنصف الآخر الذي للنفي كذلك يحتوي الى السالبات ، وان اسعد بها ممّا يورده من الالفاظ الناموسية وأهل وقته وان عادت تلك الخطرات اليه من غير ان يصار فيها الى شيء من هذه الانواع التي وصفناها ، علم انها خطرات من جهة مشاركة الجسد فيعاين نفسه عليها ويعلم انها لم تقع بالموافقة فذلك ديونهم التي عبرها الله في كتابه ، وكالموجود في كل شيء من الاشياء الطبيعيات للنشوء والبلاء والحر والبرد والرطب واليابس اذ بكل شيء منها أبوابه منظومة في الدوائر المقارنة للكواكب فيفتح ابوابها اذا قدر كونها كفتح ابواب المطر وفتح أبواب الحر الى سائر ما فيه من الابواب لكل مقدور طبيعي ، قال الله تعالى فيما يسره للناطق من القبول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ .

وبين الخطرات وبين اللغات مناسبات روحانية ومشاكلات نفسانية فربما اتفق لبعضها المشاكلة بالسريانية ولبعضها المشاكلة بالعبرانية ، ولبعضها المشاكلة بالعربية فلا يؤدي كل ذي خطر من الخطرات اذا ذبلت عمن شاكلها وناسبها وقارنها من اللغات الى غيرها ما فيها من الحلاوة والحكمة وتعيش على المكرم بها العبادة عنها بما لا يشاكلها من اللغات ، فان الخطر التي منها تأليف شهادة لا اله

الاّ الله ، كذلك شاكلت العربية ووفقتها فلو ازيلت عن العربية الى السريانية والعبرانية لم يكن اثباتها بهيئتها وصورتها ، قال الله تعالى برهان عليه : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً﴾ يعني يسرنا الخطرات ببالك اي ابلاغها الى امتك بلغتك ولسانك لعلهم يذكرون ما فيها من الحكمة والبيان .

الفصل الثالث من المقالة الخامسة :

« في كيفية كلام الله تعالى ذكره »

قال الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ يعني ما كان للناطق ان يصل اليه خطر من كلمة الله تعالى الاّ وحياً يعني الاّ ما يؤيده به من جهة السابق او من وراء حجاب يعني او ما يؤيده به من جهة السابق من وراء التالي ، فالتالي حجاب بين الطبيعة والعقل اذ هو المتوسط بينهما او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما شاء يعني ان الناطق اذ رقى الى حد الناطقية فقد فرض عليه ان يغير بلسانه كما قذف في قلبه الروح الامين من صناعة الاشياء ليبلغ بذلك الى الامة فنظرنا في الكلام فوجدنا صوت الموضوع بالاتفاق والاصطلاح دالاً على الزمان ، واذا فرقت اجزاءه لم تدل على شيء من معنى الكلام ، فكلام الله بالحقيقة والناطق صاحب الشريعة ووضعه بالاتفاق يعني ان النطقاء قد اتفق بعضهم مع بعض في باب الشهادة وفي باب القبول دلالة على الزمان يعني ان الناطق دلّ امته بما يقتضي زمانه من الخير والشر وما يليق بزمانه من التحليل والتحريم فان فرقت اجزاؤها لم يدل على شيء من معنى الكلام ، فأجزاءه اساسه وأحد الذين ان فرقت بينهم وازيلت الولاية عنهم وأضيفت الى غيرهم الذين لم يجعل ذلك لهم وفيهم لم يعرف شيء ممّا اراد الله عز وجل فان الاضداد لا قوة لهم على ان يضعوا كل شيء موضعه وينزلوا كل شيء منزلته ، ولا هم بقادرين على تأليف القلوب بل هم من قبلهم تقع الفرقة والاختلاف والعداوة والبغضاء وجدت الكلام اذا تكلم به متكلم يحصوه نقش الكتابة في نفس الرأي فتكون كهيئة الكلام بغير صوت ولا نقش وهو مثل قول الله ، فإذا اكتسبت تقع صورة الحروف أربعة من الف ولام ولام وهاء ، معدن واحد وان اختلفت أوضاعهم ، ولو كان قبول كل واحد منهم

من معدن غير معدن صاحبه لم يجز نسخ الشريعة وتبديلها وانما جاز للآخر ان ينسخ شريعة الماضي ويبدلها ويغيرها لانه قبل شريعته وناموسه من المعدن الذي اتصل به صاحب الشريعة المنسوخة ، ولو كان صاحب الشريعة المنسوخة معدن غير معدن صاحب الشريعة الناسخة لم يكن له ان ينسخ شريعته ، الا ترى الى السكون والفساد انهما في الطبيعيات موجودين ، والشيء الذي منه كان فمنه يفسد والذي منه يفسد فمنه كان كالاشخاص غير المتجزئة فانما هي في الطبيعة تفسد وهي ايضاً منها تكون كذلك الشرائع الناسخة والمنسوخة ظهورها من معدن واحد وان اختلفت أوضاعها وتباينت شرائعها .

وان تفكرت في الدوائر التي جعلها الله قوالب التغييرات الكليّة والجزئية وجدتها في طبيعتها واحدة وفي سيرانها وثبوتها معلومة العدد ، ثم تختلف التغييرات الكليّة في العقب والازمنة والدهور فترى العامرة خربة والخربة عامرة والأعزة اذلة والأذلة اعزة . من غير ان يكون قد زاد في القوالب شيئاً او نقص عنها ذرة واحدة بل لتبلغ الاشياء موضعها ومبلغها وتنتهي الاشخاص الى غايتها ، وتكمل الصيغة وتظهر الحكمـــة والفضيلة كذلك معدن الرسل معدن واحد ، وتختلف أوضاعهم[1] وشريعتهم فترى المحلل حراماً والمحرم حلالاً والمأمور منهيّاً والمنهي مأموراً من غير ان يكون قد حدث في المعدن تغييراً او زوالاً ، بل لتبلغ الانفس مبلغها بظهوره او بغيبته تتحالف أوضاعهم في دور الستر الى غايته المقدرة لهم ثم يظهر دور الكشف مشرقاً بنور ربه ويحاسب صاحب الكشف اصحاب الملل[2] والأديان فتتقوى بالمحاسبة النفس وتظهر فضائل التي اكتسبتها النفس من جهة الادوار الطبيعية ، فتفهمّ هداك الله.

وتجد الخلقة محيطة بالعالمين الذين احدهما العالم الطبيعي المركب والآخر العالم الروحاني البسيط ، ثم وجدت الرسل باسرهم قد رفضوا الدنيا ولم يكترثوا وحذروا اممهم من الركون اليها والطمأنينة بها ورغبوهم في الآخرة وبشروهم بها وحثوهم على المسارعة اليها والى طلبها ، علمنا ان معدن قبولهم ليس للدنيا بل هو للآخرة ، لان الانسان لا يزجر غيره عمّا فيه رغبة منه بعدم قبوله ، ثم وجدت الرسل باسرهم قد ادعوا معاينة ما لا يخطر على قلب البشر معاينته ، وهو مثل دعوى احدهم انه كليم الله

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

ودعوى الآخر انه روحه ودعوى الآخر انه دنا منه حتى رآه ودعوى اجمعهم انهم عاينوا الجنة والنار وساكنيها ، وهذه الاشياء ممّا يمتنع دركها والاحاطة بها وهي دالة على هذا الصوت الذي خصّ كلمة الله وبطل عنه الصوت ، فاذا وقع في وهم الرأي بطل عنه النقش وثبتت فيه الاشارة الى معنى الكلمة فدلنا ما شاهدناه من تصرف الكلام من الصوت الى النقش ومن النقش الى الوهم على الاستنارة ان ابتداء كلام الله تعالى لمّا اتحد بالايس الأول لم يكن له صوت ولا نقش بل كان معلوماً بين افادة السابق واستفادة التالي ، ثم سلك في طريق التركيب فصار منقوشاً من جهة نظمه ومرتبته غير ذي صوت ثم ابتدأ الناطق بالوقوف على النقش والتركيب من ابتداء دوره الى انتهائه ثم امر بالابلاغ فكان ابلاغه بلسان القوم ذا صوت ونغم وإشارة بما يفتح لإساسه غير ذي صوت بل أحاط بما فتح الناطق على نقش الشرائع ونظم التنزيل وبما ادخر للقائم سلام الله على ذكره يرجع الحال من الآخرية الى الأولية من الحال وهو استغنائه عن الصوت ونقش التركيب .

ولندبر لما وصفناه دائرة مشتملة على ما يتصرف من الاحوال بكلام الله تعالى من الابتداء والانتهاء وهذه هي :



فالناطق سلام الله على ذكره صار واسطة بين الحدين العلويين وهما السابق والتالي ، وبين الحدين السفلين وهما الاساس والقائم ، فقبوله كلام الله من جهة السابق الذي لا صوت فيه ولا نغم ما ايّد من عنده ممّا لا يطلع عليه أساسه ، واختص بذلك الخط دونه ودون سائر الامة وقبوله كلام الله من جهة التالي الذي من جهته نقش التراكيب وهو ما اطلع عليه أساسه وهو النصف الذي امر بتسليمه اليه وقبوله كلام الله من جهة مفاتحته بالبيان للاساس وهو ما اوقف الائمة صلوات الله عليهم الادلاء الراشدين على التأويل والبيان المستور في الشرائع والتنزيل وقبوله كلام الله ما ادخره للقائم عليه السلام ممّا هو ليس لاحد الاحاطة به من مرموزات التنزيل الى ان يبلغ الامر الى القائم عليه السلام واكرم ناطق عليه السلام بالاطلاع على جملة ذلك الحد من غير تفسير وهو بلوغه الى سدرة المنتهى المربوطة بكلام الناطق ذي الصوت والتأليف ، فأقول: ان الكلام التأييدي الواقع من قبل السابق ذي الجلال المتصل بالناطق عليه السلام انّما هو إصباغ روحانية اتحدت بنفس الناطق لكل صُبغ منها شكل عقلي يكون ذلك الشكل يجمع اشياء كثيرة نفسانية لتلك الاصباغ وتأليف روحاني متى ألقت في نفس القابل اشرقت على معرفة اشياء كثيرة فإذا فرغت نفسه من الاشراف على المعارف وجد لتلك الاصباغ بعد الائتلاف كلاماً روحانياً لطيفاً قد اعتاد قبوله فتى استقبله علم منه ما يعلمه من الكلام المسموع وأفضل من الكلام ، فهذا معنى كلام الله من جهة تأييد السابق .

فامّا الكلام التركيبي الواقع من جهة التالي ذي الاكرام المتصل بالناطق عليه السلام فانما هو حركات نفسانية تظهر في الدوائر وفي الكواكب المرموزة[1] ، وفي الدوائر يكون في كل حركة وفي كل قرب وبعد في بعض اجرامها الى بعض خواص وافعال طبيعية وهي اعني الدوائر بالكواكب النيرة[2] الممدودة فيها نظم لحساسة البشر كأنها اشكال حروف ، اذ فيها ما يكون نقطة على الاستواء في الطول مثل الالف اذ للألف النقطة المجتمعة في الطول ونقطة ككوكب شبيه بالباء والتاء ، والى سائر الحروف ولكن لا سبيل الى ذلك من دون الناطق المؤيد الى قراءة تلك الكتابة وكيف يعبر في كل

(١) وردت في نسخة س المدموزت .
(٢) وردت في نسخة س المنيرة .

دور وبماذا يتكلم التركيب في كل زمان وبماذا يأمر وعمّا ذا يزجر وينهي ، والمخصوص بالرسالة واقف على جميعه كانه ينظر في كتاب فيقرأه ، فهذا كلام الله تعالى من جهة التراكيب .

وامّا كلامه من جهة ذاته المنسوب الى الصوت والتأليف فمن كانت منزلته اذا اتحدت به الأصباغ الروحانية العقلية ووقف على حركات التراكيب كان كلامه من القوة والشرف والحلاوة والثمرة ان يعجز عن اتيان مثله مَنْ لغتهم لغته ولسانهم لسانه ، وصار كلامه غالباً على كل كلام ورائجاً في كل زمان وإماماً في كل مكان ، فامّا الكلام على ظاهره وهو كمثل الماء المذكور في القرآن فانه اسم واقع على الجوهر السائل البارد الرطب ، والتأويل لا يزيل الاسم عن جهته ويبطل حقيقته ومعناه ، ويكون كلام التأويل في الماء انه مثل للعلم الذي يسيل من جهة أرباب الدين يدخل في قلوب المرتادين وهو بارد يعني انه ساكن يسكن القلوب عن الاضطراب والاختلاف والرطب يعني ان العلم يجمع بين الكلمات المتفرقة والالفاظ المشتتة هذا فعل التأييد بجميع الاسماء الظاهرة والمستعملة[1] في الآيات المتشابهة ، فهذا كلام الله من جهة تأويل الاساس .

فامّا كلامه من جهة ما ادخره الائمة من جهة ما ادخره القائم عليه السلام فهو الافاضة المحضة التي تقع من النفس الزكيّة بعد غيبته الى نفوس خلفائه ومن جهة خلفائه الى نفوس المصطلين بنارهم فقدروا بتلك الإفاضة على اختراعات علوم لطيفة[2] دقيقة لم تخطر قبله على قلوب الناشئين في ادوار الستر فهذه صفة كلام الله تعالى من جهة حدوده العلوية والسفلية ، فامّا كلامه تقدس عن المقابلات من جهة أمره المحض فانه متعال عن ان يجول فيه ولا يقع عليه خلقة بل هو علة جميع المخلوقين من اللطيف والكثيف والروحاني والجسماني ، فهذه صورة كلام الله تعالى ذكره .

الفصل الرابع من المقالة الخامسة :

« في العلة التي من اجلها تقدم قبل ظهور النطقاء في عالم الفساد »

قال الله تعالى ذكره : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً ﴾ وانما يخوف الله بالآيات عباده لان ثمرة التخويف الزهد في الدنيا وثمرة الزهد في الدنيا الرغبة في الآخرة وثمرة الرغبة في الآخرة التفكر في الخلقة وثمرة التفكر في الخلقة الوقوف على الحقائق وبالوقوف على الحقائق تثبت النبوءة فقدر الله تعالى قبل ظهور رسله في العالم من ظهور الفساد وشمول البلايا ما يلزمهم حجته ان تفكروا فيه ، والعلة الثانية في ظهور الفساد قبل ظهور احد الرسل لان الرسول مجمع البركات فإذا كان العالم باسره مملوءاً من الفساد والفرقة والاختلاف، ثم يظهر الرسول فيرتفع الفساد بظهوره ويقع الصلاح بدلالته ومالوا اليه وتوسموا فيه البركة والخير فتبعوه ويتبعوا امره ونهيه كما اخبر الله تعالى ما اتفق بظهوره محمد صلّى الله عليه وآله القوم المتعادين قبله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ والعلة الثالثة في ظهور الفساد قبل ظهور رسلهم لان تجديد الشريعة لا يلزم الاّ بعد الدروس المتقدمة ، والدروس المتقدمة هي بما يكون من جهة استحقاق امـة الشريعة المتقدمة بها فإذا استخفوا بدين الله لزمهم من مقته وغضبه ما يعمهم الفساد والبوار ، والعلة الرابعـة ان المخصوص بالرسالة في اول امره يكون ضعيفاً وأنصاره وأولياءه مقهورين يخافون من صولة الاعداء عليهم ، فقدر الله تعالى قبل ظهوره الفساد في العالم من الوباء والقحط[1] والقتل الذريع وجور الظلمة عليهم ما يشغلهم بتتبع اثار المخصوص بالرسالة وتتبع اولياءه الى ان يقاوم اتباع الناس له ما يقوم من مكاشفة المنازعين له وباظهار دعوته بينهم وان اعداءه والمخالفين له لو كانوا في رغد من العيش ورفاهية وفي امن ودعة لتتبعوا امره واستأصلوا شأفته فيكون من ذلك بطلان امره ودرس دعوته .

وايضاً فان امر اصحاب النواميس امر ديني سماوي والامر السماوي الديني هو الآخرة ، وكذلك العالم وما يزيد في قوة العالم الاّ على اللطيف فينقص من قوة

(١) وردت بنسخة س القطع .

الادني[1] الكثيف فكان النقصان الذي يظهر في الايسيات الارضية والبلايا التي تقع عليها سبباً لما يظهر من أمر الآخرة وقوة الدين ، وكأنه يبدر ويكون قائم يجدد الدين ويدعو الناس الى الآخرة ، الا ترى الى الشخص الواحد من البشر المركب من البدن والروح متى اخذ في تعمير روحه ظهر التخريب في بدنه لان تعمير الروح غير ممكن الاّ بالحمل على البدن في العبادة عبادة الخالق والتفكر في خلقه وفي الحمل على البدن من تخريبه ما لا يخفى ذلك على احد وهكذا متى اخذ الرجل في تعمير بدنه من توسعه للمأكول والمشروب والشهوات دخل عليه التخريب في روحه من الغفلة عمّا وراءه من الثواب والعقاب[2] فمن هذه الجهة يظهر قبل ظهور النطقاء في عالم الفساد ولمّا كان امر صاحب الآخرة امرًا عظيماً لا يشبه امر سائر النطقاء وجب أن يكون ما يظهر قبله من اسباب الآخرة شيئاً عظيماً لا يقاس به فمن هذه الجهة قيل في اشراط الساعة اشياء هائلة مثل الزلازل والخسوف وانشقاق القمر وتشقق السماء وتناثر الكواكب وبعث الاموات من القبور ، وما اشبهها من اشراطها التي تتقدمها ، فهذه الاشياء المذكورة في اشراط الساعة اشياء لم يعاين البشر مثلها حسًّا على ان الذي يظهر من اسباب الآخرة في الصورة النفسانية اشياء لم يدرك البشر مثلها عقلاً وبإزاء كل شرط من اشراط الساعة المذكورة في الكتاب شيء روحاني عقلي[3] يوازيه ويماثله ، ونحن نشرح عنها في المقالة السادسة عند دور القائم سلام الله على ذكره ورسومه وصوره انشاء الله تعالى .

وايضاً فان نجوع الشرائع في قلوب الامة الذين هم قد شملتهم البلايا قبل لزوم الشريعة اياهم اثبت لمّا رأوا زوالها عنهم بظهور صاحبها فيكون استعمالهم لشريعة بجهد وجد برهة من دهرهم الى ما يأتي زمان شريعة اخرى ويستخفون بها ويملون من استعمالها ويلزمهم من مقت الله ما يعمهم الفساد فيلزمهم من الآراء مثل المريض الذي زالت عنه الصحة فلزمه من الفساد والبلايا على حسب ما اكتسبه في أيام الصحة ثم يلزمه من تدبير الطبيب وحسن سياسة طبه ما يمنعه عن تناول اشياء شهية ويأمره باستعمال اشياء كريهة من الاغذية والأدوية ، واذا زال عنه المرض كان لزومه لما الزمـه الطبيب الماهر من المجانبة لبعض المأكولات والملازمة لبعضها

(١) سقطت بنسخة س .
(٢) في نسخة س وردت العقبات .
(٣) سقطت في نسخة س .

بجد وجهد[١] ما دام ذكر البلايا مرضه الذي كان لزمه ، فإذا نسيَ مرضه ونبذ تدبير الطبيب وراء ظهره عطف عليه المرض فلزمه الفساد والبلايا لزوال الصحة ويلازمه من بين الطبيب الى ان ينزل بساحته المهالك التي لا يقوم بها تدبير الاطباء فمن هذه الجهة تتقدم قبل ظهور النطقاء في عالم الفساد الى ان تنتهي ادوارهم الى دور الكشف ثم يلزم نفوسهم ما اكتسبوا في ادوار الستر من الخير بموالاة الاولياء ، ومن الشر لمتابعة الاعداء .

الفصل الخامس من المقالة الخامسة :

« في ان النبوة لم تنتقل من نسل الى نسل »

والعلة في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فحكم الله تعالى بان الذرية التي تجري النبوة فيها ذرية واحدة غير منتقل عنها ذلك الشرف الى غيرها من النسول كأنهم خلقوا لها لا يمكن لأحد غيرهم قبولها فأقول : في علتها وبيانها كما امتنعت الانواع الطبيعية ان ينتقل بعضها الى بعض من جهة التناسل والتوالد مع المشاركة الغريزية بينها ، فان نـوع الفرس لا ينتقل الى نوع الحمار ولا نوع الحمار ينتقل الى نوع الفرس من جهة نسله وان كانت المشاركة بينهما من جهة صورتهما ، ولا ايضاً يمكن ان ينتقل نسل الحي الناطق الميت الذي هو الانسان الى شيء من الحيوان الغير ناطق كذلك ايضاً غير ممكن ان ينتقل نسل الحي الناطق المؤيد الى نسل الحي الناطق الغير مؤيد وان كانت الصورة تعمهما جميعاً ومتساوية من جهة الظاهر اذ باطن صورة المؤيد غلاف باطن صورة الغير مؤيد فجرى تولد المؤيدين في نسل واحد كما يجري مولد الناطقين من الحيوان في صورة واحدة ونوع واحد وهو الانسان فاعرفه .

ولمّا وجدت امر الانتقال والتغيير امراً طبيعياً يظهر في المطبوعين ؛ وعلة انتقال المطبوعين[٢] وتغيرهم انما هي من اجل انتقال الاجرام العلوية في الامكنة الفلكية

(١) وردت بنسخة س وجاهد .
(٢) في نسخة س وردت المطابيع .

فيكون لكل انتقال من اجرامها في بعض أمكنتها تغييرات واقعة في بعض المطبوعين وانتقالات ظاهرة مثل الغنى والفقر والذل فترى قوماً عاشوا برهة من الدهر في عز وثروة معه جهة نظر السعود في اجرامها اليهم ثم يتغير حالهم فصاروا بعد العز والثروة اذلة فقراء وينتقل العز والثروة الى نسل آخر وقوم آخرين من جهة انصراف السعود عنهم واتصالها بمن ينتقل العز والثروة اليهم ، وليس حدوث النبوة من الامور الطبيعية الفلكية بل هو امر روحاني يتصل بقابلها من معالم العقل والنفس ، وليس في عالم العقل والنفس تغيير ولا انتقال بل صورهما محفوظة على حالتها من غير تغيير فمن هذه الجهة لم تنتقل النبوة من نسلها الى نسل آخر . الا ترى الى[١] ما وعد الله تعالى لأهل الثواب في دار الجزاء من الديمومة فيما صاروا اليه فلا يبتغوا عنها تحولاً .

وايضاً فان النبوة من نسلهـا الى نسل آخر ضرب من الفساد فكذلك ان المتناسلين من نسول مختلفة لا تجري الالفة والمحبة[١] بينهم كما يجري ذلك بـين المتناسلين من نسل واحد في رفع المحبة والالفة وكتمان الفضيلة وتأكدها اضاعة الفضائل فقدر الله تعالى ذكره كون النبوة من نسل واحد لتأكد بعض شهاداتهم باذاعة المتأخر عنهم من فضائل المتقدم ، فمن هذه الجهة لم تنتقل النبوة من نسل واحد الى نسل آخر ، فان قال قائل : فان كان جائزاً ان يكون من نسل نبي يكونُ معدوم الفضيلة ولا يكون ذلك منكرا لم لا يجوز ان يكون من نسل معدوم الفضيلة نبي مرسل والأ في الفضل يقال له قد مرّ من قولنا في العلة التي لم تنتقل من اجلها النبوة من نسل الى نسل آخر ما فيه كفاية عن الامتناع عن الإبانة كون النبي من نسل عاري الفضائل فامّا ان لم يكن جاز ان يكون من نسل النبي من هو معدوم الفضيلة فانا نخبر عنه الآن فنقول: ان العلة في ذلك ان النبي عليه السلام اكثر شغله في الاستفادة من العالم الروحاني النوراني ليتهيأ له الاستفادة من ذلك العالم بسط شريعته ونشر دعوته وتأليف كتابه ، فاذا اجتمع مع انثاه كان يكون منه النسل محض معرّى من تصوير النفس وذكرها اياه لما في أنفسهم من الشغل في اسباب الدين ، فخرج الولد جسدانياً محضاً معرّى من فضائل النفس الا عند تمني احدهم ان يرثه بعض ولده فسأل الله في اجتماعه مع انثاه ان يوقع حياله على ما يبرز منه فيخرج ولده على احسن هيئة جسداً وروحاً كما حكى الله تعالى عن زكريا عليه السلام عند

(١) سقطت في نسخة س .

ابتهاله اليه في ان لا يتركه فرداً وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى .

وفي كل شيء من المعادن والنبات والحيوان والانسان له شواهد كثيرة توجب بقاء النبوءة في نسل واحد وبقعة واحدة وذلك انا نجد في المعادن اعداداً كثيرة لا توجد في بقعة واحدة من غير انتقال عنها الى غيرها من البقاع وكذلك الحيوان سبيله هذا السبيل وهو مثل الفيلة الموجودة في ناحية الهند وكالببغاء في تلك الناحية ايضاً ومثل السباع [1] الموجودة في ناحية المغرب وهكذا الناس في كل قوم بقعة منهم قوم يوجد فيهم خواص لا توجد تلك الخواص في سائرهم من الياس وهو مثل الضيافة الموجودة في بني مدلج ، ومثل زجر الطير في بني اسد ومثل الخفة واللعب في اهل الهند ومثل الصناعات العجيبة في اهل الصين ، ومثل الفلسفة في اهل يونان الى سائر ما في الوان المعادن والنبات والحيوان والناس من الخواص والامور التي لا يشاركهم فيها غيرهم ، فاذا كان هذا السبيل جارياً في الطبيعة ان يستقر بعض خواصها في بقعة من البقاع من غير انتقال عنها الى غيرها فغير منكر ان يكون وجب ان تستقر النبوءة في نسل واحد من غير انتقال عنه الى غيره من النسول فاعرفه انشاءالله تعالى وبالله التوفيق .

ولمّا رأيت الناس يتأسفون على ما جمعوه من الاموال والذخائر اذا ورثوها عن أولادهم وذوي انسابهم ويتوجعون له اشد التوجع وكانت النبوءة اشرف الذخائر فلو علموا أعني الانبياء صلوات الله عليهم ان النبوءة تنتقل من نسلهم الى نسل آخر لتأسفوا عليها ولتوجعوا له اشد التوجع والله اكرم وأجود من ان يسلب جوده من انبيائه وان يتركهم في التأسف والتوجع ، وقد حكى الله تعالى ذكره سوآل خليله ابراهيم عليه السلام في ان يجعل الامامة في ذريته باقية فأجابه الى ذلك واستجاب الى دعوته فقال : وجعلها كلمةً باقية في عقبه يعني الامامة باقية في نسل ابراهيم عليه السلام غير منتقلة عنها الى نسل آخر ، فاذاً النبوءة ثابتة في نسل واحد فاعرفه .

وكل من اراد ان يدرك النبوءة من النسول الاخرى لم يمكنه ذلك ولو اجتهد فيه غاية جهده ولا قام لهم سوق ولا شهادة من الناس ، كذلك الافاضل من الفلاسفة اليونانيين قد وضعوا لدركها اصولاً كثيرة من الطبيعيات والرياضيات حتى صعدوا بالوقوف على الرياضيات الى درك الروحانيات فلا يرى ولا احد منهم عند صعوده

(١) وردت السبع في نسخة س .

الى عالم النفس بذكاء فطنته تهيأ له العبادة عن ذلك العالم بأمر ونهي او وعد او وعيد بل حكايات ورموزات يخالف بعضها بعضاً فيها ولا تستقر على برهان يبين ما استنبطوه بقولهم الاّ ما كان ملتقطاً من ألسن الرسل الذين تقدموهم في العبارة عن الخلقين الأولين في عالمها وفي الإقرار بالمبدع الحق الذي ابدع العالمين بوحدته وارادته كذلك زرادشت وماني وبها فريد ومزدك [1] وديصان وفرقون وغيرهم من المتنبئين لم يحصروا على شيء ؛ فان أكسبهم زرادشت عامة كتبه موضوعة على عمارة هذا العالم والميل الى الشهوات الحسية واستعالها وجعل الاجرة والثواب لكل لذة حسية وشهوة طبيعية ، وفي العقل من الافكار اعني لمّا هذا به هذا الكتاب ما اذا تأمله صاحبه عرف ان النبوءة اذا انتقلت من نسلها اتت بمثل هذه الفضائح وكذلك مسيلمة الكذاب وطلحة والقطري وامثالهم قد اجتهدوا في وضع شيء يتجمع في قلوب الناس ويستقر في عقولهم فلم يمكنهم ذلك اذ ليسوا من اهل بيت النبوءة فاذاً النبوءة ثابتة في نسل واحد غير منتقلة عنه فاعرفه .

وما يصنع بالنبوءة وانت ترى الإمامة والخلافة لما انتقلت من اهل بيت النبوءة ورفعت الى اولاد تيم وعدي وامية اتت بالخلاف وإظهار الفتن من سفك الدماء واستحلال الفروج وانتهاب الاموال والتجارات ، وفي كل يوم تزداد شراً حتى لم يبق من الاسلام الاّ اسمه ومن القرآن الاّ رسمه ورجع الناس الى الجاهلية وقد رضي زعيم الامامة بزعمهم من رئاسته وإمامته بقضاء وطره من اللذات الحسيّة وقلة اكتراثه بما ينزل برعيته الذين افاضوا الإمامة اليه من الظلم والجور ونبذهم الدين وراء ظهورهم ، ترى ايدك الله ان الإمامة ان كانت في اهل بيت النبوءة اوالرسالة ايرضى زعيم الإمامة بقضاء وطره دون نظر رعيته او يجعلهم في اللبس والضلالة والحيرة والعمى ، كلاّ بل يجعل الاشتغال بأمر الدين مقدماً على سائر اشتغاله ، فيقف رعيته على المحجة البيضاء لما جعل الله له تعالى ذكره في اهل بيت النبوءة من الرفق والسياسة والقوة والهداية وباتصال نور الله بهم ونزول البركات عليهم اناء ليلهم ونهارهم فإذاً كانت الإمامة لا تستقر الاّ في اهل بيت النبوءة ، فكيف بتوهم ان النبوءة تستقر في غير بيت اهل النبوءة ، فإذاً النبوءة ثابتة في نسل واحد غير منقطعة عنه فاعرفه .

(١) وردت في نسخة م مزدق .

الفصل السادس من المقالة الخامسة :

« في ان من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد »

كما ان من اجل ان الطبيعيات المتضادة وجب ان تكون انواعها كثيرة مختلفة بالنوع والعدد اذا لم يمكن ان يقبل النوع الواحد اشياء كثيرة مختلفة الكمية والكيفية ولو امكن ذلك امكن الشخص الواحد ان يقبل ذلك الاختلاف في ذاته فيكون الشخص الواحد حلوًا او مرًا وأبيضاً وأسودًا وقصيرًا وطويلاً ورطباً ويابساً في حالة واحدة وليس ذلك بموجود فلمَّا لم يوجد الشخص الواحد يقبل الاختلافات في ذاته في دفعة واحدة وفي حالة واحدة ووجود الاختلافات قد سلكت طريق الحكمة وتساوت في باب المعرفة ان لا يكون واحدة منها انفع من صاحبها او اكثر حاجة اليها في تمامية الحكمة المقصودة من الصانع تعالى ، اذ ليس الحار بانفع من البارد ولا الرطب انفع من اليابس ولا الحلو بانفع من المر ولا الأبيض بانفع من الاسود بل لكل واحد منهما موضع من الحكمة وصارت بالحالة التي لو رفعت ذرة واحدة منها عن الكل بطل النظام ولم يبلغ المقصود من الصانع الى غايته ونهايته فلمَّا كان وجود الاختلافات سابقاً في الحكمة كان وجود الانواع المختلفة من اجل وجود الاختلافات سابقاً في الحكمة كذلك نقول : ان الاوضاع لمَّا اختلفت امكن في الشيء الواحد ان يكون مأمورًا به ومنهياً عنه ومرغوباً فيه ومرهوباً به وأمكن فيه التحليل والتحريم لا يخلو واحدة منها اعني من الاوضاع في حال اختلافها ان تكون موضوعة على حقيقة روحانية تؤدي من نفسها تلك الحقيقة دالة على إثبات الحدود وإثبات الحدود دالة على وحدانية الواحد وعلى ما يجب على المؤمن معرفته ، وغير ممكن ولا مستقيم في العقل ان يكون الرسول الواحد يجمع دعوته على التحليل والتحريم في شيء واحد بعينه وليس التحليل في شيء بأنفع من التحريم فيه في باب الدلالة التأويلية وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد يستعمل كل واحد منهم في زمانه ما يوجد من الأوضاع من الاختلافات الناموسية فاعرفه .

ولمَّا كان التفاضل موجودًا في الرسل اذ بعضها أفضل فبأي شيء ظهرت فضيلة المتأخر عن المتقدم وليس يمس المتأخر الا بما يمسه المتقدم وهل مجيء الأفضل الا بما يحتاج اليه اذ قد سبقه بما يمسه من تقدمه ، فإذًا يجب على المتأخر ان ينمس ويشرع ، ما لم يسبقه اليه من تقدمه ولو لم يكن الاختلاف في نفس الأوضاع

موجوداً كيف كان يمكنه هو ان يغير ناموس المتقدم ولا يخالفه في الوضع ، فلمَّا كان الاختلاف موجودًا في الأوضاع سهل عليه نسخ ناموس من تقدمه ووضع ناموسه[1] فان من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد فاعرفه .

وعلة اختلاف الأوضاع فأنَّا نقول بعون الله وتوفيقه : ان العلة فيها هي ان أوضاع الرسل بإزاء التراكيب في الأجرام المستديرة وترى التراكيب مختلفة بإفعالها وحركاتها في البطيء والسرعة وفي التشريق والتغريب وفي المسعدة والمنحسة وفي الضياء والظلمة وفي التذكير والتأنيث الى سائر ما فيها من الاختلافات ثم تكون التراكيب عند قيام كل رسول بحالاتها والحالات التي تكون عند قيام الرسول الآخر والقائم بالرسالة من الاشراف على احوال التراكيب من ابتداء دوره الى انتهائه اشراف حقيقي علمي لا يخفى عليه كيفيتها وكيفية ما يحتاج الى وصفه من شرائعه التي تستقر في نفوس امته مدة دوره فاذا انقضى دوره وقام بالرسالة غيره وجد التراكيب في هيئتها مخالفة لما كانت عليه عند قيام الرسول الأول فيضع أوضاعه ويشرع شرائعه موافقة لما تجري عليه حركات التراكيب فإذًا من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد فاعرفه .

وان الشريعة سياسة دينية لمصلحة العباد في دنياهم وآخرتهم كما ان الطب سياسة بدنية لمصلحة حفظ الصحة لهم ورفع الامراض عنهم ثم لمَّا اختلفت أوضاع الطب وجب ان يكون الأطباء اكثر من واحد وذلك ان من الطب معالجة العين ومنها معالجته بالكي ومنها معالجة القروح والجراحات ومنها علاجات الأمراض المؤمنة الى سائر السياسات الطبية وقد تختلف بحسب المواضع والامكنة فيكون للطبيب الذي يسكن ناحية الهند والسند من السياسة في دفع الأمراض عن اهلها وحفظ الصحة لهم خلاف ما للطبيب الذي يسكن ناحية الترك والخزر[2] ، ولو استعمل الساكن بناحية الهند في سياسة المرض الذين في ناحيته ما يستعمله الذي يسكن بناحية الترك من الأطباء لأهلكهم وبالعكس وهكذا تختلف السياسة الطبيّة بحسب الأمكنة فان سياسة الطبيب في الشتاء توجب اشياء ممَّا لا توجبه في الصيف وبالضد كذلك

(١) وردت بنسخة س نواميسه .
(١) وردت بنسخة س والجزر .

كل رسول تختلف سياسته وشريعته(١) بحسب زمانه ومكانه وقومه المرسل اليهم فقد ثبت ان من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد ولو تواترت الرسل بشريعة واحدة وناموس واحد .

ثم ترى الشريعة لاثبات لها على حالتها بل تراها تضعف بعد القوة فقد كان الرسول المتأخر اذا لزم امته وقومه بشريعة ألفوها واعتادوها برهة من دهرهم وتوارثوها عن ابائهم واجدادهم وقد سئموها فلا يستطيبوا بها كانت سياسة لهم خلاف ما عليه مجرى امر السياسة وذلك كما ترى في الشاهد من الطبيب اذا عالج المريض بنوع من السياسة الطبّية فبدنه يقبل ذلك السياسة برهة من عمره وينجع فيه ادويتـه ويخفف عليها مرضه مدة من المدد فاذا ضعفت تلك السياسة ولم ينجع فيه تلك الأدوية ولم يخفف عليها مرضه بل يزيد في مرضه وضعفه ، اتراه يواظب على تلك السياسة ام يرجع عنها الى خلافها ممّا هي انفع منها له في دفع مرضه وحفظ صحته بل يرجع عنها الى ما يتخيل انجع فيها وانفع له وأبرأ لمرضه النفسية وهذه أوجبت كثرة الاختلاف في أوضاع الرسل مع وجود الحكمة في كل اختلاف من اختلافاتهم وما يؤدي كل اختلاف فيها من الحكمة والتأويل بتمام الدين حتى صارت الحالة التي لو رفعت الاختلافات عن الأوضاع زال الدين ولم يبلغ المقصود به الى غايته ونهايته فإذاً من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون للرسل اكثر من واحد فاعرفه .

الفصل السابع من المقالة الخامسة :

« في ان كل رسول يفضل على الذي تقدمه بدرجة أو درجات »

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ

(١) سقطت بنسخة س .

مَا يُرِيدُ﴾ ولمّا كان كل ذي فضل بالفضل الذي اختصّ به يغلب من دونه بالفضل والدرج ثم وجد كل رسول يغلب قوم الرسول الذي تقدمه ويوجب عليهم ترك شرائعهم ولزوم شريعته وكان ذلك من جهة فضل المختصر به فانه لو سوى فضل الرسول المتقدم بفضل الرسول المتأخر كان يتجاسر ان ينسخ بشريعته شريعة ثانية وليس له من الفضل الآ ما عند المتقدم ، الا ترى ان الرجل المعروف بالبسالـة والشجاعة لا يجسر سياساته ومبارزته من يساوي بشجاعته او من هو دون شجاعته بل الذي يجسر من نفسه فضل الشجاعة يبارزه ويغلبه بالفضل المختص به ولو بارزه من يساويه بالشجاعة او من لا يبلغ مبلغه لم يمكنه غلبته علم من هذه الجهة ان غلبة الرسول المتأخر قوم الرسول المتقدم من جهة الفضل المختص به الموجود فيه فإذاً كل رسول يفضل على الذي تقدمه بالدرجة او الدرجتين ، وايضاً فان الأوائل من العلوم دون الثواني والثواني دون الثوالث الى ان يبلغ الامر الى العلم الذي يحتاج في الإبانة عنه الى وضع مقومات له ويكون ذلك العلم افضل من العلوم التي تقدمته لانه ابعد عن الدرك لخفائه ولطافته ولا يمكن الإحاطة به الآ بعد الإحاطة بمقدماته لذلك الرسول المتقدم لا يمكنه درك العلم المدخر للرسول المتأخر ولا يمكن ان يظهر من تقبل ذلك العلم الشريف والمرتبة الخطيرة ما لم تقدمه الرسل الذين تقدموه فإذاً كل رسول يفضل على الذين تتقدمه بدرجة او درجتين ، ولا خلاف ان كل قوم قد تقدمتهم الأزمنة ليكون طريق السياسة جارية على سنتها كذلك الرسول المتأخر اذا رأى في قوم الرسول الأول وهناً بشريعتهم واستخفافاً بهـا نمى لهم بخلافها من الأوضاع لينجع فيهم ذلك وتطمئن نفوسهم به وتستقر عليه وانما يمكنه ان يفعل ذلك بوجود اختلاف الأوضاع ، فان من اجل اختلاف الأوضاع وجب ان يكون الرسل اكثر من واحد .

فان قال قائل: ان جاز للشرائع ان يخالف بعضها بعضاً فما بال الشريعة الواحدة من وضع الرسول الواحد قد اختلفت في ذاتها فيكون في كل وقت للشريعة الواحدة حـال ليست بموجودة في تلك الحال في وقت آخر ، بل حال مخالفة للحال الاولى وهي مثل الصلاة التي تختلف من جهة العدد فتكون صلاة عددها ركعتان وصلاة عددها ثلاث ركعات ، فصلاة عددها اربع ، وكذلك احوالها مثل الإجهار والإخفات ، فان في بعض الصلاة يجهر وفي بعضها يخافت ، ومثل الركوع انه واحد والسجود اثنين وكذلك الزكاة مختلفة الاوزان والاعداد كما هو مشروع في أبواب

الشريعة وهكذا جميع الشرائع من الحج والطلاق والنكاح والبيع والشراء مختلفة الشرائط[١] ويقال له ان الاشخاص الواقعة تحت النوع وان اختلفت بالعدد ، فان الشخص الواحد مختلف الاجزاء وذلك ان في اجزاء البدن ما يكون له منفذاً واحداً مثل الفم وما يكون له منفذان وهو الاذن والأنف ، وما يكون له ثلاثة اجزاء وهو البياض والسواد والناظر في العين الواحدة وماله أربع قوى وهي القوى الأربعة الموجودة في البدن مثل الجاذبة والماسكة والمتغيرة والمبرزة ، ومنها ما له خمس من القوى مثل المشاعر الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس ومنها ما له ستة من الأوعية وهي مثل الامعاء الست في البدن الى سائر ما في الاعداد من البدن في الوضع والشكل والقوى والآلات ، فإذا جاز ان يكون في الشخص الواحد الذي لا يتجزأ في ذاته ان يكون له قوى وأشكال وآلات مختلفة فغير ممكن ان لا يكون للشريعة الواحدة حالات مختلفة الهيات فاعرفه .

وان اختلاف الأوضاع من سعة القدرة[٢] ، لان سعة القدرة للمطبوعين أوجبت كثرة الاختلافات فيها مع وجود الحكمة في كل اختلاف من اختلافاتها وما لا يدري كل واحد منها من ذاته من المنفعة لصلاح الشيء الذي اختلفت اجزاؤه حتى صار بالحالة التي لو رفعت الاختلافات الطبيعية عنه دخل النقص فيه ولم توجد منفعته كذلك سعة القدرة في الاوهام الطويلة هم اكيس وأفهم من القوم الذين لم تتقدمهم الازمنة الطويلة وقد قيل في المثل من لم يؤدبه والداه يؤدبه الليل والنهار ، ومن الحكمة ان يرسل الى كل قوم من الرسل على مقدار فهمهم ولطافتهم فلا يرسل الى الزطوط والانباط من الرسل ما يرسل الى اهل يونان ، ولو فعل ذلك كان سفهاً وإبطالاً للمنفعة ، ولمّا وجب ان كل قوم قد مرّت قبلهم الازمنة الطويلة هم أكيس من القوم الذين لم تمر بهم الازمنة الطويلة وجب ان يكون الرسول المرسل اليهم أفضل وأرفع من الرسول المرسل الى القوم الذين لم تمر بهم الازمنة ، فإذاً كل رسول يفضل على الذي تقدمه بدرجة او درجتين فاعرفه .

وهكذا المواليد الطبيعية بعضها اقدم في الطبع من البعض والفضل للمتأخر منها على المتقدم ظاهر وذلك ان النبات اقدم في الطبع من الحيوان ودونه في الفضل

(١) في نسخة س وردت الشرائع .
(٢) في نسخة س وردت المقدرة .

الشرف[١] ، والحيوان اقدم في الطبع من الانسان ودونه بالفضل والشرف ، والانسان اقدم من الرسل ودونهم بالفضل والشرف والمرتبة كذلك كل رسول فضله دون فضل المتأخر ، فإذاً كل رسول يفضل على الذي تقدمه بدرجة او درجتين ، ومن هذه الجهة حكى محمد صلّى الله عليه وآله اطلاعه على مراتب النطقاء في ليلة المعراج وانه رأى آدم في السماء الدنيا الى سائر ما حكى من رؤيته لكل ناطق اعلى من صاحبه الى ان يبلغ سدرة المنتهى في السماء وهو بلوغ كل ناطق الى حروفه المختص به من الحروف السبعة العلوية ، وكل رسول فضله على من تقدمه كفضل كل سماء على من تحتها من السموات فإذاً كل رسول يفضل على من تقدمه بدرجة او بدرجتين فاعرفه .

وانظر ان اردت ان تقف على جميع ما ذكرناه من فضل المتأخر على المتقدم الى ما اضاف الله تبارك وتعالى الى كل ناطق من السمات فأضاف الى آدم الاصطفاء وعمّ بالاصطفاء من بعده من النطقاء في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وأضاف الى نوح النداء في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ وعمّ به من بعده من النطقاء في قوله ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾ ثم الخلة اضافها إلى ابراهيم قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ وأضاف الكلام الى موسى قوله: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ وأضاف الكلمة والروح الى عيسى قوله ﴿رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ ، وأضاف الرؤية الى محمد صلّى الله عليه وآله قوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ، واضاف المجازاة والمحاسبة الى القائم على ذكره السلام ، فصاحب النداء افضل من صاحب الاصطفاء وصاحب الخلة افضل من صاحب النداء وصاحب الكلام أفضل من صاحب الخلة وصاحب الكلمة والروح

(١) سقطت في نسخة س .

افضل من صاحب الكلام وصاحب الرويّة افضل من صاحب الكلمة والروح وأفضلهم كلهم اذا قدر على المجازاة والمحاسبة ، فإذاً كل رسول يفضل على الذي تقدمه بدرجة او درجتين فاعرفه .

ولمّا كانت الإمامة متولدة من النبوءة ثم وجدت الامامة تزداد عند كل امام شرفاً وفضلاً ويظهر لك ذلك عند بلوغ الامامة الى السابع من الائمة فانه يصير ناطقاً ، فلو لم يكن فيه من الفضل والشرف ، ليس في الائمة الذين تقدموه لم يبلغ الى مرتبته الناطقية ، واذا كان للسابع من الائمة الفضل والشرف على من تقدمه ظاهراً كان للسادس ايضاً الفضل على من تقدمه ، وللخامس كذلك الفضل على من تقدمه الى ان ينتهي الأمر الى اول الأئمة، فاذاً كل رسول يفضل على من تقدمه بدرجة او درجتين فاعرفه .

الفصل الثامن من المقالة الخامسة :

« في ان نهاية الكل من الرسل القائم عليه السلام »

ان القيامة التي دعا اليها المرسلون موسومة بيوم الحساب والمتعارف من الحساب انه احصاء الشيء الذي بلغ الى غايته ونهايته وتحصيل المدخل[1] والمخرج وإثبات ما حصل منهما ثم وجدت الرسل في وضعهم النواميس لم يحاسب احد منهم قوم الرسول المتقدم بل وضعوا اشياء هي احوج الى المحاسبة من وضع الرسول المتقدم اذ ليس احد منهم هو النهاية ، فلمّا بلغ الأمر الى القائم عليه السلام الزم الامم السالفة بمحاسبة ما الزموا انفسهم من استعمال نواميس رسلهم والمطالبة لهم باحصاء حقائقها لان سمة المحاسبة ان يقابل سواد احدهما بسواد الآخر فاذا انقص سواد احدهما بحرف عن سواد صاحبه حصل عليه بمقدار النقصان فاذا استوى السوادان فقد برئ المحاسب من الحساب فإذاً فضله اثبت ويظل باقياً ، فمعنى مقابلة السوادين بمقابلة الشرائع بالآفاق والانفس فمن كان مقدار علمه ومعرفته ان عرف من شهادات الآفاق والانفس ما استووا بما يستعلمه فقد برئ من العقوبة التي تلزم الانفس ومن خفي عليه شيء منا كانت منزلته منزلة من يحصى عليه الحساب ، ومن اخبر عمّا يستعمله من الشرائع بما قد يزيد في علمه ويأخذ به شهادة الآفاق والانفس كانت

(١) وردت بنسخة س الداخل .

منزلة من يفضل لــه بشيء فيثبت له باقياً فمن هذه قلنا ان نهاية الرسل الى القائم سلام الله على ذكره ، اذ هو الموسوم بالمحاسبة ويوم الحساب ثم هي اعني القيامة موسومة بيوم الجزاء ، والجزاء انما يكون بعد العمل للرسل الذين يقدموه وليس كلهم ولا واحد منهم جاز امته بما لزم من العلم بل اخبرهم ان اليوم الذي يثبت لهم الجزاء فيه بما عملوا هو اليوم الآخر وانه يوجب عليهم الايمان بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ اذ هو النهاية والغاية والحدود الجسمانية كلها داخلة فيه ومن آمن بذلك اليوم حق الايمان فقد آمن بها دونه من الايام التي يجب الايمان بها اذ ان حقيقة الايمان بذلك اليوم هو الوقوف على جميع الحدود والواقف على جميع الحدود مرهوبا ، فاذاً نهاية الكل من الرسل الى القائم عليه السلام ووسم يومها بيوم الجمع .

على ان القائم سلام الله على ذكره يجمع بين النواميس المختلفة المتفرقة المتبائنة بالكشف عن حقائقها فتصير مجموعة كأنها شريعة واحدة ، وكأن امهما امة واحدة وانما يتهيأ له ذلك لبلوغ امر الرسل الى غايته ونهايته كالشخص الواحد اذا تمّ نشوءه في بطن امه خرج منها حساساً واستولت عليه حيوية ظهرت على جميع اعضائه التي سواها في بطن امه ، فاستعمل كل عضو من اعضائه في السبب الذي من اجله هيأ العين للبصر والاذن للسمع والانف للشم والفم للذوق واليد للمس والرجل للسعي وما لم يكن له نشوء الاعضاء لم يمكن المتولي[1] على الاعضاء استعمالها كذلك القائم عليه السلام ما لم يمض قبله الرسل الذين من اجلهم وقعت النواميس المختلفة بالوضع لم يمكنه جمعها بالكشف عن حقائقها ووضع كل شيء منها موضعه بعد التحقيق ، فقد صحّ ان نهاية الكل من الرسل الى القائم عليه السلام .

ثم نظرنا الى الاسابيع فوجدناها كلها متناهية كل سبعة منها الى السابع وهو مثل الكواكب السبعة السيارة[2] فقد انتهت صعودها الى كيوان وهبوطها الى القمر وكذلك الاقاليم قد انتهت صعداً من جهة العمران الى السابع ثم ينقطع الى العمران

(١) وردت بنسخة س المستولي.
(٢) وردت بنسخة س الطيارة .

وكذلك الاقاليم قد انتهت من جهة الاعلام والاسامي الى السابع ثم تعود من الرأس ، وهكذا الدائرة من جهة البركار ينهي الى البعد السابع وهو مثل البعد الذي يقع بين رأس البركار والابعاد الست المحيطة بالاعضاء وكذلك الاعضاء الستة الباطنة ينتهي امرها الى العضو السابع وهو الكليتان ومنه توليد الصور الجسمانية كما ان من السابع من النطقاء وهو القائم عليه السلام يكون بعث الصور الروحانية فاذاً نهاية الكل من الرسل الى القائم عليه السلام .

وقد ذكر الله تعالى خلقة الانسان بالاحوال الست من الطين والنطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم ثم ختمها بالخلق الآخر الذي هو ابتداء الجنين واستعمالها الآلات التي هيأها في بطن امه بالحالات الست المذكورة وهو انه ما دام في بطن امه متصرفاً بين الحالات الست فان عمل النفس النامية فيه موجود وعمل النفس الحسيّة مفقود وان النفس النامية تعمل فيه دائباً لتكمل آلته التي تصلح للنفس الحسيّة في استعمالها ، فلمّا تمّت الاحوال الست والاشهر التسعة التي فيها ستر الجنين لفظته الطبيعة من جوف الأم واستولت عليه النفس الحسيّة وقدرت على استعماله فيما هيأه الخالق له من ادراك المحسوسات بمشاعره الخمس كذلك نقول ان خلقه الصور الروحانية انما تكمل بالنطقاء الستة فقام كل ناطق بازاء حال من الاحوال الستة ، فآدم بازاء الطين ، ونوح بازاء النطفة ، وإبراهيم بازاء العلقة ، وموسى بازاء المضغة وعيسى بازاء العظام ومحمد بازاء اللحم ، والقائم بازاء الخلق الآخر ، وما لم يمض ادوار النطقاء الستة كل ناطق بذاته وأساسه وأئمته السبعة يكون مبلغهم تسعة حدود في الستر والكتمان[1] لا ينتهي الأمر الى القائم المتوكل بالكشف والقادر على اتصال خط الانفس اليها من العالم الروحاني فاذاً نهاية الكل من الرسل الى القائم سلام الله على ذكره .

والقيامة موسومة ايضاً بيوم الفصل ، لان الفصل انما يكون بعد الخصومة والمنازعة فيفصل بين الخصمين والمتنازعين باقامة الحق والمخاصمات انما تكون بين أهل الشرائع فيما ينتحلونه ويتقلدونه من الديانات فيكفر بعضهم بعضاً ، وترى كل فرقة منهاجها وصاحبتها فاذا بلغت الخصومات والمنازعات الى غايتها ونهايتها ظهر القائم بالحق فيفصل بين اهل الاديان بالكشف عن حقائق ما ينتحلونه ولا يبقى

(١) سقطت في نسخة س .

لهم خصومة ولا منازعة وقال الله تعالى ﴿وأشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يعني اشرقت التأويلات والحقائق التي عليها استقرار النفوس الزكية بنور ربها عنى به القائم ووضع الكتاب وجيء بالنبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون يعني وألزم اهل الاديان الرجوع الى الحقائق والقرار عليها وليس فيما يلزمونه وضع شيء في غير موضعه فاذاً نهاية الكل من الرسل الى القائم سلام الله عليه .

الفصل التاسع من المقالة الخامسة :

« في ان بالرسل تمّ صلاح العالمين »

ان الكثرة في العالم الطبيعي موجودة والاختلاف العام والخاص لازم له والكميات والكيفيات متداخلة ، وقصد الطبائع في كل جزء من اجزائه صغر ام كبر على ما فيه من الطبع والخاصية والمضرة والمنفعة لتمام الحكمة غير مدفوع وفي الإفاضة العقلية درك كل مقصود دون الابداع واجب ، ولو ابرز العالم عن الإفاضة العقلية اهملت المعارف ، وفي اهمال المعارف ابطال المنافع وفي ابطال المنافع اهدار الحكم وفي اهدار[1] الحكم نقصان الخلقة وفي نقصان الخلقة ظهور الضعف وفي ظهور الضعف استيلاء الفساد عليه وفي دفع استيلاء الفساد استيقان الحس به وما لم يستيقن الحس في كليته يستولي الفساد عليه وفي دفع استيلاء الفساد عن الكل ظهور القوة وفي ظهور القوة ظهور تمام[2] الخلقة وفي تمام الخلقة كمال الحكمة وفي كمال الحكمة بيان المنافع وفي بيان المنافع وجوب المعارف وفي وجوب المعارف لزوم الافاضة العقلية وفي لزوم الإفاضة العقلية يثبت من فيهم وتظهر الإفاضة العقلية وهم الرسل ، ثم الاخبار عن العالم الروحاني مع غيبته وخفائه وبعده عن الادراك بالمشاعر الحسيّة غير ممكن للبشر وفي امتناع درك البشر العالم الروحاني بالمشاعر الحسيّة سعة الإنكار به وفي سعة الانكار به الرغبة عنه وفي الرغبة صفة النفس وفي صفة النفس زوال الإفاضة وفي زوال الإفاضة ظهور الشح[3] في المبدع الأول وفي ظهور الشح في المبدع الاول نقصانه في الابداع وليس في الابداع نقصان فليس في المبدع الاول شح ، وفي

(١) وردت في نسخة س اصدار .
(٢) وردت في نسخة س عامق .
(٣) وردت في نسخة س الشيخ .

زوال الشح عنه دوام الإفاضة وفي دوام الافاضة رفعة النفس وفي رفعة النفس الرغبة الى العالم الروحاني وفي الرغبة اليه الاقرار به وفي الاقرار به يثبت من الزم الاقرار للخلق وهم الرسل وبثبوتهم تم صلاح العالمين .

فان قال قائل: ان المعارف موجودة من دون الرسل فإنّا نرى الحكماء قد استخرجوا بلطافة اذهانهم منافع الحكمة ومقاصدها ووضعوها مواضعها ولم يغفلوا عن دقيقها(١) او جليلها ، فإمّا ان يبلغوهم رسلاً او يبطل الرسالة من حيث اثبتوها ، يقال له الجواب عن هذا جوابان احدهما ان الحكماء الذين اضيفت المعارف اليهم كل واحد منهم منسوب بتلميذه الى استاذه واستاذه الى استاذه ولم يبلغ احد منهم الى غاية استغنى عن النسبة الى من ناسبه ولم توجد مناسبتهم الى متأخر عن مدعي يدعي انه رسول الخالق ، فصار هذا الرسول الى الغاية المستغنية عن الاستاذ فأرشد الخلق الى طريق المعارف بتأييد الخالق اياه ، والجواب الآخر ان الإفاضة العقلية لمّا كانت في نوع الانسانية دون سائر الانواع الحيوانية وكانت الرسل مختصة بها دون غيرهم لمعت فيمن شارك الرسل من البشر اثار غير كاملة فوقفوا بتلك الآثار على بعض المعارف ولم يقفوا على سواء السبيل ، والدليل على ان الآثار اللامعة في انفس الحكماء غير كاملة كان صعودهم الى درك المعلومات بالمقدمات والقضايا المقترنة المتعاونة(٢) فلو كانت الآثار اللامعة فيهم كاملة ما احتاجوا الى اقتران قضاياهم في الوقوف على الكيفيات والرسل صلوات الله عليهم فقد استغنوا بكمال آثارهم عن اقتران القضايا واقتصروا على القضايا المفردة دون الاستعانة بالقضايا المقترنة المتفاوتة فصارت النتائج التي نتجت عن قضاياهم المفردة اصح وأبرأ من العيوب من القضايا المقترنة التي يستعملها الحكماء وليس للإبانة عن القضايا المفردة التي يستعملها للرسل ههنا وجه اذا كنا نحتاج في الإبانة عنها الى اوراق كثيرة ولعلنا نشرح بعضها في المقالة السابعة من هذا الكتاب عند شرحنا العجائب الموجودة في القرآن انشاء الله تعالى .

وان الحكماء الذين وقفوا على بعض المعارف هم امّا اطبـاء وامّا منجمون واصحـاب هندسة او موسيقى ، فإمّا الاطباء منهم فهم الذين صنفوا مهنتهم

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

على حفظ الصحة ورفع الامراض عن الابدان وليسوا الا واحد منهم احتال لحفظ الصحة ودفع الامراض عن الارواح كما رأينا الرسل صلوات الله عليهم قد اجتهدوا في حفظ الصحة ودفع الامراض عن الارواح فنالوا بتدبير الرسل الديمومة والتخليد في دار الجزاء ، وامّا المنجمون فهم الذين وضعوا مهنتهم على حفظ الحركات الفلكية ومقادير اجرامها وقرب بعض اجرامها الى بعض وما يحدث عن الكوائن عنها وليسوا الاّ واحد منهم احتال لحفظ حركات النفس الشريفة في بعض الادوار وكيفية اتحادها بالاجساد كما رأينا الرسل قد احتالوا بلطافة انفسهم وشرفها ان وقفوا على حركات الانفس في كل دور وكيف تتحد بالاشخاص وذلك انا نراهم يحكون عن اتحـاد الانفس الشريفة بالاجساد وهي كالنجوم الطالعات في الاجرام الفلكية كما حكى في سفر اشعيا قوله : — قم نظار اما ترى ؟ فقال ارى راكبين راكب حمار وراكب بعير وهي الحكاية عن طلوع عيسى ومحمد عليهما السلام ، وامّا أصحاب الهندسة فهم الذين وضعوا مهنتهم على مساحة الاجرام الطبيعية وعجزوا عن مساحة الجواهر الروحانية ، ونرى نحن الرسل صلوات الله عليهم قد قدروا على مساحاتها وهو قولهم القصور والجنان والخيام والاكواب والاباريق وغير ممكن الحكاية عن شيء بالوصف والنعت الاّ بعد الاحاطة بعينه وإذا أحاطت بعينه فقد مسحته مساحة وهمية افرزته بتلك عن غيره من الاشياء المشاكلة له وامّا اصحاب الموسيقى فهم الذين وضعوا مهنتهم على تأليف الالحان والاصوات والنغمات واحتالوا في بناء مهنتهم على الاستعانة بالادب وبالآلات الطبيعية . والرسل صلوات الله عليهم قد وضعوا موسيقاهم على فطرات نفسانية وتأليفات روحانية ما تمل النفس من قبول هذه القوة بين ظهراني اممهم ، فمن هذا قلنا ان بالرسل تم صلاح العالمين .

وان الحكماء الذين زعموا انهم وقفوا على المعارف لمّا قسموا الحكمة الى قسمين: وهما العلم والعمل ، وقسموا العمل الى ثلاثة اقسام: اعطوا سياسة العامة احد اقسامه ، ثم عمدوا الى سياسة العامة فأضافوها الى بناء المدن ووضع المحاسن وكيفية اللباس ، فما ابعد ما بين سياساتهم وسياسة محمد صلّى الله عليه وآله في امته اذ جعل سياسة العامة إقامة الصلوات الخمس في كل يوم وليلة مع ما فيها من ذكر الله تعالى والثناء عليه وتسبيحه وتقديسه عند كل رفع وخفض وما قدم على الصلوات من إسباغ الوضوء والطهارات ومن بعد ذلك إيتاء الزكاة وتفريقها في الضعفاء الذين عجزوا عن القيام بالنفقات الى سائر ما في الشرائع من طاعة الله وطاعة رسوله ، فهـل

تتساوى سياساتهم بسياسة الرسل او ان لهم القدرة على وضع ناموس شرعي وتدبير ديني ، فإذاً بالرسل تم صلاح العالمين .

الفصل العاشر من المقالة الخامسة :

« في الفرق بين النبوءة والمملكة وفي ان المملكة لا تقوم الا بالنبوءة »

ان الفرق بين النبوءة والمملكة هي ان النبوءة منة من منن الله يمنّ بها على ما يشاء من عباده ، والمملكة دولة منتقلة بين الناس ثم هي اعني النبوءة تنزع الملك ممن بايديهم الملك وتضمه الى نفسها ثم يجتهد في تقويتها والقيام بما ليشد بها ملكة ، ثم هي اعني النبوءة لا تحكم باحكام الملك ولا تجري على سياساتها ، والمملكة لا بد لها ان تحكم باحكام النبوءة ويجري على مناهجها ، ثم هي اعني النبوءة احكامها معدودة متساوية واعمالها موزونة(١) متكافئة ، واحكام المملكة غير معلومة ولا معدودة ولا متساوية او موزونة بل هي اعني المملكة على البحث وحسن الرأي ، ثم هي اعني النبوءة موجودة في بقعة من البقاع غير منتقلة عنها الى غيرها من البقاع والمملكة لا يخلو منها موضع من المواضع في العالم فان السند والهند والصين والزنج والترك والخزر والصقالبة(٢) والروم خالية عن ظهور من يدعي النبوءة فيها ولا تخلو بقعة من بقاعها عن ملك يملكها فامّا بقعة النبوءة فهي ما بين مكة الى ناحية الشام وبيت المقدس ، ثم هي اعني النبوءة ذات اسماء مختلفة وسمات غير متفقة تحت كل اسم منها عدة اشخاص مسمين به ويقال على اشخاصها كقول الجنس على الانواع وكقول النوع على الاشخاص وهي مثل الاسلام واليهودية والنصرانية والصائبة والمجوسية والثنوية ، فيقال كل اسم منها على الاشخاص المسمين به ولهم سمات يعرفون بها ميقات الفصل بينهم للقائم سلام الله عليه ، وقد قال الله تعالى في هؤلاء : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ اي ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وليست المملكة كذلك فليس ينتج منها اسامي غير اسم الملك .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) سقطت في نسخة س .

ثم هي اعني النبوءة غير ممكن ايراثها بعد المخصوص بها بكليتها بل منها ما هي موروثة بعده وهي الوصاية والإمامة ومنها ما هي غير موروثة بعده لمن يقوم مقامه وهي الرسالة والمملكة يمكن اثباتها للخليفة من بعده وربما فاق الخليفة على من استخلفه بالاستيلاء على ما يعذر على المستخلف استيلاءه عليه وهي اعني النبوءة اذ خصّ بها احد فان قوام من بعده بذكر المخصوص وهو مثل ذكر الرسول صلّى الله عليه وآله في الأذان والإمامة مثل ذكره في الصلاة ، بالصلاة عليه في التشهد ومثل ذكره في قبول الاسلام لأهل الذمة ومثل ذكره في الخطب للجمعات والاعياد واصحاب الممالك إذا انقرضوا فلا يحتاج القائم بعده الى ذكرهم في قوام ملكه .

ثم هي اعني النبوءة مرجو ثواب الأمم في ان كل امة ترجو الثواب من الله بخضوعها وانقيادها وحسن طاعتها لرسول دورها وبالجري على مناهجه وببذل المودة له ولمن قبله ، وليست المملكة كذلك بل كثيرة منها ما يكون خوف اتباعها من عقوبة الله بما اتبعوا ملوكهم وأطاعوهم حتى أضلوهم السبيل وجلون بما كسبت أيديهم اذ خالفوا رسوله في طاعة سلاطينهم الظلمة الفسقة الذين هدموا ابنية الرسل وأسسوا ابنية الضلالة وسموها سياسة ، واي سياسة أحكم وأتقن ما ساس الله عباده على السن رسله لكن سياسة الله لم تطلق لهم ما يوئّي هواهم فنبذوها وراء ظهورهم ألا لعنة الله على الظالمين .

ثم هي اعني النبوءة تجمع مكارم الاخلاق من العلم والحلم والعدل والنصفة(١) والرأفة والصدق والأمانة والبر والتقوى والشجاعة والسخاء ، كما قال الله جل جلاله في وصف نبينا عليه السلام . ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومدح خلقه القرآن ، وسنأتي على بيانه في المقالة السابعة من هذا الكتاب ، واما أصحاب الممالك فان اكثرهم مجمع مساوئ الاخلاق من الجهل والطيش والجرم والغضب والقسوة والغلظة والكذب والخيانة والفجور والشره والجبن والشح(٢) الى سائر ما في الانبياء من مكارم الاخلاق وما في أصحاب الممالك من مساوئها ثم هي اعني النبوءة لا ينالها الامر ويستحقها ولا تتصل بذوي النقص والنذالة بل فيهم تعالت انفسهم من نقصانها ولطافتها وتناهيها فلا يصلح بها رئاسة او خساسة . والمملكة ليست كذلك فانها

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت في نسخة س والشيخ .

قد ينالها من لا يستحقها ويدركها ذوي النقص والنذالة من تركي وصقلبي فهذا الفرق بين النبوة والمملكة .

فأمّا الأمر في ان المملكة لا تقوم الاّ بالنبوة فانّا نخبر عنه الآن فنقول ان المواليد من البدء الى البشر مفقودة الرئاسة ، وفي البشر موجودة وذلك انّا لا نجد شيئاً من المعادن وهو رئيس سائرها ، ولا شيء من النبات يترأس على الاشجار التي من نوعه ولا شيء من الحيوان الغير ناطقة من هو رئيس في نوعه ولا المشاركين له في النوعية يرجعون اليه في الرئاسة لا نوع حمار ولا نوع فرس ولا نوع ثور ولا نوع فيل ولا نوع اسد بل كلما وصفناه من المواليد كانها شيء مهمل لا يأنس بعضهم الى بعض فلمّا بلغ الامر الى الانسان وجد في نوعه الرئيس والمرؤوس فنظرنا فيه فوجدناه من ارث النبوة لان بالنبوة تثبت الرئاسة للرسول على القوم المرسل اليهم ليرجعوا اليه بالاستماع والقبول وليبلغوا به الى دار القرار وكان ما بلغ الرسول اليهم من رسالة خالقهم أوضاعاً وأحكاماً تحتها اصباغ وإيمان وأبواب فلا بد من ائمة يحفظونها على الأمة ، فاغتصب ملوك ملة الرئاسة من أيديهم وجعلوها دولة يتداولها بنيهم معتصمين بعد النبوة مستيقنين بان المملكة لا تقوم لهم الاّ بالاعتصام بعدها وهو مثل ذكر اسماءهم على المنابر في الجمعات والاعياد بعد ذكر رسول الدور ومثل اثبات ذكر اسماءهم في السكة لضرب الدراهم والدنانير بعد ذكر اسم الرسول ولو انهم تفردوا بذكرهم وخلوا ذكر رسولهم لم يمكنهم ذلك فإذاً قوام المملكة بالنبوة .

فان رفعت النبوة عن المملكة لم يبق لها قوام ويصير الامر للمتغلبين فيكثر القدح بهم وكذلك الفساد من سفك الدماء والخراب وقلة الثبات لمن ينقلب ، لان آلة الغلبة قد تكثر في الناس من البطش والقوة والشجاعة وكل امرءٍ يجب ان تكون الرئاسة له والملك بيده فاذا لم يكن له مانع من الدين يحجزه عن التجاوز الى ما ليس له ولا من شأنه ومد يده الى ما هو من شأن غيره هشت نفسه الى الاستيلاء والغلبة فيكون من ذلك ظهور الفساد في الحرث والنسل الا ترى ان الدين لمّا ضعف زادت قوة المتغلبين ونقصت قوة المتملكين حتى سلبوهم اكثر الممالك وطمع في الملك كل هجين[١] منبوذ وكل سقيط مطرود فحرصوا في جمع الاموال ودفنها ولم يبالوا فيها

(١) وردت بنسخة س هاجن .

من حرام جمعوها او من حلال خوفاً من ان يزول عنهم ما استولوه عليه بغير استحقاق فيحتاجون الى ما ادخروه من الكنوز ولو كانت المملكة لهم بالاستحقاق لم يخافوا زوالها ولم يدخروا من الاموال الا ما يحتاجون اليه في الوقت فإذا قوام المملكة بالنبوة.

الفصل الحادي عشر من المقالة الخامسة :

« في علة وجوب الشريعة »

لمّا كانت عبادة الله تعالى ذكره غريزة جوهر السابق اذ لم يتكبر عن الخضوع لمن ابدعه طرفة عين بل هو يسبحه عن سمات المربوبين ويقدسه عن سمات المخلوقين حتى لو شذّ عن تسبيح المبدع وتقديسه كان ذلك رسماً جارياً على جوهره بل هو غير ذاهل[١] عن مبدعه طرفة عين فلمّا هبط الابداع عن أزلية السابق الى ما استوى امره وهو التالي لم تكن عبادته للمبدع بغريزة جوهره فقط بل بها وبما يرشده السابق اليه ، وكان سلوك التالي في الطبيعيات شيئاً لازماً لتمام الحكمة وظهور الفضيلة لان يبلغ اقصى غرضه في المواليد وهي الحي الناطق وهي اعين النفس تتبع مزاج البدن أوجبت الرسل على الابدان شرائع ونواميس ليكون ذلك تذكرة للنفس وإرشاداً لها الى معرفة عبادة الله تعالى ذكره منها ما يكون بالطهارات والغسل نظيره من عبادة الله نفي الصفات عنه ، فان القلب بالنفي يطهر من نجاسة الشبهات ومنها ما يكون بالقراءة والكلام له نظير ، وان التالي بالابتهال والتضرع الى السابق يصل الى خطه من وحدة مبدعة ومنها ما تكون الحركات مثل حركات الاعضاء في الصلوات نظيره ان التالي بحركة التشوق الى ما هو مدخر له من فوائد السابق يخرج من حد القوة الى حد الفعل ومنها ما يكون بالعطاء مثل الزكوات والصدقات نظيره ان التالي بافادته للنطقاء والاسس والاتماء يفتح له من خفيات ما عند السابق من مفاتيح الغيوب ومنها ما يكون بالامساك وهو مثل الصيام نظيره ان التالي بقنوعه ووقوفه على مرتبته ينال الدرجات السنية والمراتب الخطيرة ومنها ما يكون بالسفر والانتقال من موضع الى موضع وهو مثل الحج يعني ان التالي بالنطقاء السبعة ثم له سفرته في ظهور ما يلمع منه فوائده ومنها ما يكون بالغزو والجهاد يعني ان التالي ما لم يجاهد في الطبيعة وشهواتها لم يبلغ الى صفوته من سائر ما في الشرائع من اجزائها وحالاتها فأوجبوا على الأنفس

(١) وردت بنسخة س ذاهب .

هذه الشرائع المختلفة لتتبع النفس مزاجاتها وتعلم بغريزتها بما يلائمها من النفسانية العقلية لتكون عبادة الله تعالى لازمة لها ، فهذه علة وجوب الشريعة بالمجمل من القول فاعرفه .

ولوجوب الشريعة علة اخرى وهي ان النفس لمّا رأت البدن قد فرغ لاستعمال الشريعة والاقبال عليها مع ما في جبلته من الميل الى الدنيا والرغبة فيها اذ هو منها فانهـا اعني النفس لا ترضى الاّ بالاقبال على ما اليه معادها والزهد فيما ليس منه كونها ونشوءها فاعرفه .

ولوجوب الشريعة علة اخرى وهي ان الناس لو تركوا وما يهوونه مع تباين هممهم واختلاف مزاجاتهم لتوسعوا فيها وتكلفوا من استعمال شهواتهم بغرائز عقولهم التي وهبها الله لهم ليكسبوا بها ثواب الآخرة ما يصيرون به أسوأ حالاً من الحيوانـات المحرومين من العقل والتمييز اذ لم يكن لهم زاجر يزجرهم عمّا يكنونهم من الفواحش والمناكير وأوجب الله تعالى ذكره عليهم الشرائع ليكون استعمالهم بقضائها زاجراً لهم عمّا يتكلفونه من امضاء الشهوات فقال الله تعالى ذكره : ﴿ أتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ فهذا سوى ما له من رياضة النفس وتقويمها لقبول آثارها المقدرة لها من عالمها فاعرفه .

ولوجوب الشريعة علة اخرى وهي ان الشريعة كالتذكرة لهم بان لهم معبوداً هم عبيده وانه هو مالكهم وطاعته فرض عليهم لان القليل من الناس من يعرف بالاستدلال والاستشهار وادخال معبوده وما يلزمه من شكره لما انعم عليه من نعمه الظاهرة والباطنة والشرعية فقد علم الكل بارشادها حال معبودهم لان الرجل اذا فرغ من وضوئه استيقن بقضاء طاعته فيجد في نفسه فرحة القضاء والفراغ ممّا لزمه من طاعة خالقه وكذلك الغسل من الجنابة وكذلك عند الفراغ من الصلوات وعنـد الافطار من الصوم يجد الفرحة واللذة كما في بعض الاخبار المرويّة ان للصائم فرحتان فرحة عند لقاء ربه وفرحة عند افطاره وهكذا عند فراغه من عمل الحج والعمرة ، وعند اداء الزكاة والاعشار والاخماس فله عند كل اداء تذكرة لحال معبوده وخالقه واكثر الناس ايضاً لم يقفوا على كيفية الثواب بالعلم والمعرفـة اذ هم جسدانيون

طبيعيون فوجبت الشرائع عليهم ليتصور عندهم وصول الثواب اليهم باعمالهم وافعالهم فيبالغوا في طاعة الله خالقهم فيهم الصلاح كافتهم فهذا ما في علة وجوب الشريعة .

الفصل الثاني عشر من المقالة الخامسة :

« في كيفية رفع الشرائع ولماذا ؟ »

كما ان الطبيعة في شخص البشر اذا مالت عن الاعتدال زالت الصحة عنه وظهر السقم فيه ولزمه من سياسة الطب المنع عن بعض المأكولات المشتهاة والحجر عليه بالعكوف على تناول ما يكرههم ويقشعر منه بدنه ليسهل برئه ويزول عنـه مرضه ويرجع الى حال الصحة فيكون تدبير الطب له وسياسته اياه لما ذكرناه كالاغلال والقيود الموضوعة عليه فاذا زال المرض منه ورجع بدنه الى حال الصحة رفع الحجر عنه واطلق له التناول للمأكولات المشتهاة المألوفة والاجتناب عن البشعة الكريهة كذلك الانفس المتحدة باشخاص البشر اذا نسيت عالمها وعشقت عالم الطبيعة ومالت اليها وعطفت عليها وعبدتها زالت عن تنزيه مبدعها وتقديسه عن سمات المربوبين وشبهته بما عشقته ووسمته بما عبدته فلزمها من تدبير الدين وسياسته على السن اربابه الذين هم رسل الله للحظر والاباحة والأمر والنهي والحمل على البدن في كل وقت من رسوم الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة ليزول عنها ما يلطخ بها من أدناس التشبيه وادران التعطيل وتبلغ الى التقديس والتسبيح لمبدعها فتكون سياسة أرباب الدين للانفس كالاغلال والقيود الموضوعة عليها ، فاذا زالت عنها آفات التشبيه والتعطيل رفع عنها آفات النواميس المختلفة واطلق لها الاقتصار على قضاء حقائقها بالتفكر دون مثيل ، الم ترَ الى ما حكى الله تعالى ذكره في فضيلة ناطقنا عليه السلام اذ سمّى الشريعة الواجبة على الامم السالفة اغلالاً وإصراً قوله: ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وانما اكرمه الله تعالى ذكره برفع الاصار والاغلال عن امته لان التوحيد في شريعته قد بلغ الى اقصى غاياته من جهة الإداء والعبارة وهي الشهادة الخالصة التي جمعت بين النفي والإثبات . وان كانت الامة من بعده قد صرفتها الى جهتها المقصودة بها حيث اضافت اليها التشبيهات التي هي سمات الخلقة وصفات البرية فإذا بلغ الامر الى القائم سلام الله عليه رجع الحال من الكلام الى الفكرة ورفع عن التوحيد التقسيم والتفصيل الذين وقعا في هذه الشهادة من جهة الاداء بمنطق ولم يبق في التوحيد الا التقديس والتنزيه ورفع سلام الله

عليه بقايا الاغلال والاصار وساس الخلقة بالسياسة القدسية المستغنية عن التمييز.

ولمّا كانت الشرائع ذات حالتين: منهما محكم ومنهما متشابه فالمحكم منهما ما لا يكون للعالم صلاح الاّ به والمتشابه ما يمكن ان يكون للعالم صلاح بفقده رأينا ان نفصل بينهما ليتبين ما يرفع منهما وما لا يرفع والذي يرفع منهما او لا يرفع فأقول: ان الشريعة منها عقلي ومنها وصفي فالعقلي كتحريم قتل الانفس وأخذ الأموال من غير حلها وكعقد المناكحات التي تتبعها الانساب والاسباب وعقد البيوع التي يتبعها الاملاك وما اشبه ذلك ممّا لا قوام للعالم اذا اهمل الحظر والاباحة عنها والوصفي كالطهارات والصلواة والزكوات والصوم والحج وما اشبهها مما هي موضوعة من اجل اشياء مستورة فيها وذلك ان الحج في المسلمين انما هو قصد بيت في العالم لا نظير له ولا واحد الى بيت المقدس لليهود والنصارى كذلك قصد بيت لا نظير له في العالم وكذلك بيوت النيران للمجوس وبيت الاصنام لعبّاد الأوثان انما هو قصد بيوت معلومة[1] معروفة لا نظير لها في العالم كبيت الصنم الموضوع بالملتان وكبيت النار للمجوس الذي كان بناحية فارس وقصد الواضع في تلك قصد واحد وذلك انهم لما علموا ان الامة تخرج عن طاعة الائمة والأولياء الى طاعة الطواغيت[2] والاعداء قصد كل رسول الى بيت من البيوت فعظّمه وشرّفه وسمّاه بيت الله وأمر امته بالسعي نحوه وقضى بطاعته وفوّضه بالخدمة لذلك البيت وجعله سمة الإمام المفترض الطاعة للقائم بعده مقامه، فإذا بلغ الأمر الى الغاية التي لا يحتاج الامام فيها الى الكتمان والتواري وأخضع الخلق كلهم وصاروا تحت أمره ونهيه من غير ان يكون له منازع ينازعه في الإمامة والخلافة يجب رفع هذه الشريعة التي هي القصد الى هذه البيوت المذكورة انفاً اذ ظهر من هذه البيوت سمته وعلامته.

وهكذا الصيام للمسلمين واليهود والنصارى وعبادة الاوثان والزمزمة للمجوس انما وسمت بالصمت في وقت كتمان الحكمة والحق وذلك لغلبة الباطل وأهله على الحق واهلـه، ولمّا غلب الباطل وأهله على الحق وأهله قام الحق وأهله بالسكوت والكتمان لمذهبهم وكف السنتهم عن الخوض فيما لا رواج له خوفاً من ان يرموا بمـا يكون فيه حتفهم وهلاكهم فقال تعالى ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

(١) سقطت بنسخة س.
(٢) سقطت بنسخة س.

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ومعناه ارشد اجنحتك الى الستر بالظاهر وامنعهم عن الكشف عن نشر الحقائق بين أهـل الظاهر كيلا يعرفوا فيؤذوا فاذا ظهر القائم عليه السلام وتخلص المؤمنون من الستر والكتمان وقدروا على كشف مذاهبهم، وجب ايضاً رفع هذه الشريعة التي هي سمة الستر والكتمان.

وكذلك الغسل من الجنابة انما وضع بإزاء مجانبة الادلاء عند نشرهم الدعوة عن اضافتها الى انفسهم وتمني العظمة والفضل الذين ليسا من مرتبتهم فان اكثر المذاهب الفاسدة التي اثبتت في العالم انما هي من اجل هذا الخلق الذي تعرض للنفس فيدعي المبتلى به انه مفترض الطاعة وان الحق فيما يتخيل اليه ويتصور عنده وليس للامام من القوة والغلبة ما يقهره او يزجره عن تمني الفضل المحروم عنه فيأمر بمجانبة ما يغير ومن العلم بين المستجيبين عن نفسه وإضافته الى من جعله الله ينبوع العلم ومعدن الحكمة فإذا ظهر القائم سلام الله عليه وانقاد الخلق له وقهرهم بالقوة الممنونة عليه فقد انقطع طمع المخترعين عن إضافة المراتب الى انفسهم وادعوا ما ليس من شأنهم اذ الرئاسة انما تكون لمن قدرها الله له وهو القائم سلام الله على ذكره ويجب ايضاً رفع هذه الشريعة.

فأمّا الصلوات والطهارات والزكوات فانها وان كانت من الشرائع الوضعية في الاصل فقد صارت شبيهة بالمحكم التي بها قوام العالم ومصلحة البدن، فكذلك ان الطهارات فيها من تنقية البدن وتطهيره من الادناس والأدران التي بتنقيتها تتولد الانفس من السرور والفرح ما يتولد فتقوى في افعالها الارادية وكذلك الصلوات فيها من تحميد الله تعالى والثناء عليه والرغبة اليه ما لها فيه اعني الانفس من الرياضات الشريفة واكتساب الصفوة والعفة ورفع الكدورات[1] عنها وتعويقها عن الاستفادة من عالمها وهكذا الزكوات فانها من التوسعية للمحتاجين والضعفاء وسد خلاتهم ودفع فاقتهم ما قد صارت بالحالة التي فيها حبل المصلحة وقوام المعيشة فغير ممكن رفع هذه الاشياء بجملتها اللهم الاّ ما في حالاتها وهيئاتها وإثباتها على الولاء الذي وضعت على إبانة مراتب الحدود وما يؤدي كل واحد منها ما فيها من هبة الله

(١) وردت بنسخة س الاكدار.

وكمية مقداره فقد تمكن تغييرها وإزالتها وامرها الى من اليه دعوة الرسل من البدء الى الانتهاء في تغيير سبلها كيف شاء وليس لأحد دونه ان يغير شيئاً من الشرائع الظاهرة او يزيلها عن جهتها فمن فعل ذلك فقد تعرض للعنة الله ومقته .

فان قال قائل: الشرائع ترفع جملة واحدة في وقت واحد وفي كل زمان يرفع عنها شيء بشيء حتى يأتي على آخرها يقال له ان الشرائع لا يرفعها القائم بنفسه عن الامم ولا خلفاءه بل الامم يرفعونها عن انفسهم شيئاً بعد شيء حتى لا يبقى في أيديهم شيء عند ظهور القائم سلام الله على ذكره فإذا اشرقت الارض بنور ربها وقد وجد عرى الشرائع منحلة واهلها مهملة يكفر بعضهم بعضاً ويسفك بعضهم دم بعض وقد خلعوا عن انفسهم لباس الرحمة واستبدلوا لباس الجور والخيانة ووجدوا اهل الايمان مقهورين مغلوبين[1] واهل الجهل والنفاق قاهرين غالبين قد رضوا لانفسهم بالاسم دون الحقيقة فلم يبق حينئذ الا صيحة واحدة تأخذهم فهم يخصمون يعني لم يبق الا دعوة واحدة وهي دعوة العلم المحض تأخذ اهل التقليد والظاهر فلا يقدرون على كلمة واحدة وهي كلمة الاخلاص ليعبدوا الله ولا يشركونه شيئاً ويبلغ ترفع الفساد عن العالم لتبلغ النفس الى حظيرة القدس التي هي جوهر السابق المتحدة بكلمة الله تعالى ذكره والاقبال على الدوائر في حركاتها الى السعود[2] والخيرات ونفي الشرور عنها واذا عاين البشر من البركات والخيرات ما وصفناه يبدل الله لهم بعد الخوف امناً كما كانت عبادتهم لله تعالى ذكره بفراغة قلوبهم ونشاطة انفسهم بما فيها من التحميد والتمجيد والتقديس والخضوع والابتهال والتضرع[3] ما لا يحتاجون فيه الى واضع لهم كما انهم عند بلوغ الدوائر الى غاياتها من التحوس وما عاينوا من الشرور والدبرات والخوف بعد الأمن قد نبذوا الشرائع وراء ظهورهم من غير ان يتقدم احدا اليهم برفعها عن نفسهم فقال تعالى ذكره فيما وعد لأوليائه: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذه خاتمة المقالة الخامسة والحمد لله الموفق والشكر للملهم .

(١) سقطت في نسخة س .
(٢) وردت بنسخة س الصعود .
(٣) وردت بنسخة س الضرع .

المقالة السادسة

في كمية أدوار النطقاء وما بين كل دور والدور الآخر

الفصل الأول من المقالة السادسة :

« في معنى اسم الدور »

ان معنى اسم الدور على نوعين : دور كبير ودور صغير ، فالدور الكبير هو يبتدئ من آدم عليه السلام الى القائم سلام الله عليه . أمّا الدور الصغير فهو بين كل ناطق وناطق ويتخلل الدور سبعة أئمة مستقرين الا في الفترات التي تحدث لعلل وأسباب ، فمن آدم الى نوح دوراً صغيراً ومن نوح الى ابراهيم دوراً صغيراً ومن ابراهيم الى موسى دوراً صغيراً ، ومن موسى الى عيسى دوراً صغيراً ، ومن عيسى الى محمد دوراً صغيراً ومن محمد الى القائم دوراً صغيراً ، وهذه الادوار الصغيرة عددها سبعة فاعلمها قال الله تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ اي معناه انه لم يصبر على الذنب لمّا اضله ضده الذي استكبر عن السجود له وكان شرفه في ولده شيث ولم يزل الدور ينتقل من هابيل الى شيث الى غيره من الأئمة حتى ظهور نوح صاحب الدور الثاني ، فانتقل النور منه الى ولده سام الى غيره من الائمة حتى ظهور الناطق ابراهيم صاحب الدور الثالث ، وكذا لم يزل النور ينتقل منه الى ولده اسماعيل الى غيره من الائمة حتى ظهور موسى صاحب الدور الرابع ، ولم يزل النور ينتقل منه الى ولده هرون الى غيره من الأئمة حتى ظهور صاحب الدور الخامس عيسى ، ولم يزل النور ينتقل منه الى شمعون الصفا الى غيره من الائمة حتى ظهور صاحب الدور السادس محمد فدوره هو دور القرآن وخاتم الدائرات العظمى .

ان اول الادوار هو دور آدم وهو اول مرتبة النطقاء وأول مرتبة دور الستر ولم

يكن له شريعة يأتي بها . أمّا القائم فهو صاحب دور الكشف الذي يكشف ما استتر من ادوار النطقاء كما بدأ الله — الخلقة بادم فاعرفه .

الفصل الثاني من المقالة السادسة :

« في الادوار التي كانت قبل آدم »

روي عن النبي صلّى الله عليه وآله انه قال: بعثت الى الاحمر والاسود ، فالاحمر هم اهل الظاهر المنتسبون الى الانس ، والاسود هم اهل الحقائق المنتسبون الى الجن، فأمّا وقوع الفرق بينهما فانه من جهة اشراف الجن على العلوم الخفية المستجنة في التراكيب والشرائع وما في لطائف معرفة التوحيد الذي هو اخفى من كل خفي والاشراف على الابداع الذي تجيز الاحاطة به من جهة ذاته والوقوف على الأيس الاول الذي لا يمكن دركه مفرداً الاّ بازدواج زوجه معه فمن كان له من المعارف والحظ الذي به يمكن الوقوف على هذه الخفيات المشترات المستجنات استحق ان يسمّى جنياً كأنه فعل من الاجتنان وهو الاستتار منه ، ولمّا كان العلم هو ثواب النفس بما تكتسب في هذا العالم من الاعمال الصالحة وكان الجن منزلتهم من الوقوف على الحقائق والغوامض[1] من المعقولات ما ذكرناه من تشبيه خلقهم بالنار السموم وبالمارج ثم كانت الارض وهم مستخلفون فيها ويتصرفون بها كأن ذلك وقوع لهم بمرتبته وصول ثواب قد اكتسبته النفس في دور من ادوار الستر من الاعمال الصالحة من المناقب الجليلة فتنعموا في ارض الله بالاشراف على كل خفي محجوب والاحاطة بكل مشتهي محبوب جزاء بما كانوا يعملون أورث الله عباده الصالحين ارضه ليسبحوا خالقهم بحمده ويقدسوا فاطرهم بمجده وميّز بينهم وبين المفسدين فيها السافكين دم اهل الحق وأوصل اليهم ثواب ما اكتسبوا في دور الستر من الاعمال الصالحات والوقوف على مرموزات اصحاب الستر التي هي ثمرة جنان الخلد ونعيم الفردوس ثم تكلم على القاسطين من الجن وهم الذين اشتغلوا بعلم الفلسفة من الرياضيات والطبيعيات وقال: ونوع من قاسطي الجن ومردتهم يقال لهم الغيلان وقال: وهذا مثل مضروب لكل قاعد من الطغاة البغاة الموسومين بالفلسفة لتضليل عباد الله تعالى ودعوتهم من العلوم الربانية والحكم الالهية الى الخرافات الشيطانية والمقدمات القياسية .

(١) سقطت في نسخة س .

وقال في هذا الفصل ان دور الجزاء كان جارياً من جهة الملائكة الاثني عشر وهم الرؤساء المنصوبون في الجزائر ولم يذكر في ادوارهم السبعة والعلة في ذلك ان كواكب البروج الاثني عشر كواكب ثابتات لا تغيير فيها ولا انتقال ولا هي ممّا يحدث منها من التغييرات الكونية والفسادية بـل هي لحفظ الاجناس والانواع فجعل سمة دور الكشف بالملائكة الاثني عشر تشبيهاً بالبروج الاثني عشر اذ ليس في دور الكشف تغيير ولا تبديل من حال الى حال بل ذلك الدور انما هو دور الحفظ وكشف المستغلقات من العلوم فاقيم لسياسة تلك الادوار الرؤساء الاثني عشر ولمّا كان دور الستر دور النسخ والتبديل والتغيير وكانت الكواكب السبعة مقدرة للنشوء والبلى[1] والكون والفساد وتغيير الصور جعل ارباب دور الستر الائمة السبعة في دور كل ناطق واقيم من تحت ايديهم اللواحق الاثني عشر ليستخلفوا عن الملائكة المنصوبين لدور الكشف ونشر العلوم .

وعند العوام ان المصروع اذا ضرب الارض واضطرب وهذأ في كلامه وخلط فيكون مجنوناً قد أصابه الجن ودخل جسده فالجن على ما ذكرناه والمصاب على اهل التقليد يعني ان لأهل الحقائق قدرة على صيد اهل التقليد او الدخول عليهم وعلى مذاهبهم التقليدية التي منزلتها منزلة الاجساد فاذا دخل واحد في جسد انسان هزأ في كلامه يعني اذا كسر واحد منهم على ظاهري تحير في مذهبه وعقيدتـه فلا يكون له قرار بل يضطرب دائماً الى ان يقع على الحق ومن هذه الجملة رموا الناطق صلّى الله عليه وآله بالجنون وهذا هو توهمهم ان بعض ارباب الديانة في ذلك الزمان قد أفسد عليه مذهبه حتى تحيّز في عقيدته فأبدى الهذيان والتخليط في كلامه فأكذبهم الله تعالى بقوله: ما انت بنعمة ربك بمجنون ويعني ما انت بالوحي المنزل عليك بمتحير فما يتصور في قلبك كتحير من مسته مكاسرة اهل الحقائق وعند العوام ايضاً ان الجن قد رزقوا من صاحب الجود ما به يضرب المثل كقولهم احسن من جني فمعناه ان اهل الحقائق قد رزقوا من حسن عبارة الكلام وجودة القريحة وسعة البيان ما عجز عنه اهل الظاهر ومع هذا فان الجن موصوفون بسرعة المشي لقطع المسافات وهذا مثل مضروب لسرعة فطنتهم لدرك الغوامض مـن المطلوبات[2] العلمية وتنسب الى الفئتين من الانس والجن الشيطانية ، والشيطانية

(١) وردت في نسخة س والبلوى .
(٢) وردت المتطلبات بنسخة س .

اشتقاقها من الشطن وهو البعد فشياطين الانس هم الذين عكفوا على الظواهر المعراة من الحقائق حتى تباعدت أسفارهم وشياطين الجن الذين اقتصروا على العلوم العقليات الجاريات بين اهل العالم من جهة فلاسفتهم فبعدوا عن اصابة الحق ودرك الخفيات فعزلهم الله عن السمع حتّى صاروا عنه معزولين كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ اي من الجن وما يتبقى لهم وما يستطيعون بقوة فطنتهم اختراع مثله انهم عن السمع لمعزولون ، ثم قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين اي من الانس ينزل كل افّاك ثم يعني كل كذّاب فهم يلقون السمع يعني يزهدون اتباعهم من استماع الحق واكثرهم كاذبون .

الفصل الثالث من المقالة السادسة :

« في دور آدم وتوبته »

ان معنى التوبة من آدم عليه السلام عمّا ارتكبه من تمني ذلك الحظ المحظور عليه المدخر لدور الكشف فان التوبة في اللغة هي الرجوع ، فيقال تاب اي رجع فمعنى الرجوع ههنا رجوع الحال التي افتقدها آدم وغير ممكن ان يرجع اليه ذلك الاّ ان يمضي دور الستر وأربابه ، فتوبته انقضاء دور النطقاء وظهور القائم سلام الله على ذكره بعده الا ترى ان الله تعالى ذكره قد وعد ان يغلق باب التوبة قبل ظهوره ووضع من السبع الطوال التوبة بإزاء القائم لان توبة آدم عليه السلام انما تقبل بظهور القائم بعد مضي ادوار النطقاء يعني ان الحال التي تمناها آدم انما تظهر بظهور القائم بعد مضي الادوار ودليله ما قال الله تعالى ذكره عن ادم قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ والكلمات خمسة احرف اي ما لم يمض النطقاء الخمسة لا يرجع الحال الى ما كان الدور عليه في دور الكشف ، والكاف منها بإزاء نوح المقدر لكون الشريعة وكون السفينة ، واللام بإزاء ابراهيم الذي لمعت النبوة والإمامة في عقبه ، والميم ههنا على موسى الذي به تربعت الرسالة ، كما ان الميم بحساب الجمل أربعين والألف منها على عيسى الذي لم ينسب الى احد من البشر ، كما ان الالف لا تتصل بحرف ، والتاء منها على محمد صلّى الله عليه وعليهم اجمعين الذي به تمّت

الشرائع وتلاه صاحب اليوم الآخر ، ثم قال فتاب عليه يعني رجع اليه القائم بما كان تمناه آدم فهذا في معنى توبة آدم بالوجيز من القول .

الفصل الرابع من المقالة السادسة :

« في دور نوح وسفينته »

ان من قصة نوح ما هو مكتوب في التوراة اذ انه اول من غرس الكرم لايجاد الخمر فمعناه ان نوحاً اول من بني الشرائع التي منها مخامرة العقول ومدهشة الاذهان فاعرفه وتفهمه ، ومنه ما يقول للمتفكر اذا تفكر في نفي الله تعالى ذكره عن عيسى انهم ما قتلوه وما صلبوه وذلك للاشراف على انية البعث والدلالة على ان البعث للارواح دون الاجساد لانه لا شك ان القتل والصلب قد لحقا جسده وان الهاء اذا وقعت في آخر كلمة قتلوه أو صلبوه فانها حرف الاشارة الى هوية عيسى عليه السلام فكان فيه من الدلالة على ان الذي وقع القتل والصلب عليه ليس هو هوية عيسى بل هويته اي ما رفعه الله اليه وهو روحه والله تعالى يبعث الهويات ، فقد صح من هذه الجهة ان البعث للارواح .

الفصل الخامس من المقالة السادسة :

« في دور ابراهيم وآثاره ودرجته »

قال : انتمى العرب والعجم اليه اذ جعل اسماعيل ابا العرب واسحاق ابا العجم وهذا من اعجب العجائب واعجب منه غفلة الناس عن طلب حقائقه لانه غير ممكن ان يكون الاب عربياً والابن عجمياً او يكون الاب عجمياً والابن عربياً فما بال ابراهيم عليه السلام ان كان من العرب من قد تخلف عنه احد ولديه وهو اسحاق عن نسبته العربية ، او كان من العجم ، فما بال اسماعيل انتسب الى العرب هذا شيء عجيب اذا لم تكن له حقيقة شريفة فنقول في بيانه : ان دور الكشف بجملته دور العرب ، ودور الستر بجملته دور العجم ومع ذلك فان العاكفين على تقليد ظواهر النطقاء هم العجم العاجمة والطالبين لحقائق الاسس هم العرب العاربة اذ هم في ظلمة التقليد وقد التمسوا المخرج من شبهات الظاهر ومن ظلمات التقليد وكان الناطق عليه السلام وخاصة ابراهيم اذ هو الذي وضع مراتب الحدود بعده

اضاف الى اسحاق الذي قلده الامامة وليس للامام الأ حفظ الظاهر وإقامة اللواحق ، وأضاف الى اسماعيل الذي قلده الاساسية للعرب اذ اليه الكشف عن الحقائق،وان الركنين الذين هما من صلب اسحاق وهما: موسى وعيسى اللذان شرعا الشريعة المقلدة المؤسسة على الظاهر المحض ، والركنين اللذين هما من ولد اسماعيل هما محمد والقائم عليهما السلام وهما اللذان بسطا الحقائق احدهما وهو محمد من جهة الشرائع والوضع اذ شريعته تنطق بالبيان من غير كاشف ، ومن أنصف نفسه لم يعدم البيان من جوانبها والآخر وهو القائم من جهة خلفائه وهو الذي يعصر ما في الشرائع والكتب ليخرج عصارتها فيكون صبغاً للآكلين وجعل ما في الركن الرابع من الاركان الأربعة كوة لوضع الحجر الاسود فيها على ان من الناطق الرابع يظهر الحجر على اهل الاديان في ان يتصرفوا في مذاهبهم بل يخرج ذلك من أيديهم شاءوا ام ابوا كما ان اسم الحجر انما يقع من حكم الحاكم على من لا يمكنه حفظ ماله من جهة جهله وظهور التبذير والسرف فيه فيحجر القاضي عليه ماله ويمنعه من التصرف فيه ويجعله في يد غيره لينفق عليه ما يتقوت به كذلك انما يلزم الامم في مذاهبهم الحجر من جهة القائم عليه السلام لانهم لم يحسنوا ضبطها ولا التصرف فيها من جهة الاشراف على حقائقها فبسط القائم خلفائه سلام الله على ذكره وذكرهم على المذاهب ليخرجها من ايديهم بالكسر عليهم ثم النفقة عليهم من تلك الاموال يعني البيان لهم من مذاهبهم ما يتقوتون به وحجر اسود سبعة احرف على ان خلفاء القائم سبعة نفر يدعون الخلق في دين الله في سواد التقليد والظلمة ، ولمّا كان امر النطقاء يجري على الانتقال امّا من دور الكشف الى دور الستر ، وامّا من دور الستر الى دور الكشف كانتقال آدم من دور الكشف الى دور الستر وكانتقال القائم عليه السلام من دور الستر الى دور الكشف ومن حد الامامة الى حد الناطقية وكانتقال النطقاء الخمسة من حد الامامة الى حد الناطقية ووجدت سمات الانتقال في ادوار النطقاء سبعة قسمة انتقال دور آدم من دور الكشف الى دور الستر هبوطه الى الارض من الجنة وسمة انتقال نوح من حد الامامة الى حد الناطقية هبوطه من السفينة الى الارض التي استقر عليها وسمة انتقال الخليل هجرته من مسقطه الى ارض تهامة وشعابها[1] كما قال تعالى حكاية عنه : اني مهاجر الى ربي، وسمة انتقال الكليم، هجرته من الشام الى بيت المقدس ومجاورته التيه، وسمة انتقال

(١) وردت بنسخة س وشعبتها .

المسيح رفعه الله اياه الى السماء في قوله تعالى ذكره: بل رفعه الله اليه وسمة انتقال محمد من حد الإمامة الى حد الناطقية هجرته من مكة الى المدينة وسمة انتقال القائم سلام الله على ذكره من دور الستر الى دور الكشف غيبته ثم بروزه بعد الغيبة الى قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ، وبانتقال كل ناطق من ذلك الحد الى الحد الاعلى وجوب اقامة الاساس عليه لان آدم عليه السلام لمّا هبط من الجنة الى الارض قبل توبته وهي إقامة الوحي ، ولمّا انتقل نوح عليه السلام من السفينة الى موضع قراره امن من الغرق وكذلك الخليل لمّا هاجر الى ارض تهامة ولد له اسماعيل الذي هو اساسه، وكذلك لمّا انتقل موسى الى بيت المقدس أقام يوشع وصياً بين امته وكذلك المسيح لمّا نزل به ما نزل ورفعه الله اليه أقام شمعون بالاشارة والايماء وصياً وكذلك محمد صلّى الله عليه وآله لمّا هاجر[1] الى المدينة من مكة اقام بغدير خم وصيه علي بن ابي طالب عليه السلام على رؤوس الملأ جهاراً وكذلك القائم سلام الله على ذكره أقام بعد الغيبة خلفاءه لئلا ينقطع نور الله تعالى عن العالم فاعرفه .

الفصل السادس من المقالة السادسة :

« في دور موسى وآياته ومنقبته »

موسى بن عمران هو صاحب الدور الرابع والناطق للدعوة ، وهو من ولد اسحق بن ابراهيم وضده فرعون ثاني ملوك الجبابرة ، وقد عمّر مائة وسبع سنين ، وقبره بجبل الطور وقيل ببيت المقدس ووصيه هرون وعمره ثمانون سنة وقام بعده يوشع ابن النون كفيلاً على ولد هرون . وكان شعيب لاحقه وحجته[2] وصاحب فترته وهو المخاطب لموسى من الشجرة يعني بلسان حجته المسمّى العبد الصالح .

ان موسى قام بالرسالة التي تقضي بتأليف شريعة جديدة ينسخ بها شريعة الناطق ابراهيم عليه السلام وألّف شريعته وأبان فرائضها وأوضح سننها وجاهد فيمن تخلّف عن قبولها ، ومن لم يسارع الى اجابتها كان كافراً ولقد أقام اخاه هرون

(١) وردت في نسخة س هجر .
(٢) سقطت في نسخة م

وصياً له ومعيناً في نبوءته وتأويل شريعته فأظهر حقائق التأويل وأبان معاني التنزيل وأشرق العالم بنور الهداية وأزال عنهم ظلم الغواية .

ان موسى هو اول ناطق من بيت اسحق وهو أول الانبياء والاركان وذلك لان ابيهم قام ببناء الكعبة وجعلها أربع اركان مثلاً ودليلاً[1] على من يأتي بعده من النطقاء ، فركنان منهما دليل على موسى وعيسى وهما ناطقان من بيت اسحق والركن الايمن دليل على محمد والقائم المنتظر وهما من ولد اسماعيل فاعرفه.

الفصل السابع من المقالة السادسة :

« في دور عيسى وأشياعه وغيبته »

قال الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ لان آدم هو لا من انثى ولا من ذكر ، وهذه الاتفاقات تقع في خلق الدين وهو الذي أوجبه انشاء التالي لها لانهما متفقان في الخلقة مختلفان في الدين ، ولا بد من قيام ظاهر التلاوة لئلا يلحق الحكمة نقص او تقصير فان اصل البشر من تراب ومن جمعها جمع ما في الخلق فذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وان المسيح عليه السلام كان بدون هجرة من بين الانبياء .

ان عيسى بن مريم هو صاحب الدور الخامس وهو خمسمائة وسبعون سنة وهو من ولد اسحق بن ابراهيم . وصيه هو شمعون الصفا وضده يهوذا الذي سلّمه الى اليهود وحاول تغيير شريعته والتكبر على وصيه .

كان الامام في عصره هو خزيمة ولأمرٍ ما استتر فقام مقامه زكريا فكفل مريم ورباها ، ومريم اصبحت حجته وبابه . وقد اجتمع بها رسول الامام خزيمة وفاتحها بظهور المسيح من دعوتها وأعلمها انه صاحب العصر وناطق الوقت كما جاء بقوله تعالى ذكره : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا

(١) سقطت في نسخة م

رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ وعندما ظهر عيسى وقامت دعوته التي جاءت لتنسخ شريعة موسى ، وعيسى ظهر باللطافة وضرب الامثال والسياسة بالبلاء والرأفة والرحمة . فاعرفه .

الفصل الثامن من المقالة السادسة :

« في دور محمد صلى الله عليه وآ له ... وأنصاره وهجرته »

ان الرسالة تتصل بقلب النبي صلّى الله عليه وآله مجملة من غير تفسيرها ، فابتهل الى الله في ان يشرح له صدره فأكرم بالفتح وهو قوة روحانية شريفة وهي مجمع الشرح ، فانزل به الروح الامين على قلبه مجملاً ، وتلك القوة حوضه الذي اكرم به يعني علوم شرائعه وتنزيله ويقال في صنعته حوضان ماءه ابيض من اللبن وأحلى من العسل يعني ان ذلك العلم هو محض افادة التالي عليه بقوة الفتح وهو الذي يجري من قبل الاساس من الحلاوى[1] التأويلية التي يمثل القلوب اليها ، فلمّا شرح الله صدره عن المستغلقات الوصفية النازلة على قلبه بلا تفسير اوجب عليه اقامة من ينشر ذلك بين امته لئلا يبقوا في التيه والحيرة وضيق الصدر فقال : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟ ﴾ يعني ألم نبين لك بالفتح المتصل بك ما انزل على قلبك من الغوامض والمتغلقات الوصفيـــة . ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ فمعناه وضعنا بشرحه لك ما انحنى ظهرك لطلبه في الوقوف عليه ، ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ يعني وشرّفنا ذكرك بنشر ذلك عنك ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ يعني فان مع عسر ظاهرك يسراً تأويل اساسك ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ يعني ان مع عسر ظواهر الائمة يربيان اللواحق ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾ يعني اذا فرغت مـــن تأليف شريعتك فانصب الاساس ليصير حوضك الروحاني جسمانياً تنتفع به امتك كما انتفعت به وقال فيه بعد كلام فانتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله الى ما أمره الله تعالى به ، فاقامه بغدير خم ، والغدير موضع مجتمع الماء يعني اقامه بمنزلة معدن العلم وبقعة الحكمة فتجسم حينئذ حوضه وجعل وصيه ساقي[2] المؤمنين من حوضه يعني فرض الله سقي المرتادين من علومه

(١) وردت في نسخة م الحلويات .
(٢) وردت بنسخة س سامي .

وحقائقه في الفترة ، فيجب من هذا القياس ان تكون الفترة التي تقع في الادوار انما هي اعياء وملالة تلحق بالانفس الجزئيات في العالم الجسداني فتعجز عن قبول التأييد مدة بالتخصيص ومدة من المدد ثم تزول تلك الملالة فتظهر نفس زكية يتصل بها التأييد مخصوصاً فهذا معنى الفترة ، قال فامّا ههنا فانه يخبر عن الكناية باسمائهم في آية واحدة مرتين وهو قول محمد رسول الله يعني هو الذي نال الرسالة والذين معه يعني علي بن ابي طالب الذي قارنت عينه ميمه حتى نال مرتبة المعيّة كما شرحنا : ﴿ اشدّاء عَلَى الكُفّارِ ﴾ وهو — الحسن بن علي — لانه اشد من الكفار قيامه بالامامة لما علموا ان الامامة قد حصلت له ولاهل بيته فلذلك كنّى الله عنه بالامامة في الجماعة رحماء بينهم وهو —الحسين بن علي —ومن قبله ومن بعده من الائمة ينالون التأييد في الستر من الاصلين بقوة الجد الموهوب لهم من خالقهم ، تراهم ركعاً وهو—علي بن الحسين — الذي انحنى ظهره من المحنة سجداً وهو— محمد بن علي — الذي استقر عليه امر الإمامة يبتغون فضلاً من الله وهو— الصادق —ورضواناً وهو —المبارك— سيماهم في وجوههم من اثر السجود يعني به القائم وهو الذي به يظهر اثر دين جده محمد بن المصطفى صلّى الله عليهما اذ شرح عن كل جليل ودقيق ذلك مثلهم في التوراة والانجيل كزرع وهو الاساس الذي زرع زرعه الناطق لامته لدين هو اليه ملتمسين منه البيان والتأويل كما ان مرجع الخلق الى الزرع لمصلحة ابدانهم والظفر بغذائهم اخرج شطاه وهو — الحسن بن علي — اذ لم يكن له صلب من نظيره فآزر وأراد — بن الحسين بن علي — الذي بقيت الامامة في عقبه فاستغلظ اراد — علي بن الحسن — الذي استغلظ على المفاتحة واجترى على اعدائه فاستوى اراد —محمد بن الباقر— الذي استوى به امر الدعوة في العالم بعد انقطاعها ورتّبها على نبوته اراد به—الصادق— الذي سيقت الإمامة في عقبه يعجب الزارع وهو — المبارك — لمّا سلّم الصادق اليه الامامة اعجب اولاده بذلك اذ كانوا يتمنونها ليغيظ بهم الكفار وهو القائم سلام الله على ذكره الذي به وبذكره يتميز غيظ الكافرين الجاحدين به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة يعني وعد الله الذين صدقوا بالاولياء وكذبوا بالاعداء ان ينالوا من هؤلاء المسمى بيان الحقائق المستودعة في الاوضاع والشرائع الخفية فيها واجراً عظيماً يعني وثواباً عظيماً فهذا هو معناه .

الفصل التاسع من المقالة السادسة :

« في دور القائم ورسومه وقدرتها »

ان القائم سلام الله على ذكره في الولادة والاغتذاء وظهور النسل عنه كآبائه عليهم السلام ولا فرق بينه وبينهم من هذه الجهة الاّ بشرف الرتبة . والقائم هو متمم النطقاء فاذا ظهر ظهرت الآيات وتكشفت المستورات وفطر المؤمنون من صيامهم . وان القائم هو نهاية الكل من الرسل وهو يجمع بين النواميس المختلفة(١) المتفرقة المتبائنة بالكشف عن حقائقها فتصير مجموعة كانها شريعة واحدة وكان اممها امة واحدة .

وانا اذا نظرنا الى الاسابيع نجدها كلها متناهية الى السابع كمثل الكواكب السبعة السيارة وكلها منتهية الى كيوان . وكذلك الأقاليم قد انتهت صعداً من جهة العمران الى السابع وكذلك الايام تنتهي الى السابع ثم تعود في الابتداء . وان في عهد القائم يكون بعث الصور الروحانية اذاً فنهاية الكل من الرسل الى القائم سلام الله على ذكره . والقائم من القيامة وهي موسومة بيوم الفصل لان الفصل انما يكون بعد الخصومة والمنازعة وهكذا القائم يفصل بين اهل الاديان ويظهر الحقائق ، والقائم الزم اهل الاديان الرجوع الى الحقائق والقرار عليها فاعرفه .

الفصل العاشر من المقالة السادسة :

« في ان الدور لا يكون الاّ من اثنين صامت وناطق »

لمّا كان الناطق يأتي لينسخ شريعة ما قبله باظهار شريعة جديدة ، كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله ، وانه لا بد للناطق من صامت يكون قريباً منه وأساساً له . وقد جاء بالقرآن الكريم : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ فدلّت هذه الآية وغيرها من الآيات على انه لا بد لكل ناطق من صامت يحتاج الى مشورته في امور الدين والدنيا وما يجب فيه من الحكمة الالهية والعناية الربانية ، وقد وجب ان يكون الصامت قد

(١) سقطت بنسخة م .

اطلع مثل الناطق على جميع الاسرار النبوية ليمكنه موآزرته ومعاونته ومعاضدته بتنفيذ احكامها .

وقد اتفق جميع العلماء على ان الله سبحانه وتعالى انزل فرائضه في الشرائع مجملة وغير مفسرة ومقسمة ففسرها وقسمها الرسول ظاهرياً ووضع كل شيء منها في موضعه ثم عهد بتقسيمها وتفصيلها باطنياً الى صامت يعرض عليه من التأليف ما يكون له القوة والفاعلية ، وقد لا يكمل الدور الاّ باثنين صامت وناطق وقد رأينا الخلق من الابداع قد استقر على أصلين ناطق وهو السابق ، وصامت وهو التالي . فاعلمه .

الفصل الحادي عشر من المقالة السادسة :

« في الفترة التي تقع في الادوار »

قد تحصل المدة بين ناطق وناطق بألف وخمسمائة عام ، وهذه المدة يجب ان تقسم على سبعة أئمة او متمين ، فاذا اعطينا كل واحد من هؤلاء السبعة مائة عام كان ذلك سبعمائة عام اي اقل من المدة المطلوبة ، او جعلنا عدد المتمين اكثر من سبعة ، فهذا ليس بالامكان ، عندئذ تحل الفترة ، والفترة مشتقة من الفتور او الاعياء[1] او الملل كما يقال : سخن الماءً او فتر عندما تنقص حرارته او يلقب الجسم او يصاب بالفتور .

اذاً وجب ان تكون الفترة التي تقع بين الادوار اعياء وملالة تلحق النفوس الجزئية من العالم الجسداني فتعجز عن قبول التأييد ثم يزول ذلك العياء فتظهر نفس زكية يتصل بها التأييد ومثل ذلك عندما تظهر في العالم المعاصي والمفاسد فيقطع الله سبحانه وتعالى عن الارض الامطار ويقلل الزرع ويقطع الرزق ويسلط الآفات على المواشي والحيوانات ثم يعود الضرر على كافة الناس الذين عصوا وخاصة عند اعراضهم وميلهم الى الاضداد ، وعندئذ تنقطع مدد الإمامة ويزول التأييد عنهم ويستلم الامر اللواحق والاجنحة فتقع الفترة في ادوار النطقاء ، وقد وقعت في دور نوح اربع فترات ، وفي دور ابراهيم ثلاث فترات وفي دور موسى فترتين ، وفي

(١) سقطت في نسخة م .

دور عيسى فترة واحدة ، ولم يقع في دور محمد فترة . فاعلمه .

الفصل الثاني عشر من المقالة السادسة :

« في ادوار النطقاء »

ان ادوار النطقاء سبعة وتبدأ من آدم صاحب الدور الأول وتنتهي بالقائم صاحب الدور السابع وهذا الدور يسمى الدور الكبير . امّا بين كل ناطق وناطق فيسمّى دورًا صغيرًا ويكون فيه سبعة أئمة ، الاّ في الفترات .

فآدم هو الناطق الاول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة أئمة ، وبعده نوح صاحب الدور الثاني وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة ، وبعده ابراهيم صاحب الدور الثالث وأساسه الصامت اسماعيل وبعده ستة أئمة ، وبعده موسى صاحب الدور الرابع وأساسه هرون وبعده ستة أئمة ، وبعده عيسى صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة ، ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن بعده أئمة كثيرين حتى القائم الذي هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور . فاعلمه .

تمّ

فهرست الأعلام

فهرست اسماء الكتب

فهرست اسماء المدن والأماكن

فهرست الآيات القرآنية